



# بيروت و«الناقد»: مستقبل أيام مضت

رياض نجيب الرئس

التأثير، وحين تفصح هذه الفعالية أو تبيت فهي ستعلن توقفها، وقد تصبح مجلة أخرى.

ولأن «الناقد» تعرف بأنها ما زالت قادرة على إيجاد جيل أدبي جديد واكتشاف مجموعة من الكتاب الجدد، والتعرض للوصول إلى مبدعين جدد بإعطائهم مقاييس الدخول إلى عوالم الثقافة، فهي مستمرة. مستمرة في مواجهة محاولات غيظ الخيال باسم التقدمية وطمع الفكر باسم المقدسات ومراقبة الأقلام والأشخاص باسم الوطنية. مستمرة في سعيها لأن تؤسس لنفسها نمطاً جديداً متطوراً ومتناسباً مع ضغوطات القرن العشرين، تكون فيه أكثر قدرة على الفعل وأكثر قوة في التصدي لردات الفعل. وهي في ذلك تريد أن تعيد وتؤكد -ولو بشيء- من التكرار- أنها مجلة عربية غير نظرية. مجلة علمانية ليبرالية، لا تدخل في حساباتها التوازن الطائفي ولا التوزيع القبلي.

مجلة غير حيادية تعارض كل التيارات الطائفية في الثقافة العربية. مجلة مشاغبة ومثيرة للجدل. مجلة ترفض التملب والاحتواء. مجلة ديموقراطية تقدمية تؤمن بالتعددية، تنفق في وجه الزعزعات الطائفية والتمزت الديني، سواء أكان إسلامياً أم مسيحياً. مجلة تنتج صفحاتها لكل الآراء المخالفة وتتسع لأي كاتب من أي اتجاه. مجلة شمولية

ليس عندي أشياء كثيرة لأقولها و«الناقد» تدعو في هذا العدد ستها الرابعة، وهي تلتاس الجهر شهراً وراء شهر. كل الذي أريد تأكيده و«الناقد» تدخل مغامرة السنة الخامسة أن المجالات الثقافية في كل أنحاء العالم لا سيما الفاعلة منها لا تمر طويلاً. تعيش فترة زمنية، تزوي رسالتها وترحل لأنها بطبيعة تكوينها كمجلة تؤثر في جيل معين وفي فترة تاريخية معينة، فهي ليست مؤسسة أو متحفاً. وهناك مجالات ثقافية عديدة عاشت أكثر مما ينبغي، وبالتالي، فهي اليوم بحالة «القيومية». ولو استطاعت أن تهي دورها في مرحلة زمنية معينة لكان دورها التاريخي وتأثيرها الفعال أكثر عمقاً في الأرض الثقافية عما هو عليه اليوم.

ليس من مميزات المجالات الثقافية أن تعيش كل العصور وأن تعمر عن كل الأشياء لكل الناس. ونحن في العالم العربي لا نعرف كيف نفاقد وكيف نهي أعمارنا أو كيف نستقبل. نحن نعرف فقط الأمانة أو الحد من الحريات. و«الناقد» هي كأي مشروع ثقافي محدد بزمان ومكان. فهي إن توقفت، تتوقف فقط عندما تقتنع بأنها قامت بدورها وسحرت بقدر اللامشاع مستنفع الثقافة العربية الآن. هاجس و«الناقد» أنها ليست مجلة أبدية. هاجسها فعاليتها ومدى قدرتها على

أو بنصف رلة، في وقت لم تعد هناك رثا في أية مدينة عربية أخرى صالحة للتسكن.

وعلى الرغم مما حدث فإن بيروت ما زالت مدينة متصلة الألوان. أما إذا كانت تلبس اليوم ثياب حداد أو ثياباً عاطفة، أو مشرعة عن فخلها، فهذه طريقتها الآن. لكنها ما زالت قادرة أن تعطيكم عرساً من الدرجة الأولى وجزاراً من الدرجة الأولى أيضاً. فائرة أن تطرئ وأن تتيكك، بينما يكون الطرب معدوماً في أية عاصمة عربية. أما الكهكاه فحدثت ولا حرج.

عملياً بيروت هي المدينة الوحيدة في العالم العربي التي تستطيع أن تعمل فيها. بيروت قد تكون مدينة قذرة، لا كثرها فيها ولا ماء، فقيرة وهي تحمل أكياس الليرات اللبنانية التي لا قيمة لها. لكن يمكنك أن تبيع على أرصفتها ما شئت من أحلام، أو أن تفتن فيها معملًا للغلابات النورية، وأن تضارب بالبورصة في نيويورك أو طوكيو أو ننشئ فيها مجلة ثقافية أو سياسية وتصدر ديوان شعر أو رواية من دون أن يقول لك أحد ما هذا؟ ولكن يمكن أن يضربك قذاري، في الشارع احتجاجاً على شريكك الذي لا يملك حياً عبقرياً.

بيروت ترفلة غريبة من اللحم البشري المحي لا يعيش في أية عاصمة عربية أخرى، يسهل الممنع الإنسان في الدرجة الأولى. بيروت ليست أم الحصار والاشعاع في العالم. إذا كلام صحيح وقير صحيح. بيروت أهم من ذلك. بيروت ليست شارات يمكن أن تنكها على الحائط ثم تدعن لرفقها شماراً آخر في اليوم التالي.

بيروت هي القس، القس، الماوية، هذه الفسحات المضيئة، هذا التسليح اليومي الذي لا تشعر به أمة أخرى. بيروت ليست تيمراً شعرياً، ولكن لا تصور أنه يمكنك أن تتعامل مع بيروت من دون أن يكون هناك شيء من السورالية.

بيروت امرأة غامضة، امرأة تاريخية، امرأة بشعة، امرأة أم، امرأة زوجة، امرأة عشيق، امرأة موسى. هذه هي بيروت. أي كل ذلك، ولا شيء من ذلك. هي الحيرة المحيّد.

نحن الذين هتتا وترتبنا في بيروت، ما نعرف قسيتها إلا بعد خروجنا منها. وهذا العمر الملهود في الغربة، التي يسهل الناس عليها ويقربون لك: «تياك ساكن في لندن» أو لا أحد منهم يعرف حجم المعاناة فيها. بيروت مدينة مدعشة بحركتها الثقافية (صداقة ومعارض وأسيات وعاضرات ومسرحيات وندوات وشانقات)، وقلياً هذا الكرم من الأنشطة في عاصمة عربية أخرى. والعودة إلى بيروت ليست لامتداد الذكريات وحدها وإنما لتاعتنا أيضاً بأننا لا نستطيع أن نكون قاعلين في الثقافة العارة إذا لم نتعلق من أرض عربية.

قد تكون لندن عظيمة في وسائلها ومجاليها العربية الكبيرة، وإنما هي منس وسليانة بغير جدور.

وقد حان للشعبي أن يعود وللفارس أن يترجل. ورحان لـ الناقذ أيضاً أن تصعد لبدابات القرن الواحد والعشرين في رفضها لماضي أيام آية، ورحيها لتستل أيام مفتت، تحمل معها نكهة التغيير وطعم التجربة والرحلة التحدي المستمر. وإلا لن يبقى عبق في شلى محاولة التقدم إلى أمام. □

بكتابها من المحيط إلى الخليج. حتى تكاد تكون المجلة القومية الوحيدة التي تصدر في العالم العربي اليوم. فلا هي مجلة لبنانية ولا سورية ولا مصرية ولا مغربية ولا عراقية ولا... ولا... بل هي مجلة عربية بالمعنى القومي والجغرافي للكلمة وبالمعنى التاريخي للتراسة. لكن كل هذا لم يمنع أن يذهب الجميع من تصنيفها مذاهب شتى، فهي في لبنان مجلة سورية، وفي سورية مجلة لبنانية، وفي مصر مجلة شامية، وفي المغرب العربي مجلة مشرقية. مجلة تزمن بوحدة الثقافة العربية وتدعو إلى كونها العصر الموحد الباقي لهذه الأمة. مجلة مع الانتهاد والبحث والتجريب ومع الانفتاح وتنوع الرأي. مجلة متشاكسة صدامية، وتسير عكس التيار السائد والقابع السائدة وفد التسويات والتوافقية والمساومات. مجلة يعنها الفكر السياسي ومناهجها المتشددة وقضاياها الشعبية، وطروحاته المختلفة وعلى رأسها مشكلة الديمقراطية وكل ما له علاقة بالتغيير. هذه هي «الناقذ»، وهكذا ستبقى.

□ □ □

ولعل السبب الأساسي في بده بحث «الناقذ» عن صيغة تطويرية لنفسها، لتبقى في مستوى تحديثات النظام العالمي الجديد وما سيفسر عنه بالنسبة للوطن العربي، يعود بالدرجة الأولى إلى بيروت. واعتقد أن الوقت قد حان لأن نعطى بيروت حقها - فيا لها أو عليها - من خلال تجربة «الناقذ» فيها، خلافاً لستين أو أكثر لذلك لا بد من التعرف شخصياً عند بيروت لتحديد إمبار الأثر الثقافي الذي تحسب عليه اليوم.

إن أضيف إلى بيروت أكثر ما لها من هالة رومانسية في أذهان الكثير من الناس، ولكن يمكنني أن أختصر بيروت بكوتها شيئاً عظيماً محفوراً في ذاكرتي.

تركت بيروت في منتصف ١٩٧٥. وكانت الحرب في بدايتها. أذكر مقالاً صدر في مجلة «الايكونوميست» البريطانية عنوانه: «إذا ذهبت بيروت إلى أين تذهب؟» وكان الجواب إلى ما كان. منذ عام ١٩٧٥ حتى عام ١٩٩٠ جرى ما لا يقل عن عشر عمليات لاحتلال مكان بيروت، وحرقت عدة بلدان وعواصم عربية أن تحمل عليها. وفشلت كل هذه المحاولات ومن دون تحفظ واعتراف أصحابها، لماذا فشلت؟ لماذا لم نستطع أن نصعد بيروت إلى مكان آخر، أو نصنع بيروت أخرى في عالم جديد؟ لا أدرى.

أفصّر أن بيروت عشيقه خاصة يتفرج بها كل إنسان. بيروت ليست شيئاً يُهم. بيروت تعني في شيئاً وتعني لشخص آخر شيئاً ثانياً مختلفاً. لكنّ فيها قواسم مشتركة. وشقي الناس ليرت أو كترهم لها، غشيم عليها، أو احتقارها ما وقدرهم عليها، لا يغير من إعجابهم على أنها شيء خاص. وحتى لا نصنعها ولا نباع في قصة بيروت نقول في الوقت نفسه أن بيروت ليست امرأة بريئة. بيروت متراصة كل أنواع المحرمات. لكن هناك أشياء كثيرة تشفع لهذه المبالسات.

وعلى الرغم من وحشية وظلم وظلام الحرب، ما زالت بيروت العاصمة العربية الوحيدة التي تستطيع أن تنفث فيها ولو برة واحدة



# الصحافة العربية بين الرصاصة والمقص

محبي الدين اللاذقي

وزارة الداخلية، يشوهد، ويتنظر الأوامر لإطلاق الرصاص على أي كاتب يتجاوز الخطوط الحمراء، وياللع في انتقاد الأنظمة بأفرادها وسياساتها، وثأيتها، وهو الأسطر، موظف مدني محترم، يسلح نفسه بمقص وقلم أحمر، ويقطع خلف مكتب مهيب في دائرة الرقابة في إحدى وزارات الإعلام، ليقطع ويمزق ويشطب ويمنع كل الأفكار التي لا تتماشى مع سياسات الأنظمة القمعية المستبدة. ولا أحتسبكم بأن مقص هذا الرقيب يقيظنا أكثر مما يقيظنا سلس زميله الإرهابي، لأنه يعدلنا يوماً، ويديم قلوبنا، ويقطع أفكارنا، ويصادر كل الجهود التي نبذلها، لينعش القارئ الذي نحاول الوصول إليه، من الأطلال على نمط متحور من التفكير.

إن معاناتنا مع الرقيب والإرهابي، ورحلة قلقتنا اليومي بين الرصاصة والمقص، لم تمنعنا من حل تقاليد الصحافة الحرة، والدفاع باستنهاج من حرية انتقال الأفكار والتعبير، ولعل عشرات الشهداء الذين قدمتهم الصحافة العربية أكبر دليل على روح التحدي والمقاومة التي يبدعها حملة الأفلام في الوطن العربي، القيصون منهم والمهاجرون. وكان الأصرار على اغتيال الصحفيين والكتاب يؤكد رغبة السلطات العربية واستئناسها في سبيل إسكات كل قلم يخرج من المعروفة الجارية، ونشط الاعلام الرسمي الذي يخدم أنظمة تستمد شرعيتها من قمع البشر والأفكار. إلى أدرك انكم لا تستطيعون تخليصنا من رصاصة الإرهابي، فذلك نفس في غاية التعبد، لكنكم تستطيعون بالتأكيد مساعدتنا على التخلص من مقص الرقيب، بالضغط على حكوماتكم، لترطب سياساتها الخارجية باحترام حقوق الإنسان، والامتناع عن التعامل اقتصادياً وثقافياً مع كل نظام يقيد حرية الصحافة، ويؤسس للإرهاب والقمع ضد الكتاب والصحافيين. اسمحوا لي أن أصالحكم كزبداء مهتدين بقضية الحريات، بأن سياسة الوجهين التي تمارسها حكوماتكم تؤثر على حريتنا، وتساعد

■ ليس من السهل أن أرسم لكم في هذا الوقت الضيق المحدد صورة واضحة للعالم لأساسة الصحافة العربية التي تصارع أعتى الأنظمة الدكتاتورية في العالم، وتحاول أن تثبت نفسها في عيط يعادي الكلمة الحرة الشريفة والموقف النزوي. وتتخذ حكايتها أبشع الأساليب وكل ما هو متاح بأيديهم من وسائل القمع للقضاء على أصغر المواهب الشابة خيرة التعبير.

لقد لاحظت بشيء من المفارقة أن زملاءنا في فرنسا تلقفهم طاعرة اليدين المتطرفة وإسكاتية وصول (جان ماري لويان<sup>(1)</sup>) إلى الحكم، فإذا نقول ونحن محكومون ببعض الأنظمة التي لو قارنتم سياسات (لويان) التي تتخوفون منها بسياسات بعضهم، لخرجنم بنتيجة مؤكدة تثبت أن (لويان) ملاك بريء من ملائكة الرعدة، مقارنة بحكام يطبق بعضهم سياسات القرون الوسطى، ويحصلون من الغرب المتحضر على دعم مباشر للاستمرار في تطبيق تلك السياسات.

تعيش الصحافة العربية في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين بين خطرين سلطتها عليها الأنظمة الدكتاتورية: أولها إرهابي مسلح من



الفاعع على زيادة قمعه، لإدراكه بأن دولكم تربط سياساتها الخارجية بالصفقات التجارية الكبرى، وليس بالمبادئ، وحقوق الإنسان، فالرغم من كل التفاري التعليلية التي تصدرها (امتنتي)<sup>(١)</sup> عن أكثر من بلد عربي كل عام، لم تتوقف حكوماتكم عن التعامل مع أي نظام عربي، ولم تلتفت نظر أي نظام إلى أيها مستبد النظر في تعاملها معه إذا واصل انتهاكاته المريعة لحقوق الإنسان واعتداته على الحريات الصحافية والإعلامية.

إننا نقرأ بسرو تعاطفكم الشفهي مع حريتنا وسقوفنا، ثم نرى حكوماتكم تزود بعض الأنظمة العربية بكل المعدات العسكرية والتكنولوجيا وأدوات القمع والرصد التي تحتاجها الأنظمة لثابتة الكتاب وقمعهم. إن بعض تلك الدول التي لم يقف منها الغرب موقفاً سليماً إلا بعد غراب مالطا، تنقلص الحريات إلى الحد الأدنى، وتغرض على الكاتب أن يحصل على ترخيص من وزارة الداخلية، إذا أراد اقتناء آلة كتابية أو رايدو موصلة قصيرة، ولا أكتفكم بأننا لا نجد تفسيراً مقنعاً لتلك التصرفات، ونتمنى أن نحصل على الجواب منكم، فإما أن تكون الحكومات الغربية مع الحريات قلباً وقالباً، أو تتوقف عن لعب تلك الورقة وتقول علناً بأنها غير معنية إلا بالصفقات والمليارات.

حين نطلب صغوفكم ومساندكم للتخلص من الرقابة والرقاب، فإننا نعمل ذلك انطلاقاً من شعاعنا بأنه لا يقل خطورة عن الإرهاب، فالرقابة المستمرة في الوطن العربي خلقت أجيالاً من المشوهين عقلياً والمسرورين الدماغ، ووصل خطرها إلى الكتاب الأحمر أنفسهم، فقد امتد الرعب إلى أرواحهم، وبدأوا يتربصون ويون أن يسلمهم بأن ينوع من الرقابة الصارمة على أنفسهم، ولا تستغروا إذا قلت لكم بأن هناك شرطياً داخل مماغ كل صحافي، وقيداً على ريشة كل قلم، وخوفاً مزمناً من ارتكاب المخطوئ الذي يؤدي إلى العفوية التي لا يمكن التكهون بصحتها.

وهكذا... أصبح العمل في الصحافة العربية أشبه ما يكون بالسبر في حقل اللغام لا يعرف الماضي أي لغم سيفجر به ويمرقه، بالرغم من كل الاحتياطات التي يتخذها وإجراءات التي يتبعها للاستعداد. وللتدليل على ذلك، سأذكر لكم حادثة وقعت مع أحد الزملاء، لقد كان ذلك الزميل يعمل في دولة خليجية، وكتب ذات يوم مقالة انتقد فيها سباق المحجن، وقال أن الجمل حيوان غير جميل وغير رشيق، وأن قمحه يظهر بشكل واضح حين نجره على الكرفس مع أقرانه وسط الغبار. وفي اليوم التالي نشر تلك المقالة، جاء مسؤول من ديوان وزير خفي، وطلب من الصحافي أن يكتب اعتذاراً، وعندما سأل الصحافي: لمن يكون الاعتذار؟ أجاب المسؤول: للوزير بالطبع... .

قال الصحافي: لكنني لم أكتب ما يسيء لخالي الوزير، واعتذر بلساني للجمل، وساعتذر له إذا طلب ذلك، وبطبيعة الحال لم يطلب الجمل الاعتذار، لكن الصحافي راح يبيت عن مقعد في طائرة لغائرة الدولة خلال أربع وعشرين ساعة، قبل أن يتمم بالحياة العظمى والعمل على تقويض الأمن والاستقرار.

إن خطورة الرقيب العربي تكمن في أنه لا يتدخل في الأفكار السياسية بحسب بل في الإعلانات والمعلومات والثقافة، لأنه للمحول الوحيد من قبل النظام خلق مجتمع كبروني مشوه، يفكر بطريقة

واحدة، ويقرأ الأخبار من مصدر واحد، ويسمع حجة واحدة، وينام ويقظ على أنشأيد اعلامية مسججة تمجد الزعيم الأود صاحب الحكمة الثابتة والفكر الثير الذي لا يخطئ. لا يأية الباطل من بين يديه ولا من خلقه ولا من تحت ولا من فوق.

إنكم في الغرب تدرسون بغزارة ظاهرة الهجرة من مجتمعات العالم الثالث، وتربطونها بالعوامل الاقتصادية والسياسية، لكنكم لم تنتبهوا حتى الآن إلى أثر الإعلام الموجه في الهجرة، وأسطفل أن أراهن، جاداً وليس مداعباً، بأنكم جميعاً ستضطرون للهجرة من بلد تقرأون فيه الكلام نفسه في صفح الصباح، وتجرون يوماً على مشاهدة نصف ساعة من أخبار التلفزيون عن استقالات الحاكم، وتضطرون لملء الوقت بين أخبار الصباح وأخبار المساء يساع تحليلات سياسية تبين عقولكم وتذكركم على الغرر والتميز. سوف استغل غياب (بير كارلن) وأيف سان لوران) من هذه القامصة، لأحبطكم علماً بأن أزيادهاما تحضخ للرقابة في الوطن العربي، ولو عاد هذا المصممان إلى الأزياء التي تنشر في الصحف في بعض النسخات العربية، فلها أن يعرفا بأن كل «موديل» تعرض زياً مفتوح الصدر أو مكشوف الأكفاف يتم إلإسها زياً محتشاً في القسم الفني لبعض الجرائد قبل أن يبيع الرقيب نشر صورها.

الكتاب في تسع دول عربية على الأقل من الإحدى والعشرين دولة، تنقلص حريتهم في التعبير إلى الحد الذي لا يستطيعون معه أن يكتبوا في مقالاتهم - حتى وإن كانوا مسيحيين - عبارات على شكل (جاست) في المقهى، وتتسائل كأساً من البجة وغطيرة من لحم الخنزير) أما لقررات المصطف، فهي أكثر من الحصر، فهناك عدة دول عربية تمنع استخدام كلمات: السليتي، قوطراطية، الثورة، الاشتراكية، وينصع رقيها بالاقبال من ذكر مفردات: العدالة والشرعية السياسية والمساواة أو الحديث عن الاستغلال وتوزيع الثروات... الخ. ولا حاجة هنا لذكر المنوعات الكبرى، وأتمنى تعرفوها وتعرفون أن أي انتقاد لرئيس الدولة أو رئيس الوزراء عقوبة رصاصية في الصدغ أو القلب، أما انتقاد سياسات الدولة بالطلق والتصريحات فتؤدي بصاحبيها إلى زنازة لا يخرج منها إلى آخر العمر أن لم تحمده الظروف ويتبدل النظام.

في السوطن المصري - حين تنشر إحدى الصحف صورة أحد السياسيين وهو يقاسم والسجبار يتدل من قمه في أحد كازينوهات مونت كارلو - لا تقوم وزارة الداخلية أو الاعلام بنصع السياسي بالانتاع عن لقائهم والتدخين، بل يسارع الطرفان إلى تكليب الخبر وسجن للحرر وإغلاق الصحيفة، ثم يبدأ البحث من البجة الأجنبية التي تنقد وراء تلك الزائرة الخفية على سلامة البلاد.

إن الانصاف يقتضي أن نشير إلى أن حرمان الرقيب تختلف من بلد إلى آخر، والمنوعات تقل تبعاً لثقافة كل نظام بنفسه، وتأكد من عوامل استقراره، وهناك بعض الأنظمة العربية التي تلجأ للقضاء وليس للبوليس، حين تختلف على الصحافة، ورغم تلك القرفوات في التفاصيل فإن الرقابة على الأفكار والمعلومات موجودة عند الجميع، لذا اخترت ألا أسمى الكثيرين من الأنظمة العربية في هذه الكلمة، حتى لا أوقعكم في ورطة تغضيل هذا النظام على ذلك، فالرقيب موجود في كل دولة عربية، وكلكم لكم تجارب مريرة مع كمراسلين ووكالات

## الرقابة المستمرة خلقت أجيالاً من المشوهين عقلياً



أبناء، ولعلكم تذكرون أن وكالة رويتر اضطرت لتكليب نفسها مرتين عند اذاعة خبر وفاة وزير عربي، بالرغم من أن مراسلها شهد مراسم دفنه، وقد ذكرت لكم هذه الحادثة لأثبت لكم أن ملاك الموت نفسه يحتاج إلى إذن لممارسة عمله في البلاد العربية. لقد هاجرتنا بحثاً عن هاشم معقول من الحيرة، ثم اكتشفنا أننا نسرا وراءه، وهم كيب، فالرقيب العربي ينتظرنا بمقصه على الحدود، لنتم كل ما يسيء إلى سيده الديكتاتور وحكومته القمعية التي تتودد لما حكوماتكم يرغم معرفتها بما يهينها منها من ويلات.

معظم الدول العربية تقمع الصحافة ووسائل الإعلام، لأن معظم الأنظمة العربية غير أمّة وغير مستقرة، وليس أمام تلك الأنظمة من وسائل الاستمرار - كما يعتقد أصحابها - إلا أحكام السيطرة على أجهزة الأمن وأجهزة الإعلام، لذلك تفشل كل محاولات التنسيق بين الأنظمة العربية على كل الأصعدة، ولا ينجم من اجتماعات المجالس الوزارية العربية إلا اجتماعات وزراء الداخلية ووزراء الإعلام، فالكل في مركب واحد، والجميع يتعاونون على إخفاء الحقائق، وخنق المعلومات والأفكار.

بعض الغربيين يفسر ظاهرة قمع الإعلام في الوطن العربي تفسيراً مغلوفاً، فيعتقد أن المجتمعات المغلقة لا تسمح بأشكال التعبير الحر، وهؤلاء لا يعرفون أن آلة القمع السياسي التطوري هي السبب وليس المجتمعات، فقد كانت جمعياتنا تتداول بحرية كتاب ألف ليلة وليلة في القرن الحادي عشر الميلادي، أما اليوم، في القرن العشرين، فإن أكثر دولنا تحرقاً تمنع بقدره نقالة نتيجة تشكيل حلف قوتي حاكم من رجال الجيش ورجال المؤسسة الدينية ويترهم بمن يتشوق على تفويضهم وإماتاتهم تحت ظل النظام الحر لتتدفق المعلومات.

إن المواطن العربي، بعد حجب لطيفة من قطع والرقابة وسنح الصورت الواحد، يعيش في حالة عزم حقيقي عما يجري حوله، فقد وقعت فضيحة إيران - غيت وما يسمع عنها شيء، وتغير نظام الحكم في عدن بعد مقتل ستة آلاف شخص، لم يسمع من ذلك إلا بعد أن أُنشِج البيان الرسمي. وفي الأحداث الأخيرة التي أعقبت الاجتياح العراقي للكويت، ظل المواطنون العرب في معظم الأقطار العربية لا يعرفون حقيقة الوضع لمدة أسبوع، وبعد ذلك الأسبوع، توزعت الإذاعات والصحف بين طرف يتحدث عن عملية غزو، وآخر يتحدث عن عملية تحرير.

حين أُلغيت عن حق المواطن العربي في معرفة ما يجري حوله، أمّل أن تلاصقوا أيضاً بالافلسطينيين في الأراضي العربية المحتلة يتعرضون للقمع من قبل دولة يتعاونون في تصوير حرية نظامها، وأظنكم تعرفون أن إسرائيل أجبت أحد قوانين الرقابة الموضوعة منذ عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، وفرضت على كافة الصحف الفلسطينية أن تحمل كافة المواد قبل نشرها إلى الرقيب العسكري الذي مارس حقه في منع الكثير من المقالات والأخبار، ووصل به الأمر إلى حد إغلاق عدة صحف، وطرد وسجن عشرات الصحافيين، لذا أمّل أن أتمنحوا الاسرائيليين الكثير من الأعداء التفضيلية حين تناقشون قضية الحريات، لقد سمعتم ولا شك عشرات المحطب السياسية الرسمية الصادرة عن حكومات عربية تهدد بتكميم الأفواه، وتكبسر

الأفلام، ويسعدني أن أخبركم بأن هذه النخبة المباشرة في القمع الفكري لا تظهر في العادة إلا بعد فشل سياسة العصا والجزرة، وفلاس سياسة الترغيب والترهيب، فبرغم كل الشهداء الذين قدمتهم الصحافة العربية ورفض صاحب الرضاة وصاحب المنصر وأصحابها، فإن الكتاب والصحافيين العرب الأحرار مازالوا يصارعون بنجاح للحصول على المزيد من الحريات السياسية والإعلامية لهم ولشعوبهم المشكوة بأكثر من ديكتاتور وأكثر من جلاّد. وقد بدأت تصفيحات الصحافيين والكتاب العرب تغطي بعض الثأر، فحين نسمع الآن أصوات الاينيازات الداخلية لألة القمع الفكري التي عاتبنا منها طويلاً، لكننا لم نياس من قدوم ذلك اليوم الذي سنشهد فيه الانبهار الكامل لمؤسسات القمع والإرهاب.

نحن ندرك تماماً أن ذلك الصراع طويل ومبرر، ولا نطلب، بعد الضغوط على حكوماتنا التي نعرف أنكم تحاربونها بشكل طبيعي، إلا أن نلتصقوا بحكوماتكم بالتوقف عن ممارسة سياسة الوجهين، لأن ازدواجية الموقف تخلق عدم الثقة وتحطم جسور التفاهم بين الشعوب، وتقرب مثال إلى ذهني أستطيع تقديمه لكم الآن هو موقف وزير الدفاع الفرنسي (شوفنان) الذي أظهر الكثير من الاعتدال في تصريحاته حول أزمة الخليج، والحقيقة أن المواطن العربي الذي عانى دائماً من سياسة الوجهين الأخرى في الغرب، لم ينظر إلى (شوفنان) كرجل سلام، بل ترجم تلك التصريحات على أنها محاولة لحيلة الدبوت الفرنسية، وقبح الطريق أمام الشركات الفرنسية للاستمرار في تحقيق بلايين الأرباح من تجارة السلاح.

بالإضافة إلى مماثلتها من سياسة الوجهين، نحن نعانى أيضاً من الاحتكارات معينة نعرفها ونعترفها، ولعل هذا الاحتياز من أقوى الأسباب التي دفعتني أيضاً إلى عدم الخوض في التسميات والتفاصيل، لعرفني من خلال التجربة مع الإعلام العربي بأن كل اتجاه أو تيار أو حزب أو جريدة يأخذ ما يناسبه من تلك التفاصيل لعدم وجهات النظر التي تقدم مصالحه، ثم يعمل لتضليل الحريات الأساسية لشعوب عروبة من أبسط حقوق الرأى والتعبير.

الأنظمة العربية تقول هذه الأيام إن البلاد التي تغطي بعض الحواشير حرية الصحافة يعيبها الخراب، وتضرب مثلاً على ذلك الكويت وليتان، أما الكتاب العرب الأحرار فيعتقدون أن الخراب الأعظم يعيب الدول التي تضع شرطاً سلباً أمام رأس كل مواطن، فالدمار الذي أصاب الكويت وليتان، يمكن إصلاحه، ستوات، أما الخراب والتشويه الذي يعيب عقول المواطنين الحاضعين للإعلام الرسمي الوجه، فيحتاج إلى عشرات السنين لحو آثاره المدمرة من نفوس الأجيال التي تمت تربيتها تحت شبح رصاصة الخبير وقصص الرقيب.

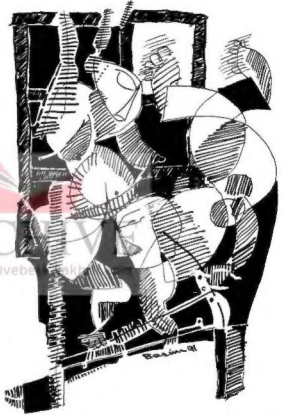
أتمنى أن تتسكن معاً من خلق عالم أفضل تنصهر فيه المبادئ على المصالح، وتتبنى منه شرع وفريه كافة أشكال القمع الفكري المباشر كما يحدث في بلادنا التي تتبع الأساليب البدائية للسيطرة على البشر، والقمع المطن كما يحدث في بلادكم التي تطورت فيها أساليب السيطرة على المعلول. □

- (١) رئيس "الجبهة الوطنية، الجبهة المصرية للتحرير التي تنهوا إلى طرد الأجانب من فرنسا.
- (٢) المنظمة العالمية للدفاع عن حقوق الإنسان.
- (٣) معاصرة الكويت في التفتير.
- (٤) تعلق في باريس في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٠، بشارف منظمة "صحافة بلا حدود" الفرنسية.

# قصيدة باريسية

عَروساً  
عروساً  
فتحتفل الضفَّتَانِ  
لماذا صَحَا؟  
أترأه نبياً سيختبر الشعلة المستحيلة  
أرم عصاك  
تصر بلأذن الرمال غزالاً  
وجادل بها زاهداً في لسانك  
ها إنها تترك العالمين  
لترم يديك إليها  
سيتقلب الكون مزرعة تحت كفِّك  
كان يقول لصورته المخدي  
لاأرى «الإنسان» طفلاً يحاول لعبته  
المخدي قبل أن يطرد الموج مركبتي  
المخدي مع هذا البياض  
ستأتي الحضارة والمفسدون  
سيأتي المحبون والسفهاء  
ويأتي أبي أو غريمي  
فتخون الغزاة عهد النبي  
عارياً... ما الذي يدفع النار كلَّ شتاء

إلى جسدي  
ثم يأخذها كلها هطل الصيف فوق جمجمتي  
عارياً من ثياب الولادة والانتهاء  
أسمي غيابك معجزة  
والطريق إلى الهدم الاصطناعي لغز الحلول  
تري نهزم الوحش لوفك طلسمنا  
أترأه تصيرين فاكهة المزرعة؟  
هنا «الإنسان»: أسئلة وفطام وكفّ تودّع  
حاملها  
- كيف حالك؟  
- أنتظر الطائرة. □



حافظ محفوظ

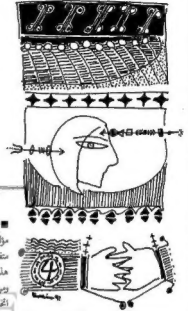
شاعر من تونس

■ عارياً كالزجاج صَحَا فجأة  
من سبات الرمال البعيدة  
كان يقول لصورته المخدي  
كأن أرى جسدي مثلما كان  
هشاً ومعتقاً وعزيراً كضحكتها  
عارياً من جميع اللغات  
تعلم أغنية الريح:  
النهر يقتصب الزائرات



# الحكومة دينية والحكام مقدسون

خالد زيادة



هذه المسائل، وغيرها الكثير، تشكل جانباً من القضايا التي أثارها محمد سعيد المشاوي في مؤلفاته. خصوصاً أنه خاض جدالات مع وجهات نظر تعبر عنها الحركات الإسلامية في مصر. دون أن يحتل الجدل مع الأزهر أي حيز في أعماله، التي طال بعضها قرار المنع والرجوع عنه بعد وقت قصير.

والمؤلف في الأصل رجل قانون شغل مناصب قضائية عالية: رئيس محكمة الجنايات - وكيل الإدارة العامة للتشريع - رئيس محكمة استئناف القاهرة العليا للأحوال الشخصية - وهو فضلاً عن هذه المناصب التي احتلها استاذ جامعي محاضر في مواد: أصول الدين - الشريعة الإسلامية - القانون المقارن. وهذا يعني أن عمله القضائي أو التدريس يتصل اتصالاً مباشراً بالقضايا الدينية أصولاً وفروعاً. ولهذا السبب فإن مؤلفاته العديدة تتعلق بموضوعات يدور حولها الجدل الفقهي، عدا عن مؤلفات أخرى هي بمثابة رؤى وجدانية وفلسفية غير من خلافا عن بعض نظراته ومواقفه الفكرية. وأبرز مؤلفات المشاوي: رسالة الوجود - ضمير العصر - حصاد العقل - أصول الشريعة - جوهر الإسلام - روح العدالة - الربا والفائدة في الإسلام - شؤون إسلامية - الجهاد في الإسلام - وغيرها. وهي مؤلفات بالبرية والانكليزية على السواء.

ونعرض هنا آراء المشاوي في كتابه «الإسلام السياسي»، وقد صدر في طبعين ١٩٨٧ و ١٩٨٨ عن دار سينما للنشر في القاهرة. ويضم الكتاب عشرة فصول أو أقسام، يتعلق نصفها الأول بموضوع الكتاب أي الاتجاهات لتأسيس العمل الإسلامي، أما النصف الآخر فيتعلق بقضايا أثارت في الجدالات الدائرة في النصف المصري حول ما كان أورده المؤلف سابقاً من آراء في مؤلفات سابقة له، منذ مطلع الثمانينات، بعد أن أصدر الرئيس أنور السادات أمره إلى رئيس مجلس الشعب: «وبالمعنى القوي لاستخراج القوانين من النصيحة فهدياً لتطبيقها... فتألفت اللجان من العلماء ورجال القانون وسارت في عملها... ثم حصلت شكوى من رجال القضاء والحاماة من

■ أثار قرار الأزهر ومنتج تداول عدد من مؤلفات محمد سعيد المشاوي، ردود فعل متفاوتة، صبب بعضها في الاعتراض على مثل هذا القرار، الذي لم يكن الأول من نوعه. ومن المعلوم أن بعض القرارات المماثلة التي اتخذتها منذ سنوات عديدة عازلت سارية المفعول حتى يومنا هذا. ومن ذلك منع تداول رواية «نجيب محفوظ» وأولاد حتراته» في مطلع الثمانينات. ويمكن أن يدور التساؤل حول نوع السلطة التي يمثلها علماء الأزهر وحلدها. والأمر الواضح في هذا المجال أن الأزهر يمثل أعلى هيئة دينية في مصر. وفي هذا السياق فإن شيخه وسائر علمائه الكبار يمثلون السلطة الدينية في مصر فحسب، ذلك أن القرارات التي تتخذ من جانبه لا تعدى في جانبها الاجرائي حدود مصر نفسها، بالرغم من الموقع المميز الذي يحتله الأزهر على الصعيد المعنوي في سائر العالم الإسلامي.

والواقع أن الأمر لم يحدده المحدث يطرح إشكالاً؛ فالأزهر الذي كان دائماً - منذ عشرة قرون متوالية - يمثل موقعاً كبيراً كجامعة دينية وعلمية، لا يستطيع أن يصدر حالياً من القرارات إلا ما يسري تنفيذه في حدود مصر، أي في إطار ما ينص عليه الدستور الذي يرسم حدود دولة مصر، ويجعلها القلياً تسري ضمن القوانين الحكومية الرسمية، فضلاً عن أن الأزهر يخضع علمياً وأدبياً الدستور المصري المدني ولا يستطيع أن يصدر من القرارات أو من «الفتاوى» إلا ما يسري تنفيذه في حدود «الأقاليم» أو «القطر» الذي ينتمي إليه، هذا إذا أخذت الحكومة بهذه الفترة أو القرار. مع العلم أن شيوخ الأزهر الذين يعطون لأنفسهم صفة السلطة الدينية، يخضعون لسلطة الدولة التي تعتبر الإسلام ديناً للدولة، وتعتبر الشريعة ركناً من أركان الدستور، مع ما يعني ذلك من إقامة توافق بين القوانين الوضعية وبين أحكام الشريعة وفرواده الفتنة.

الصياغة الحديثة للقوانين عما يشكل صعوبة أمامهم» (ص ٢١٣).  
فأثير جدل حول كل ذلك على صفحات الجرائد، شارك فيه المشايرو. وأثارت آراؤه بعض الاعتراضات ما يعني ان الجدل حول ما يكتبه ليس جديداً.

يعلم المشايرو موقفه من الإسلام السياسي في الأسطر الأولى التي يستعملها كتابه فيقول: «أراد الله للإسلام ان يكون ديناً، وأراد به الناس ان يكون سياسة» (ص ٧). وفي سبيل شرح فكرته يعود إلى التاريخ منذ ما قبل مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. ويميز حكومة النبي (صلمه) التي يقول عنها إنها حكومة الله: «تؤسس على كل القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية، ولا تمنح أبداً إلى أخلاقيات السياسة وسلوكياتها، انها حكومة من نوع خاص، لا توجد إلا حياً بوجود نبي، ولا نبي بعد محمد (صلمه)» (ص ٨).

ويرى ان الأمور انقلبت إلى سياسة أيام عثمان بن عفان. فالحجالات التي ظهرت منذ ذلك الوقت هي خلافات سياسية في جوهرها ما أعاد المسلمين إلى عادات الجاهلية وتبنيها والعصبيات القبلية التي أراد الإسلام تلجوئها. ما أدى إلى خلط الدين بالسياسة، وهذا الخلط أي: «تسييس الدين وتدين السياسة، فرق المسلمين شعباً وطقاً، كل منها يعصم بأهليته من القرآن ويتحدى بأحدثه للنبي...» (ص ١٢).

ويوضح الفرق بين حاجة أي مجتمع إلى حكومة، وبين ما يمس بالحكومة الإسلامية. وإذا كان الإسلام بحاجة إلى نهضة، فينبغي ان تكون في عالم تجريد الروح وتخليص العقل، وليس في استعراغ الإسلام في شكل سياسي واستخواء الدين في صيغة حزبية (ص ٢٥). ويلاحظ أيضاً ان تيار السياسة الدينية ينتهز الأزمات الاقتصادية وما يشعر به كل من احاط دائم، فلا يسعى لتقديم الحلول العملية، وإنما يستغل الوضع لأغراضه وأهدافه ليشبع ان تطبيق شرع الله يؤدي إلى انقراض كل أزمة وتحقيق أي أمل ورصا، كل فرد (ص ١٨).

يعالج في فصل ثانٍ مسألة «حاكمة الله»، وهي متصلة بتسييس الدين، الأمر الذي نشأ أول ما نشأ في بلاد الهند، حيث ظهر تيار متشد متعصب. ويذكر في هذا السياق أبو الأعلى المودودي وخصوصاً في كتاب له يحمل عنوان «الحكومة الإسلامية»، ينتقي فيه - حسب رأي المشايرو - ما يناسبه ويخفى ما يعارضه. وقد انتقلت آراء المودودي إلى مصر فظهر كتاب دعاء في الطريق» وهو كتاب يعرض ذات التبرير العقائدي والتوسيع الحزبي بأسلوب ياحت (ص ٢٥). وهكذا يبين المشايرو أولئك الذين يخوض معهم الجدل، ويمترض على آرائهم، فهو يقصد جماعة الإخوان المسلمين ودعوتهم سيد قطب دون ان يذكره أو يذكرهم بالاسم.

ومن الناحية التاريخية يرد المؤلف ان القول «بحاكمة الله» هي دعوى تعود إلى ما قبل القرآن والإسلام. هكذا كان الفارعة وكذلك الرومان. أما في تاريخ الإسلام فإن الفاتلين بحكم الله هم الخوارج، الذين خرجوا عن جماعة المسلمين: «وكان أفراد هذه الجماعة يشبهون على علي بن أبي طالب كلما دخل المسجد مهللين في وجهه، لا حكم إلا لله؛ يريدون بذلك ان يلوده إلى التحكم هو ضد إرادة الله، واته

كان يتعين ان تستمر الحرب حتى يظهر حكم الله. وكان علي بن أبي طالب، كلنا وجهه هؤلاء الخوارج بشعارهم «لا حكم إلا لله» يقول عنها: قوله حق يراد بها باطل» (ص ٢٩). ويرى المؤلف أيضاً بان فكرة حاكمة الله قد نقلها عن الخوارج من وضعها في خدمة سلطته أي معاوية بن أبي سفيان (ص ٣٣). أما فكرة الدين السياسي، فيذهب المشايرو إلى انها فكرة يهودية، ولا يمكن ان تكون إسلامية. ويقول: «لقد سار الفكر الإسلامي في خطى اليهودية، دون ان ينتبه للفارق بين جوهر رسالة موسى ويوهر رسالة محمد (صلمه). وإن الأولى رسالة تشرع بيننا الثانية رسالة راحة وأخلاق» (ص ٣٦). فالتشريع في القرآن، من الناحية العددية، لا يحتل سوى جزء بسيط من مجمل آيات القرآن (من ٦٠٠٠ آية هناك ٨٠ آية تشريعية)، أي ما نسبته ١/٧٥ فقط. مما يفيد بان القرآن ليس كتاب تشريع.

ماذا من الحكم في القرآن؟ يرى المؤلف ان اصداك الحكم في القرآن لا يعني السلطة السياسية، بقدر ما يعني القضاء بين الناس والفصل بين الخصومات أو الرشد والحكمة (ص ٣٨). أما السلطة السياسية بالمعنى المعاصر، فقد عبر عنها القرآن بألفاظ والأمر. ومن هنا الآيات: «وشاورهم في الأمر» آل عمران ١٥٩

«حتى إذا شئتم وتنازعتم في الأمر» آل عمران ٣: ١٥٢

«فيقولون هل لنا من الأمر من شيء» آل عمران ٣: ١٥٤

ولي جميع الأحوال نجد ان يسنشد بآيات القرآن ان يضعها في نصابها التاريخي، أي ان تكون له معرفة بأسباب التنزيل ومن هنا فإن الآية «ومن لم يملك بما أزل الله فأولئك هم الكافرون»، التي يستدل بها القائلون بالحكومة الإسلامية، فينبغي ان تعرف انها نزلت في واقعة محددة، والمقصود - بالكافرون - هم اليهود. الخ (ص ٤١). والقرآن ليس كتاب شرعية، وكذلك فإن الإسلام ليس دين تشريع. فقد اجتهدت الأمة طوال التاريخ الإسلامي، اجتهد عمر بن الخطاب في العديد من المسائل، وشرع الفقهاء أنظمة لم ترد في القرآن أو السنة مثل نظام الوقت الأملي (ص ٤٦). وفي المسائل المدنية شرعت الأمة لنفسها كل أحكام المعاملات المدنية والتجارية. وفي المسائل الجزائية وضع الفقهاء شروط تطبيق كل حد وعقوبة مقدرة من العقوبات الأربع الواردة في القرآن وورفع الله ما يسمى بنظام التعزير» (ص ٤٧).

يضاف إلى ذلك مسألة إيفاء العمل ببعض الأحكام: فقد أوقف عصر من الخطاب حد السرقة في عام المجاعة، وأوقف الفقه بعض أنواع البيع مع ان الآية تقول: «وأحل الله البيع وحرم الربا» كذلك منع عصر من الخطاب زواج النعمة. وما ان الأحكام المتعلقة بالرق قد توقفت بعد منع الرق أصلاً.

فهل يمكن القول - وهذا ما يتساءله المؤلف - ان القوانين المعمول بها في مصر، حيث يجري النقاش، هي قوانين كافرة. إن مثل هذا القول لا يعني سوى الخروج عن النظام ومطالبة المسلمين للمسلمين (ص ٥٤). وليس في الإسلام - حسب رأي - سلطة يحق لها تفسير النصوص أو تطبيق الشريعة دون غيرها. والآية: «وفاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمونه» التي تنزع من سياقها، لا تعني ان هناك فئة يحق لها ان تفسر القرآن وتطبق الشريعة دون غيرها.

## الأزهر يخضع عملياً لروح الدستور المصري المدني



# العاطفة الهستيرية

عندما يصبح المواطن  
ارهابياً

بالنيابة عن الدولة

محمد فتحي



■ يتطوّر من يعتقد ان ما حدث للكتاب المصري علاء حامد هو تصفية حساب مع شخص انته المطاول على الرموز الدينية، أو ردع للكتاب المصري عن محاولة الخوض في موضوعات تمس الجانب المنوع في المجتمع، بل هي ظاهرة أعمدة في التصاعد، جارية معها أية محاولة لرفع الصوت بشكل أيّ كان توجّه هذا الصوت ودرجة حدته وأياً كان نوعه. وإلغاء نظرة على المشهد القائم هذه الظاهرة بعملائنا نترك - دون جهد كبير- ان القمع الذي تحارسه السلطة في العالم العربي - بكل أشكالها ومركزاتها - لم يعد في حاجة إلى مبررات دينية كهي يمارس نشاطه، بل امتد ليراجع قطاعات لم تكن حتى وقت قريب عرضة للسلق والاهتمام بهذا الشكل الذي يدعو للرهاء أكثر من أي شيء آخر.

ورغم ان الظاهرة ليست جديدة، فإزالم ما حدث مع طه حسين وكتابه والشعر الجاهلي - في بدايات هذا القرن - مثلاً للعبان، وما زالت المظاهرات التي لحقت به وعلى عبدالرازق بسبب كتابه والإسلام وأصول الحكم تقيع في الذاكرة، إلا ان الجند والمليز للعدنة ان القمع قد بدأ يحتل مواقع جديدة لم يكن من المعتاد ان

ويستند بشدة الفاتلين بجماعية القرن العشرين، والذين يسمون العالم إلى دار إسلام ودار حرب، فهذا التقسيم لم يرد في القرآن، ولا في الأحاديث النبوية لكنه من عمل الفقهاء. وقد حان الوقت للمؤلف عنه، حتى يظهر للإسلام وجهه الحقيقي في التسليم والمساواة والسلام (ص ٨٧). وحصوله الرأي عند العشائري: ان نظام أو شكل الحكومة في العصور الوسطى لم يعد ملائماً بأي حال للعصر الحالي.. وان الإسلام لا يوصي ولا يشترط حكومة من نوع خاص، ولم يضع أو ينظم أي شكل للحكومة، وهو - على الاطلاق - ضد ما يسمى بالحكومة الدينية التي تضفي عصمة أو قداسة على الحكام، فيعملون بذلك ضد مصالح الناس وضد الحرية والعدل (ص ٩١). ويعالج مسألة الجهاد التي يرى انها تطورت من المجاهدة زمن مكة إلى معنى عمارية مشتركى مكة إلى عمارية اليهود قبل فتح مكة. إلا ان معنى الجهاد في الإسلام هو مجاهدة النفس على المكاء ومكابدة الذات على المصائب (ص ١٠١). وقد انتشر الإسلام سلباً أكثر مما انتشر حراً (ص ١٠٥).

إن انتقاد مبدأ الدولة الدينية يسيطر على الكتاب، هذا يجزم بأن القرآن الكريم لم يتضمن أية آية ما يعتبر مبادئ دستورية، تنظيم رئاسة المسلمين، وطريقة انتخاب الرئيس وأسلوب عمله.. الخ (ص ١١٥) وفي سياق تحقيق لفكرة الإسلام دين ودولة بعيد التفكير إلى عبدالرزاق السنهوري الذي كتب عام ١٩٢٩ مثلاً بعنوان: والدين والدولة في الإسلام، وفي وقت سطر فيه جو المواقف الجباشة بعد إلغاء الخلافة أو استبدالها، ويعد ليجتق هذا الأمر في القرآن والسنة، ويرى بأن جبهة الفقهاء الإسلاميين محقون على ان نظام الحكم في الإسلام ليس من أصول الدين أو الشريعة (ص ١٥٩).

وفي مسألة تطبيق الشريعة يقرر الرأي الجليسم التالي: دعوى تقنين الشريعة أو تطبيقها، وإيجاز شديد يشبه المجال، ان اخذت من جانب الدين والشريعة والعلم والعقل بدأ انها دعوى غير داع. وصحية لا مبرها، ونداء لا حق فيه، لما سلف بيانه من توافق القوانين المدنية المصرية، وقوانين الأحوال الشخصية، والقوانين الاجرائية، مع أحكام الشريعة والفقه... أما حين يُطرح لدعوى تقنين الشريعة كشعار يرفع أو سياسة تتبع، أو قول للمزايعة، أو هدف للوصول إلى السلطة، فإنه يكون لمرأ خطيراً جداً، يهدد صميم الدين ويخلط بين ما أنزل الله وما جاء به الناس، وينقض النظام القانوني المصري، ويقوض الثقة وأحكام الحاكم المصرية على مدى قرن كامل (ص ١٨٦). نلاحظ لدى قراءة المشايخي ان نقاشه يدور مع آثار الحركات الاسلامية داخل مصر فحسب. فلا يتطابق الآراء التي تبرز خارجها وان اتسمت إلى ذات الانتماءات وعبرت عن الأفكار نفسها. ومع ذلك فإنه يستند في حججه وبناء أفكاره على آراء العديد من كبار الفقهاء مثل ابن عابدين الذين يقول: «كثير من الأحكام يختلف يختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله وحملوت ضرورية أو فساد الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزعم منه المشقة والضرر بالناس والشريعة وأحكام قواعد الشريعة الإسلامية البنية على التخفيف ورفع الضرر وتزويجهم الذي قال: «إن الأحكام قد تختلف باختلاف الزمان»، وكذلك رأي الإمام الطوفي: «إذا تعارض النص مع المصلحة قدمت المصلحة على النص..» الخ (ص ١٩٠). □

يجادل بمن  
يستترشد  
بآيات القرآن  
ان يضعها في  
نصابها  
التاريخي

يصل إليها أو يوجهها لحاربه، فعل هذا هذا القرن، كانت العادة أن يكون الكتاب هم أصحاب التعصّب الأكبر من المصادرة والقهر والانحياز بالخروج على المعتدات الدينية والواضعات الاجتماعية، ولكن عقد السبعينات الذي شهد أكبر انتكاسة عربية معاصرة للمشروع الوطني والقومي، على يد السادات في مصر، من خلال معاهدة «كاسب دايفد» التجريبية، وتدمير البنية الاقتصادية من خلال ما عُرف بالانفتاح، بالإضافة إلى مشاهد أخرى متفرقة في أرجاء العالم العربي - هذا المقدّم المسالوي بدأ يفرز الآن ثلثه المرة متجاوزاً أكثر التوقعات نشأوا، فمن كان يعتقد أن يصل الأمر إلى حد توجيه هجمة الخروج على الدين إلى مطرب بسبب أغنية ليس لها علاقة بالدين من قريب أو بعيد، وتقصّد بذلك الواقعة المعروفة عندما تقدم أحد المواطنين ببلاغ إلى النائب العام ضد الموسيقار محمد عبدالوهاب في عام ١٩٨٩ منهاً إليه بترويج الأحاديث في أغنية من غير له، ولولا شهرة هذا المطرب وموقعه القريب من السلطة ومكانته الخاصة لتعرض للمصير نفسه الذي يتعرض له الآن كاتب مغفور مثل علاء حامد. ورغم المسافة المائلة بين الحالتين إلا أنه من الطريف أن التهم هي نفسها والبيانات هي ذاتها تماماً، قد استخدمت، متجاهلة الاختلاف البين في توجهات الرجلين ونوعية الأدلة.

أمن كان يصور أن يصادر كتاب مثل معتدته في فئة اللغة العربية للدكتور لويس عوض، لآه بقدر أن اللغة العربية مثل أي لغة بشرية يجوز عليها ما يجوز على بقية اللغات؟! هنا ما أنتم إلا محمد جديد القمع المظلم الذي يخرج من حادثة للكتاب والكتاب، إلى دوائر أكثر اتساعاً تشمل الحياة بكافة نشاطاتها. والمثير للفرح أن هذا الحميد الجديد قد ارتبط بقرن موطنين حاليين بدور كلاب الحراسة للسلطة القائمة، بعد أن كان المواطن الجاهلي، حتى فترة قريبة يتعاطف تلقائياً مع كل ما هو معاد للسلطة ويتواريها، ولكن استخدام أدوات جديدة للقمع والمظلم وعلى رأسها الدين، جعل الصورة مختلفة، والقاصحهم تشدّدات لدى الغالبية العظمى من المواطنين. وقت على مدار سنوات طويلة عملية غسل دماغ شاملة، أتاحت للسلطة القائمة ليس فقط الاستفراد بالقوى الديمقراطية، بل واستخدام السكان كوكيل سياسي يبلغ عن أي شخص يفكر في معاداة السلطة أو الخروج على المنوع، معقدين في ذلك، أنهم إنما يجاريون أفكار معادية للدين أو التنازل أو التزات. وليس أدل على ذلك من أن معظم القضايا الساخنة التي مثلت اعتداء صارخاً على التعبير في الفترات الأخيرة، فيها مواطنون عاديون ليس لهم علاقة بالثكر أو الأدب أو الفن، بل انطلاقاً من اعتقادهم أن هذه الأعمال تنتهك حرمة الدين.

فالذي فجر قضية «علاء حامد» مثلاً، مواطن عادي يعمل معه في مصلحة الحكومية نفسها، وقام متبراً لوجه الله ببلاغ الأثر موجود رواية تحجّف بالاديان، وآه يجب مصادرها بمحاكمة كاتبها. .. الخ. .. الخ، فما كان من الأثر إلا أن قام بدوره، على خير وجه. ومرة أخرى نجد أن الذي طالب بمحاكمة لويس عوض على كتابه «مقدمة في فقه اللغة العربية» هو مواطن عادي، قام متبراً أيضاً برفع دعوة قضائية ضد وزارة الثقافة مطالباً فيها باسترداد جائزة الدولة التقديرية التي منحت للدكتور عوض عام ١٩٨٩م، ومرة ثالثة فإن الذي قدم اتهاماً

ضد المطرب محمد عبدالوهاب بسبب أغنيته الشهيرة، كان أيضاً مواطناً عادياً.

إن نحن أمام امتداد مرعب للإرهاب الفكري الذي تزعمه الدولة، ويقوم به الآن مواطنون عاديون بالنبالة هنا، وفي هذا جناح كامل للهدف الذي بدأ منذ أكثر من عشرين عاماً: تحويل المواطن إلى عين أخرى متلصصة على كل ما هو منأى للسلطة وضارب لها في جذورها.

ولعل قضية علاء حامد الشهيرة مثال عزن للإرهاب الذي لم يعد هناك ما يوقفه، أو حتى ما يقلل من حدته، فقد حكم على كاتب الرواية بالسجن ثلاث سنوات وغرامة مالية ضخمة ٢٥٠٠ جنيه مصري، علماً بأن النص القانوني المتعلق بهذه العقوبة في حدة الأقصى هو خمس سنوات وليس ثلاث، حتى في حالة الطوارئ الفعالة، مما أثار موجة عارمة من الغضب بين المثقفين المصريين والعرب. وقد حدثت واقعة مماثلة تماماً في حبيشها، مختلفة في نتائجها، وذلك عندما أفتى الأزهر عام ١٩٥٩م (لاحظ أنه الجهة نفسها التي قاومت علاء حامد) بأن رواية تجيب عيوب الشريعة وأولاد حارثاته التي كانت تنشر سلسلة في تلك الوقت في جريدة «الأهرام»، هي رواية تحجّف بالآديان، ويجب إيقاف نشرها، ولكن السراي العام والقوى الديمقراطية في ذلك الوقت وعلى رأسها محمد حسين ميكله وليس تحرير «الأهرام»، حاولوا دفع موجة نشر الرواية، سلسلة حتى النهاية، على صفحات الجريدة حتى لا يتسليطوا الحيلولة دون منعها من الصدور في كتابه بمصر. إلا أن اللافت، من أحد ما فهمهم الأزهر لم يطلب بمحاكمة الكاتب أو طرده من عمله، كما حدث في حالة «علاء حامد».

إن نحن أمام تصاعد جيتيري في حدة ودرجة القمع إلى الحد الذي يجعلنا نقف أمام إحدى مقولات «ليني بريل» في كتابه الشهير «المعقولة البديائية»، وعندما وصف هذه المعقولة بأنها: - «تفاعلية، بمعنى أن البعد العاطفي البالغ فيه سلباً أو إيجاباً هو المسيطر».

- لا تسيب، «بمعنى أنها تعطي للظواهر أسباباً خارجية عنها».

- لا عقلانية، بمعنى افتقاد صلة الرسل بين المعطيات والتناجح.

فهو ما قاله «ليني بريل» في بدايات هذا القرن، مازال يطبق في جانب كبير منه علينا؟ وذلك رغم تراجع هذه النظرية في جوانب كثيرة منها؟ وإلا لماذا نقرأ الحيلة التي تشدها الآن مصر ضد فيلم «ناجي العلي» الذي قام بتصوير حياة أليكساندر كاتريشيف، فقد أرسل أحد المواطنين ويدعى «عمود الزهرى» وهو مزارع من سوهاج قائلاً: «بعدما سمعت قرأت عن ناجي العلي، وجدت نفسي أقول لو كان ناجي العلي على قيد الحياة لقتلته وأثارت مصر أم الدنيا، بينما كتب مواطن آخر يدعى «أبست سنجر» وهو طالب جامعي: «بعد مشاهدتي لفيلم ناجي العلي أحسست بالثار تستمر في جسدي، وبعد كل مصري، ولن يطفى هذه النار سوى حرق جميع نسخ هذا الفيلم ومحاكمة كل من اشترك فيه بنهضة الحياة لمصر، بينما كتب ثالث، وهو لواء متقاعد يدعى «محمد محمود صبري»: «إذا أراد الفنان حق الشرف أن يغير الشعب المصري له ولتة ويعطوهم ازكية في نور مصر، عليه أن يجمع كل شرائط فيلم ناجي العلي في الداخل

مواطن من

«سوهاج»

يريد قتل

ناجي العلي...

وطالب

جامعي يريد

حرق جميع

نسخ الفيلم

الماضي كمخبط فط لمواجهة التيارات الليبرالية والبسارية، والأنا أصبح التحدي الحقيقي للسلطة يأتي من التيار الديني المتطرف أو من التيار الديني المستر، وكلاهما قام الأهر بمواجهته وعبرته بجملة يمسد عليها، وليس أدل على ذلك من قيام رجال الأهر بأصدار الفتاوى وتنفيذها بأنفسهم، كما حدث في (معرض الكتاب بالقدس) ١٩٩٢، عندما اتهم هؤلاء قاعات المعرض، وقاموا بمصادرة حصة كتب للمستشار وعبد سعيد المشعراوي، الذي يُعرف بأنه من التيار الإسلامي الليبرالي، وله عشرات الكتب في النقد الإسلامي والقانون، واتهمه الدين الذي ليس موضع شك، بالإضافة إلى معرفته العميقة بدقائق النقد الإسلامي، إلا أن ذلك لم يرهه من مطاردة الفكر الديني المحافظ له والذي هو أحد ركائز السلطة القائمة، والذي يتصف بصفتها.

\*\*\*

ثالثاً: وسائل الإعلام الرسمية هي الأداة الثانية التي تستخدمها السلطة القائمة، والتي تفل منذ فترة طويلة على رعاية مؤثراً لكل ما تقوم به تلك السلطة من إجراءات، والمذهب في هذا، أن وسائل الإعلام هذه يمكن أن تغير لونها ووجهاتها بين يوم وليلة بما يناسب ما يُطلب منها، وليس أدل على ذلك من رحلة السادات الشهيرة إلى القدس، عندما تحولت إسرائيل فجأة إلى جبار طيب لا بد من السلام معه بعد أن كانت على مدار الفترة السابقة العدو الأول للعرب الذي يجب كسر شوكرته ومواجهته بقوة. حدث ذلك دون أي اعتبار لشعائر المواطنين ونعائهم الراسخة منذ أربعين عاماً بعصرية الدولة الإسرائيلية (وعبدالتيارها، وعندما فهم حقيقي لفهمه التطبيع على الشؤنيين التتالي والنصي، والذي يتطلب عدة سنوات من اظهار حسن النيات الذي يؤكده الرغبة في السلام الحقيقي ومصداقية اسرائيل كجبار يمكن كف شره، ولكن للشك في وسائل الإعلام الرسمية التي تفكرها سلطة قائمة، هي مجرد مذهب لأوامر قد تتغير من وقت إلى آخر، تبعاً لنتيجة السياسي الذي تلمه السلطة وليس فاعمة القامرين على هذه الوسائل.

ولعل المثال الآخر المعروف هو تلك الثقة المفاجئة التي أعقبت وفاة الرئيس الراحل (جمال عبدالناصر) حيث انقلبت وسائل الإعلام من التمجيد المطلق لصفاته التزم للملهم على مدار ثمانية عشر عاماً متوالية، إلى التشهير الذي تقرب من حد اتهام بالخيانة، حدث هذا أيضاً بين يوم وليلة، كي يؤكد مرة أخرى عدم مصداقية هذه الوسائل إلا كملية لطلبات السلطة أيأ كان عتبة ما يطلب منها وتتناقص، وهي في ذلك تتسق مع توجهها كأداة من أدوات القمع.

بالإضافة إلى أدوات قائمة بشكل مباشر أو غير مباشر. وهكذا تستخدم السلطة القائمة كل الأدوات للتحليلية دون وجود وعي وصحي قد يوتي في النهاية إلى انهيارها، وبالتالي فلا بد من أن ندرك أن الحكم بالسجن على الكاتب علاء حامد، أو منع كتب سعيد المشعراوي من الصدور، أو مهاجمة فيلم ونابلي (العمل، أو مناقشة من على أعتبة غاملاً، كل هذه الظواهر لا تتصل، ولا يمكن أن تكون بمنزلة من تعاضد الإرهاب الديني والفكري، وتلغي القمع بكل أشكاله، وبالتالي فإن علينا الدفاع عن حقنا الأخير في مواجهة السلطة القائمة التي تريد إغداثنا إلى العصور الوسطى. □

والخارج، ويقوم بنفسه بأمراتها في حضور جميع أجهزة الإعلام وأمام قبر الرعم أنور السادات.

لاحظ هنا أن الحملة قادتها جريدة وأخبار اليوم (الحكومية، ولاحظ أيضاً أن جميع الرسائل تحتوي على (الحرق - القتل - الخيانة)، كما أن الذين كتبواهم هم شرائع اجتماعية وثقافية مختلفة، فالحدهم طالب جنسي، والآخر لواء متقاعد، وثالث مزورح. إلا أن هجة التشجيع والانفعال متساوية تقريباً بحيث لا تستطيع أن تفرق بين كليات الطلاب الجامعي (القاعري) والزراع الذي كتب من سواحج. لقد نجحت عملية التجنيد في خلق طابور سادس من المواطنين الذين يتكون السلطة القائمة عنه البحث وتوجيه الإهماء، وبعد أكثر من عشرين عاماً من الديبلوماسية وضرب القوى الديموقراطية وعلى رأسها اليسار، وإتاحة الفرصة أمام قوى البين الذي للظهور والانتشار الحزب الذي بدأ يتبدد من الأسراق. كانت التظاهرة عفوية تقاطعت عريضة من المواطنين، وقد اتحدت في هذه العملية الطويلة المنظمة على ثلاث أدوات رئيسية:

أولاً: المؤسسة الدينية الرسمية، التي يمثلها الأهر بكل هيئاته، قامت بدور لا نظير له في ضرب القوى اليسارية من ناحية، وفي تيرير ما تقوم به السلطة من عمليات قمع من ناحية أخرى، ولعل أشهر الأمثلة على ذلك ما حدث في كانون الثاني /يناير عام ١٩٧٧، حينما تظاهر المواطنون احتجاجاً على الارتفاع الجنوني في الأسعار، وطالبوا بالانحياز الحزب الذي بدأ يتبدد من الأسراق. كانت التظاهرة عفوية وشاملة، ولم تكن أي قوة سياسية تستطيع التنبؤ بها على هذا النحو الذي شمل مصر من الإسكندرية حتى إسرائيلا، وسم تظاهرات مختلفة من المواطنين. وكما هو العادة حالاً السلطة التصدي بكل عصب مستخدمة قوت الشرط والأمن المركزي أولاً، ثم بعد ذلك قوات الجيش بسلحتها الثقيلة، ولكن بدأ أن وقت الأضرابات التي استمرت يومين أمر مستحيل، فما كان من السلطة إلا أن استخدمت سلاحها الأنص، وهو الأرض، فطعم التظاهرة برامجه العادية ليطلع عليها الشيخ عبدالجلم محمد شيخ الجامع الأهر في ذلك الوقت، مؤكداً أن هذه الأضرابات عمل من أعمال الشيطان يراد بها الدمار لمصر وشعبها، وأن الاشتراك في أعمال الشعب هذه بمثابة خروج على الدين. وقرأ الحديث الشريف: ومن رأى منك مكرماً فكراً ليقبضه يده. داعياً المواطنين إلى التصدي بأنفسهم لمن يشترك في هذه الفتنة، علماً بأن عمل الشيطان ومكائله، وبدعنا بإساعت طلع علينا أيضاً الشيخ محمد متولي الشعراوي، الذي كان وزيراً للأوقاف في ذلك الوقت، والذي كان يتمتع بشعبية جافة، ليؤكد هو الآخر على ما قاله وريله مصفاً صمة الكفر والمروق في يشارك في هذه الفتنة. واستمر التناقل على مدار يومين مكثرين، في إعادة هذين الحزبيين بشكل متكرر ومجوج، مما كان له أثره الفعالي في إحجام عناصر جيلدية من الاشتراك، وتسليخ عدد كبير من المواطنين عن التظاهرات.

وبعد ذلك لمحن أدركت السلطة القائمة أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الأهر في وأد أي تحرك غاملاً، ومن ثم جرى استخدامه بعد ذلك ضد الجماعات الإسلامية التي زادت بحيث أصبحت تشكل خطراً على النظام القائم نفسه، بعد أن استخدمت هذه الجماعات في

## نجحت عملية التجنيد في خلق طابور سادس من المواطنين

كتب من مصر

# نزهة في قيامة دافئة

نَقَرْتُ قَمْحاً، وانتفضت  
في السماء... وغابت  
وغازلتها.

لقاء

هكذا  
مثل كل لقاء  
تضعين حقيبتك في المقعد المقابل  
وأظن واقفاً  
أرقب الشارع.

نتيجة

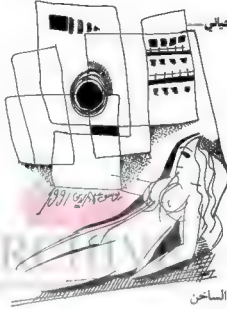
قدّرت  
ان مر الكلام... السكوت.  
ان مر الكلام.....  
هل أصعب  
أصعب ديناميت في فمي  
ولشعله  
مستظراً ساعة الدوي  
واختلاط الألوان.

[كل  
«هل»  
تعادل قيامة  
وعرايا]

مقهى الصيادين<sup>(١)</sup>

مقهى  
زيائته صيادون لفظهم ماء الفضيلة  
الى تراب الترجس،  
حيث قيافة كل ما هو دنيء ومبتذل  
يجلسون  
منذ أول الصباح.  
يشربون الشاي الأخضر  
ويدخنون ما طاب لهم.  
صيادون

في مقهى الصيادين  
ولا شيء... عدا ذلك. □



محمد اليحيائي

نزهة

■ الجنود في المدينة  
يتذوقون طعم الكعك الساخن  
والقهوة التركية.  
يتحرشون بالبنات  
على «شرفات» القبول  
يركتون بنادقهم على بوابات المساجد  
ويأخذون في التقاط صور تذكارية  
مع المصلين.  
الجنود في المحلات الفاهرة  
يتتقون هدايا لحبيباتهم.  
الجنود ينشدون أغنية وطنية  
معروفة  
الجنود... في الشوارع  
يختلطون بالناس... والسيارات  
طيور

غازلتُ  
طيوراً... حطّت فوق بيتنا

(١) مقهى شعبي مشهور في  
مدينة «صيفة» شمال المغرب



# خطاب البطولة المتوهمة

عبدالرحمن منيف  
في «شرق المتوسط...»  
مرتين



يوسف بزي

بموضوع واحد، وهو موضوع «هام» و«مزعج» و«محدد»، أي عن التعذيب والنسب البطل من الداخل كجسبر والمرة من الخارج كشمس. ولنصوص هنا يمتد إلى معنى التعذيب والحرية والنفي والعدالة والتدريب. كما أن النظرة تطل من عدة جوانب وزوايا من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، أي متعددة الأزمان تماماً كما أراد عبدالرحمن منيف... لكن هل يكفي هذا لرؤية جديدة؟

قبل الإجابة على ذلك ننظر في الرواية الثانية والأد... هنا أشرق المتوسط مرة أخرى وهي עוד على بدء، أي استبدادك وراثي ثاب معطوف على الرواية الأولى ويستكملها من حيث الموضوع، مع اختلاف «البطل» و«مراقبه». فهي رواية عن «التعذيب وبطلان» (عادل الحلالدي وطالع العربي) وهي أيضاً عبارة عن مذكرات وروايات تتمحور حول التعذيب والسجن، وأيضاً من الداخل والخارج. داخل السجن وخارجه، كما داخل الوطن وخارجه. فيمتد الموضوع ويشتمل إلى أمكنة عديدة وإلى مواضيع عديدة عن النضال والحرية والديمقراطية والذكريات والبطلية والحيادية الخ... وهي رواية تتماثل للموضوع في أزمان مختلفة قبل الآن وبعد... ربما يكمل عبدالرحمن منيف «درساته» الروائية حسب «الوصفة» التي أرادها وأراد منها «رواية جديدة» أو شيئاً جديداً... فهل كان له ذلك؟

يمثل منيف في المقام الأول على «الهيئة الموضوع» و«عظورته» لرفع شأن الرواية. وهو تمثيل يقترض بالرواية أن تعمل عظاماً شمولياً يساهم في معركة شاملة، إنسانية، تفصل الحق والخير والجمال عن الباطل والشر والفساد. وهو أمر شديد الرغوة على الرواية، ورغم أن «الحرب والسلام» التي كتبها تولستوي هي راقية وروائية، إلا أن الرواية كشأن كمي من الصعب راقياً أن تتكبد متعللاً شمولياً بهذه السعة والعسوية، خاصة بالأسلوب الذي أراد عبدالرحمن منيف في روايته. إذ يتأكد لنا أن مادة الرواية عنده، هي على عي من الحدة والقوة طابعها «الانتمائي» وتنكيها «كفضية» أساسية (التعذيب) تطل

يقول عبدالرحمن منيف، على لسان بطله في رسالة إلى أخته، في روايته «شرق المتوسط» (ص ١٣٤) «والتي لم استطع أن أتوصل إلى الله، كيف يجب أن تكون الرواية، لئلا يكون لها ان تكون جديدة، بكل شيء: أنا أكتبها بغير حق وأخطئ. وفيها أكثر

من مستوي، وإن تحدثت عن أمور عامة والأفضل مزجها وأخبراً أن لا يكون لها زمن... فمن الضروري أن نحدد موضوعاً ونكتب فيه التعذيب مثلاً، كيف تصورين الموضوع؟ كيف تصوره إنسان من الخارج؟ وليس أي إنسان، إنسان له علاقة بشكل ما، في مستوى ما... طبيعي يجب أن يكون للموضوع أبعاداً كثيرة ومتباينة: الذكري، الأحاسيس، العلاقات وغير ذلك. وطبعاً أيضاً أن ننظر من زوايا مختلفة. هذه الزوايا المختلفة ضرورية لكي نرى الشيء من جميع جوانبه، فإذا ارتبط الموضوع أيضاً بالأزمان العديدة أصبح شيئاً جديداً...»

هذه الأسطر التي ليست جزءاً من مقال أو دراسة أو مقابلة صحافية، بل هي مقطع من رواية عربية كتبها عبدالرحمن منيف عنوانها: «شرق المتوسط»، مختصر بوضوح، وعلى الفور، عبر عبارة و«لافتة» مشهودتين، نظرة عبدالرحمن منيف إلى الرواية. أو كيف تكتب الرواية. وهي نظرة فيها الكثير من الشمول واليقين والقدرة على البت والحد والجمع والتفصيل، إلى درجة أننا قد نخال معها أن هذا الكلام يتخذ صفة «العلم» في «موضوع» علمي بحت.

هذا ما يجعله، على كل حال، عبدالرحمن منيف في روايته: «شرق المتوسط» والأد... هنا أشرق المتوسط مرة أخرى... فهاتان الروايتان قائمتان، موضوعاً وأسلوباً، على التفصيل الذي أوردته الأولى «شرق المتوسط» رواية يكتبها اثنان: البطل وأخته وبالتالي فهي تتضمن أكثر من مستوى. وهي عبارة عن مذكرات اثنين على علاقة

العلم العربي كله في السياسة والفنون والشرع والأخلاق والتاريخ، إلا أنه يتأكد لنا أيضاً أن هذا التكوين الذي يريد توسيع مكانه يهيم الرواية العاديه هو السبب المباشر في اخفاق الروائي بتقديم «رواية»، رغم نجاحه في تنظيم شهادة أدبية تنصَح حال السياسة العربية الحاكمه وأحلافها

مقتصدان، أن قيمة النص الروائي منفصلة تماماً عن قيمة الخطاب - الموضوع. فقيمته الأولى هي الميزة الخيالية المستمدة من ذات النص، من داخله، من كيميائياته ولحمته، والثانية قائمة بالأساس خارج الأدب وهي عامة ومشتركة. وبالتالي فالاجماع على أهمية الخطاب أو نتاجاته، عموماً أو محدديته، مغفاه سياسي أو السوسولوجي أو حتى الثقافي، لا يعني البتة أنه يساهم في رفع مستوى النص أو انحطاطه. النص هو لونه، بل هو كونه وحرفه، والرواية على الأقل في مجموعة شروط، أهمها: بنيتها الفنية، إشاراتها الأدبية، وخصائصها. وهذا ما لا يبرره عبدالرحمن منيف أية فصاحة واضحة، فهو دائماً يستند إلى هول المرواح وصفه ومظاهره الشاملة. إن هذا النوع من الاهتمام الروائي ينتمي قطعاً إلى الأدب الملتزم وهو ينظرنا، أردأ أنواع الأدب لأنه لا يقوم إلا على قيمة خطابه الفاشل الكبرى والمشاكل السياسية التي تتصف بالأهداف والخطيئة، ودعماً، بالنسبة لهذا النوع من الأدب، تجعل الكلام المأثور والمؤاليج والتشديد الرهي، بعضاً ذات قيمة رديئة!

واعتقادنا أن عدم الفصل بين الفن الروائي، بما أنه تجربة تحليل ورثا عموماً أرقام وحتى أحلام أو تأليف على واقع، وبين أهدافنا السياسية أو الأيديولوجية، بما أنه غاية في جعل النشاطات البشرية، يجعل الرواية وكأنها أداة وسيلة ثانوية تنتمي فيها لتقليدنا وعبائنا ومتعلباتنا الدنيئة لتعالج موضوع الخطاب وهدفه، ومسوده وهكذا يكفي وجود النوايا الحسنة، بالنسبة هكذا أدب، حتى تكون الرواية حسنة!

يظهر ذلك، أكثر ما يظهر في كيفية عمل عبدالرحمن منيف على عالم الرواية. ففي هذا العالم، أدوات إضاح وتفسير وإسناد للخطاب، وأدوات إضاح أخرى لنقص الخطاب المضاد. إنه عالم ثنائي حيث خطاب الماض والطيف الحادق (الفاصلة) بين شر مطلق وخير مطلق، لا محل فيه للتفاصيل، ولا مجال للمهادنة، أو للتقديرات أو حتى لا وجود للأمرجة الفردية وتتوابعها. الكل في خدمة تفسير الرؤية الأيديولوجية... وفي ذلك ما يذكرنا برواية فوريكي «الأم» وهي الرواية السوفياتية الرسمية بامتياز.

كل شيء، في خدمة «الغصنة»، كل المساويف نصب لتتصحب «الحقيقة» كل الأحاسيس ملتهمة تنظيم «المبادئ».

وبذلك تطوع الروائيان للاختيار عن مضامين اجتماعية وسياسية لا تنسب ولا تنفص واقعاً بل تتبرم مرة التراجيح السياسية والمضاهيم الأيديولوجية، وذلك التزاماً بمعندة «الحقيقة» المعروفة سلباً، حقيقة تقبح معها نفسها. ونجعلها أمناً هكذا بساطة كلية، حقيقة ليس لها حق سوسولوجي، فحسب، بل هي دليل أخلاقي على عدم وجود اختلاف حقيقي بين استبدادية السياسي المتسلط (الجلاد) وبين استبدادية هذه «الرواية» (الضحية).

وإذا كانت الرواية هي، بمعنى من المعاني، ملحمة أفراد. فهي هنا أولاً، ملحمة فكرة، مجسداً أفراد، لكنهم ليسوا أفراداً بالحق المتعارف عليه، انهم ليسوا أشخاصاً، بل هي صورة مصغرة جداً ملهومة على حسب مواصفات «الطلقة». وهو يمثل على القياس الروائي أو القصصي، بل على قياس الخيالي النصلي كما في الحكايات الأسطورية الكثيرة التي تنسج حول الشهداء والفلكة، وتزاهي في الأدبيات الخيرية، أن عبد اليساريين أو الناصريين - سافاً - أو الأصوليين اليوم إذاً، ما يراه هو أن هاتين الروايتين هما روايتان وظيفتان دوتان نوابا حصة في تعرية النظام السياسي العربي القديم، دون أن يسلط الروائي فيها أي ضوء على الآليات الداخلية، الانسانية، لهذا النظام، أو حتى أنه لا يتقدم تفاصيل هذه السبة الاجتماعية - طمناً يتكب ومطمع إلى ذلك - وكأنه يريد فقط تقديم وثيقة، للتاريخ على شكل أو هيئة رواية فحسب

إن عبدالرحمن منيف في استطاعة خيرة الجتهاد، لا يستطيع تلك «الحياة». بل فقط ما تحمله من أفكار وسوافف ثقافية - سياسية، يتباهى فيها بالثقاف، مرغماً السجين للتمسك على تبنيها لشرأ ودون واسطحات. فالخصائص هي تجسيدات للنتاج الثاقرة، الواضحة المروحة. ولا تفصل فيها حيواتهم عن حيوات البهاج المعطوفة على شكل آيات ثقافية تائجة وصاحبة. وهكذا ليس من تافه أو فواصل بين وصفة التعبير والشغف وبين الأطراري الاجتماعي والزمني الفترسي، فيكاد الغاري، يميز عن تحليل إحدى هذه الشخصيات إدراكي فترسي من المروحة. الوصل السبق الثقافي للشعبد هو فكرة وليس حقيقة

فيقطن في المستشفي، في المعنى، بعد أن شارف على الموت بسبب التعذيب، يلتقي بأخر مثله، يستمع بالظروف نفسها، ثم تجد أن البطلين سيكتبان عن تجربتهما. المستشفي عبارة عن دكتور واقع وعرضة بمثابة أم، وعرضة أخرى في موقع وجب عذري، وصديدي - يترجم الأحاسيس والتفانبات الجدية، والبستاني يظل لهم كل يوم، ومجسمة بالعمة، الزهور والرائحة الأرضي. والمعالج هو رمز للمادة والصرامة. البطل الأول يصمد ويعان من الحمى. البطل الثاني يبدأ الكرامة عن التجربة (السجين) وعند انتهائه الكرامة يقتل نفسه.

السجين في داخلي البطلين، والمثني سجين، والوطن سجين والحياة عذاب (...). هذا هو النسق العام في «الآن...». هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى... إنه الإصرار على التساهي بالأبطال، وإصرار على نسخة مصغرة، في سلسلة من التفانبات والتطيرات والثررات السياسية التي لا طائل تحتها روائياً بل هي عبارة عن حوارات تشبه بطلها ونهجها واقع مدوة مكرية - ثقافية

شخصيات لا تعيش إلا في جو من الاستئثار الدائم والخفصر ألياً. فهي لا تتكلم كلاً، حياتياً يسوع صغرة وحلفات ومجاهات أو تصرفات غرائزية. فهي على الدوام في سياق «الفكرة» واستزائاتها، لا تطرف إلى خيانة، إلى مقابلة، إلى صعود، إلى انصراف، إلى هزيمة دون راحة ودون فواصل، وبالأخص دون حفرات ورفيات فردانية. كل شيء، متمسج أو عدان. شخصيات في اقرب إلى التفرات والتمحيلات «التريسية» لا تحفل به من نيرة الوسط والوعي الشديد والتحاليل

لا وجود  
خلاف  
حقيقي بين  
استبدادية  
السياسي  
(الجلاد)  
واستبدادية  
هذه الرواية  
(الضحية)!

## حوارات

الرواية تشبه

بطنتيها

وتتجهما

وقائع ندوة

فكرية ، ثقافية

الأيديولوجية والبسيكولوجية الخ. في وحدة تامة وانسجام واكتمال  
وكأن الرواية عدد ميف لا تستجيب لقراءة عالم بل هي تتوسل  
«التعبير عن واقع مفارق، وليد استجابة لطريقة فهم خاصة، وهو  
واقع أبدي محض لا يخرج عن إطار وحي أيديولوجي خاص ومحدد. فلا  
تعرض الرواية عنده لتحولات أو جدالات شكلية قد تلهيها الكتابة أو  
حتى الواقع، وهذا يعني لا تتطور إلى «علامات» ورواية أو إلى «وقائع»  
روائية، بل تظل أسيرة صورة تحمل طابعاً ميتافيزيقياً سلفجاً، إذا صح  
التعبير»

وإذا تجاوز البطل والذاتي الروائي نفسه، أن يخبر، ويثبت ويحكمي  
ويمثل. فإن هذه الجارلات لا تتخذ تنوعاً أو حيوية ورواية بل تظل  
في حدود وإطار المعلوماتية وربما ذلك بسبب غياب العمق الفردي عن  
نبرة «البطل».

يبدو لنا الروائي وكأنه يكتب عن شيء واحد مرات عديدة، دون  
أن يكون لهذه المرات المتكررة أي مفعول إضافي أو دخول إلى أطر  
جديدة، فالرواية عنده قائمة على فكرة مستمرة وفي قالب معين دون  
أن تتكسب، من لحظة الكتابة، جسداً روالياً خاصاً ومستقلاً عن قيمة  
الفكرة وبشرطها. فهي، أي الرواية، تتوسل حضوراً سياسياً، لا  
أدبياً. وهذا المعنى، لا يأخذ العمل الفني فرصة ليكتب نفسه، بل  
هو مصادر في جبهة الموقف الوجداني الثقافي. وبذلك فالرواية هنا  
مشروع يقع ليس على ابتكار كتابة نصية تفتل أو تقاطع أو تعاقب أو  
حتى تفقد علماً ما أو حياة ما بل جل ما في الأمر أنها تنفوس في متاهات  
خطاب يدين الأنظمة ويمجد الهيمنة (الفاشليز المذمورين  
السجون).

إن البطل الروائي عبد الرحيم منيف هو بطل رواية الأولى غيبية  
عمله وضعية أسود، و يفقد فكرة مجردة بلا لحم أو دم. وهذا تعقد  
رواياته الحمد الأدنى لمضى الواقع بمعناه الشامل، فهو في الروايتين مجرد  
فروعة لزوع تعبيرات سياسية، ويجرد رؤية إسقاط نظام أفكار  
عليه، وحمل كل تتخذ تعبيراته السياسية شكلاً وضميراً شعريين  
سلاخين، أو على الأقل، مجموعة عراطف معجوبة، فكلمات الدم  
الإضافية المارقة من أجساد الملعنين في السجون، وكميات المواقف

المعلوية المخفوقة، والمواقف الميودرامية والدروس الباهرة في الصمود  
والنضال، ليست بأي وجه من الوجوه السبيل الجيد لفهم الواقع أو  
تمثيله أو لتجسيد علاقة الجسد والصحية. ثم إن هذه التنشائية  
الكلاسيكية لا تقدم واقعاً بل بالتفصيل الحالات أو الشروط لا تقدم  
سوى إسقاط ذهني بليد، حزبي اخوي والائتاه، على ذلك «الواقع»  
المفترض الخفي، لا ترى منه سوى أجزاء ضئيلة، هي أجزاء منتقاة  
بالنسبة نفسها للإلحاح والاصرار في سرد فكرة السجين «البطل»  
والجلاد «الحيان»، القائل

هاتان الروايتان هما بالأحرى رؤى كلياتية طائفية تنسج كلامها  
وشخصياتها، فلا تضع حدوداً بين ما هو عام وما هو خاص، وتشلف  
إلى حد التلاشي عمولة وفاتحتها إلى مجرد أفكار ورموز مثالية. روايتان  
لحياة بلا أسرار، يتطابق فيها المثل الأعلى مع البشري، وكان ظلال  
الكهف هي الصور الأصلية دون فارق... هكذا دولة قائمة  
تسودجية في مواهبها بطل انساني نموذجي في رواية تذكريا بجمعية  
بزوغ الشمس، كما في الروايات السوفياتية العتيقة. حيث العام ليس  
مرآة الخاص، في حين أن الخاص لا يوجد له بل هو العام المتوهم  
بالتأكيد.

روايتان عن السجين السياسي، وليس فيها أي وجود لجسد هذا  
السجين، بمعناه المادي والفردي، وليس فيها أي نوازع أو  
تصرفات عربية. فلا الأخت أمت، ولا الأم أم، ولا الزميل زميل،  
ولا الشفي منى، ولا الجلاد جلاد، ولا البطل بطل!

وإذا انحصرت إلى كل ذلك تفكيراً ثقافياً دالاً، وكلاماً بقلة الأدب في  
كل الظاهر، في أي المعاني الكبرى: الموت، الشعر، الحب، الحياة،  
الصدقة، الإنسانية، الحزب، الوطن الخ. إذا أضفنا كل ذلك،  
نرى بحثاً أو دراسة أو نصاً عقائدياً في مناخ اخوي. ولا ترى رواية  
بكل معانيها سواء كانت طليعية أو تحريرية أو اختبارية أو واقعية  
روايتان يجيدان تصعيد نفسيهما، ويجيدان تقليد الرواية معموها  
كأدب خالص ذي أهداف وراقية و«عظيمة». وليس في ذلك - بأي  
حال - وشرق المتوسط الذي نعيشه. □

## صدر حديثاً

# من نافذة السفارة

العرب في ضوء الوثائق البريطانية

مجلة فتحى صفوة



كُلُّ الَّذِي كَانَ يَاقُ  
عَلَى هَذَبِ الْأَمْهَاتِ  
وَتَهْوِيَةِ الذِّكْرِيَّاتِ

وَلَا يَمْحَى  
شَاةَ مَا تَزَعُمُ الرِّيحُ  
هَذَا الصَّدَى عَنِّي  
مِنْ وَجْهِ الْأَيُّوةِ،  
بَلْ كَوْتُ مِنْ حَرِيْقِ الْكِتَابَاتِ،  
يَا جَوْجُو الْأَرْضِ،  
جَزْ سَدْرَةِ الْمَتَهَى ...

لِلطَّوَاعِيَتِ بِأَلْعَمَةِ الصَّوْلَجَانِ انْحَنَتْ  
مَادِبِلَ سَيِّدَةِ الْبَيْتِ فِي يَدِهَا  
وَانْشَطَارُ الزَّمَانِ / كِتَابُ النَّحَاسَةِ،  
تَحْلُو الْمَدَارَاتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،  
وَمِنْ يَدِهَا الصَّوْلَجَانِ تَسَاقُطُ  
وَيُشَاخِطُ مَسَافِرَةَ بِالْمَوَائِدِ  
قَتْلَهُ بِالْحَنَاجِرِ مَخْصِيَةً

وَمَا الْوَشْمُ بَوْلُ خَيُولِ الْغَزَاةِ،  
الْإِسْمُ مَرْمُشٌ، فَتَشُدُّ عَلَى حُذْبِ الصَّمْتِ  
أَهْلُ سِيَابِ الْغُرَبَيْنِ  
مَرْمُشٌ سَيَّوْفُهُ النَّحَاسَةُ أَلْفَا بِرَأْسِ كُلِّبٍ  
وَأَلْقَتْ بَرْدَةً ابْنِ عَقِيلٍ لِتَصْنَعَ قَيْدِينَ لِلضَّوْءِ  
وَالْفَيْءِ  
قَيْدِينَ لِلْوَجْعِ السَّاحِلِيِّ، وَرَأْسَ الْحُسَيْنِ

وَلَيْسَ لَكَ الْآنَ فِي كَسْرِ الْوَقْتِ  
وَلَا لِلْعَيُونِ الْمَكْسُورَةِ الْخَفْنِ أَدْنَى انْتِظَارِ  
هَذِهِ أَسْقَفُ لِلْمَحَارِبِ خَالِيَةً  
مِنْ حَرَارَةِ أَنْسَاغِ ضَيْقَاتِهَا  
وَيَقِيْمُ الْغَوَاةَ الصَّلَاةَ بِأَرْجَائِهَا  
فَوْقَ دَمْعِ الْمَآذِنِ أَحَدِيَّةَ الْجَنْدِ / خَوْفَاتِهِمْ  
تَتَعَقَّبُ نَيْضُ السَّجَاجِيدِ، دَفْعَ النَّشِيدِ الْمَسَافِرِ  
هَمُّ يَفْقَاطُونَ عَيُونََ الشَّمْسِ مَوْسُومَ، يَكْتَبُونَ الرَّمَادَةَ  
دَهْرًا طَوِيلًا  
عَلَى كُلِّ بَابٍ ...

خَذُوا مِنْ غَنَاءِ التَّوَابِيَتِ وَجْهًا لِبَابِلَ،  
خَارِطَةُ الْمَسْجِدِ الْمُسْتَحَمِّ بِحَزْنِ الْقَوَافِلِ ... □

# ... عبشميات مكسورة...

أحمد عبد الحفيظ شعاع -  
شاعر من مصر



■ غَيْرُ مَا تَزَعُمُ الرِّيحُ  
نَبْضُ الْأَيَّامِ  
بِيضُ الْيَعَاسِبِ  
حُلُمُ الْقَطَا، وَنَدَاءُ النَّخِيلِ،  
مَدُّ السَّمَوَاتِ فِي يَدَيْهِ الْمَوْجِ،  
لَا ... غَيْرُ مَا تَزَعُمُ الرِّيحِ  
وَجْهِ الْمَدَى

وَحَنِينُ الْجِبَالِ / الْقِرَاءَةُ وَالْحُلُمِ .  
دَرْبُ الْعَوَاصِمِ بَيْنَ انْشِطَارَيْنِ  
يَوْمُضُ بَيْنَهُمَا مَوْعِدَانِ

عَلَى شَهْقَةٍ بِاتْسَاعِ الْفَضَا  
وَارْتِفَاعِ الصَّدَى  
وَانْعِتَاقِ الْأَنَاشِيدِ  
دَشْدَاشَةً لِلرَّبِيعِ الْخَائِلِ  
كُلُّ الَّذِي كَانَ سَيْفٌ مُقَاتِلِ  
بِيضٌ عَلَى زُهْمَةِ الْعَمْرِ  
يُغْرِخُ لِلشَّمْسِ عَصْفُورَةً  
وَيُزَمُّ الْمَوَاقِيْتُ سَيِّدَةً  
بِالْمَحَافِلِ

كُلُّ الَّذِي كَانَ لَا يَمْحَى  
يَدْخُلُ الْوَقْتَ فِيهِ صَخُورُ الْمَسَاءِ  
الْمَعْبَا حَزْنَ الْمَصَاحِيحِ





# المنسيون

## ٣. كامل كيلاني

عنان رؤوف

رسم يمثل كل واحد منها حادثة من الحوادث الطريفة التي حصلت للصبي غيرة. طبيعة الخيال قرائها حرات ومبرات قبل أن أستطيع شراء كتب أنصر من السلسلة وكان بعنوان «نمينا»، ثم الثالث «الأرب الذكي» حتى آخر تراريس السلسلة وكان عددها ستة باتت مصدر سعادة وغيرة كلياً قرائها وأعدت قراءتها

عندما أطلع صديق حيم من أصدقاء الصبا على المجموعة أثارته عنده الاهتمام نفسه، وكان أن فاجاني ذات يوم بنسخة من قصة من سلسلة ثانية من مكتبة الأطفال وهي مجموعة «من قصص ألف ليلة وليلة» وكانت بعنوان «هيدالقه البري وهيدالقه البحري». كانت النسخة أطول من سابقتها وكتابتها أضخم نسبياً، وسعرها أكثر من أغنية طبلية إلا أن العناية التي بذلها كامل كيلاني في تشذيب القصة وتقريرها إلى مدارك الصبيان، وكذلك في تشكيل حروفها وملء صفحتها بالصور المناسبة كانت جليلة.

وأخذنا نتسابق في شراء بقية كتب المكتبة، وكان صديقي جليلاً إذ كان مصروفه اليومي أكثر من مصروفي التزّر. وماذا يهم من يشتري الكتاب ويحفظ به في النهاية؟ المهم أن الإحارة كانت مستمرة، صفراً الكتاب نعلن الاثنين ودينا استعارة ثلاث ودينا من الأصدقاء. قرأنا طبعاً قصة رحلات «الاستبداد البحري»، وثالثة عن داي صبر وأبي قير. هذه المجموعة مثلت مرحلة متقدمة على السلسلة القكاهية فهي أقرب إلى عمر الصبا منها إلى الطفولة، ولكن المستوى فني رديماً

كما نعرف مقدماً ماذا سقرأ، لأن مجموعات مكتبة الأطفال كانت مملوءة على صفحة الغلاف الأخيرة. أما متى سقرأ الكتاب فقد كان محكوماً بتوقي ما ينسر من المصروف اليومي أو ما نحصل عليه من «هديات» من الأهل والأقارب. وعلى أية حال لم يمض وقت طويل إلا وقد أتينا على معظم قصص المجموعات، وكانت دائماً متوفرة في المكتبات، وهذه المجموعات نضمت، على ما أذكر:

- مجموعة من قصص شكسبير: منها «العاصفة» و«ناجر البديعة» و«القصر بولويس» و«الملك لير»
- مجموعة قصص غريبة منها «روينسن كروزو» و«رحلات كليفر»، والأخيرة كانت في جزئين.
- مجموعة قصص عربية، منها «حيي بن بظلام» لابن طفيل



■ كما نلحاح كيف تلفظ اسمه الثاني، هل هو بالكاف العربية المهموسة أم بالكاف الفارسية للجسورة؟ للمصريون - وبعض أقوام شبه الجزيرة العربية - يلفظون الأخيرة بدلاً من لفظ حرف الجيم. وعدونا في الجزئية أننا كنا صغلاً، والوقت آنذاك منتصف الثلاثينات، وما سمعنا أحداً من الكبار يلفظ اسمه، من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن عائلة الكيلاني عائلة عريقة ومشهورة في العراق وتتبع إلى السيد عبدالقادر الكيلاني<sup>(١)</sup>، والأسم يكتب دائماً بالكاف العربية ويلفظ بالكاف الفارسية. أما المصريون فيكتبونه «الجيلاني» ليلفظوه «الكيلاي»!

ولكن، كما قلنات جولييت مرة، «ماذا يهم الاسم؟» المهم أننا نعرفنا على الرجل عن طريق ما وقع في أيدينا حينذاك من كتاباته، وكان أولها - على ما أذكر - كراساً لا تتجاوز صفحاته الست عشرة صفحة بعنوان «غيرة» وكان واحداً من كتب «السلسلة القكاهية» من «مكتبة الأطفال» التي تولاها في حياته، كتابة أو ترجمة أو اختصاراً. كامل كيلاني. كان ثمن الكراسي وتقدنا عشرة فلوس، وعندما صدر كتاب «غيرة» لم أرده في دفع كل ما ادخرته من مصروفي اليومي لشراؤه. قصة غريبة ومؤسفة طبعت بحروف كبيرة وكتابت مشكّلة وتزينا

- مجموعة الرحلات، منها رحلة ابن جبير، وليست متأكدًا ما إذا كانت رحلات ابن بطوطة من بينها.

في الوقت الذي كنا نتصفح على مجموعات مكتبة الأطفال لتدرجًا كنا، بطبيعة الحال، نقرأ غيرنا من القصص والفوليات وبيانات دار الهلال. وكانت درويات الخليفة الأثيرة لدينا، وروايات مترجم عن اللمت الأوروبية وفي طليعتها الحكيمة والعربية. وقرأنا والأجربة والعقاصب والأرض الطبية وروايات قراصنة وإغالي سباحية، وطبيعة الأمر شروك هيلز، وأرسين لويان (وكأن يكتب: لويين؟).

ومع ذلك بقيت مكتبة الأطفال أثيرة عندنا لأسباب أهم:

- أنها كانت تتدرج في عناوينها مع تقدم (الأطفال) في العمر وتوسع مداركهم وزيادة معلوماتهم.

- أنها كانت بلغة عربية سليمة ومفصرة إلى مستويات الأعمار، وكلها كانت ذاتًا مشكّلة تُسهّل قراءتها قراءة صحيحة فريدة من ثروة الفرائد اللغوية في دون إرهاق أو عناء.

- أنها كانت ذاتًا مزينة برسوم تناسب وقائع القصص وسوافها. لاحظ الآن أن مكتبة كامل كيلاي للأطفال كانت تتبع نسقًا في مجسماتها وشذورها بلاتًا ما اصططح على تسمية سائلوكورية الطفل. ولماغتي أن كيلاي لم يفقد هذا وأغيا، وربما لم يكن التمبر شائعًا آنذاك إلا أنه استطاع أن أحرم أم كان مرفقًا في نعيم تلك السائلوكورية أكثر من أسابذة قصصها فيها، وأكثر من مزاياها. وكانت حاولوا أن يكتبوا قصصها على أساس من قواعد سائلوكورية الطفل فلم تصل إلى المزية التي بلغتها مكتبة الأطفال تلك. وقد تأيد ذلك بإصدار كامل كيلاي في أوائل الأربعينات مجموعة قصص قديم ما يفقدنا حاول أن يثبت أن ألف ليلة وليلة استمرت مكرها، وربما اقتبس بعض قصصها من مجموعة فارسية أسماها «مائة يوم» أو ألف يوم، أو ألف ليلة. ولما تذكر على وجه الدقة. وربما كان كيلاي يفيدنا في تلك كتاب «مزار النسا» - ألف غزاة الفارسي الذي ذكره المسوي على أساس أن النسا يسومن ذلك الكتاب ألف ليلة وليلة وهو غير صحيح والفوزير واسته وجاريتها وما يشيرون وفينار؟.

- من هو كامل كيلاي؟ ليست متطاعًا على تاريخ حياته، وكل ما أعرفه عنه لمحات تكشف في خلال السنين تدل على اهتماماته الأخرى أكثر مما تكشف عن سيرته، منها:

- ترجم كيلاي بعضًا أقاصيص «ديكامرون» ليوكاشيو، ولم يترجم من أن يفيدنا قصة ملك فرنسا فيليب. وبخلاصتها أن الرجل وقع في غرام سيدة فاضلة كانت عذبة البلاء لجدود ساهم أبنائها سبها ومناة سلفها فنشد وصافًا. وكان أن نومه إلى الظامية ذلك النيل في طريقه إلى الشرق للمشاركة في الحروب الصليبية، وكان الزوج قد سبه إلى هنا. وعندما حل الملك ضيفًا في قلعة النيل أدركت الزينة غايته واستغاضت أخته كيلاي وأبدا لجدود ساهم أبنائها سبها من غوايته (القصص الخمسة من اليوم الأول). ولكن كيلاي توقف دون ترجمة قصص الرابح روستيوكو الذي علم الصبي كيف تميد الشيطان في جسمه! (القصص العاشرة اليوم الثالث).

- كان كامل كيلاي معجبًا بأبي الغلاء العربي. وقد ذكر الدكتور عمر فروغ في كتابه «تاريخ الأدب العربي» أن كيلاي كان قد حقق

«رسالة الغناء» ونشرها في القاهرة عام ١٩٤٤، و«رسالة والأعراس» - القاهرة، ١٩٤٢. كما نشر «لوزم ما لا يلزم»، ولم يذكر التاريخ (١).

نشر كامل كيلاي «رسالة الغفران» عام ١٩٣٣، أعقبها عام ١٩٤٤ بكتاب «عمل هاشم الغفران». وصدرت الطبعة الثالثة للرسالة عام ١٩٤٢.

وفي مقدمتها لكتاب «رسالة الغفران» انتقدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - تحقيق كامل كيلاي للرسالة انتقادًا شديدًا ثالث فيه، ضمن ما قالت: «ولقد كنا في غير حاجة إلى الإشارة إلى هذه الطبعة، لأنها لا تدخل في حساب الدارس للمحقق لنص (الغفران) ولا موضوع لها بين النسخ عند التوثيق». وقالت: «وإن الشارح أحمد للشكاة وسيعين صفحة في كتاب يحمل اسم (رسالة الغفران) وليست منه» (٢).

- في طيلة دار المعرفة لكتاب «الليل والليل» للشهرستاني (بيروت، ١٩٨٤) دُفِلَ عطفه محمد سيد كيلاي الكتاب بدارنا من الجمل «وأي» «فلت المؤلف ذكرها من بيانات القدماء، وما جدّ بعد عصره». وخصص الباب الأخير من الليل لدراسة أفكار المسلمين المعاصرين ولؤلؤهم. وقد جاء في هذا الباب ذكر مصور فهمي وحسن واسماعيل مطي. ومعرف من الأخير أن كان في عداد القلة التي ظهرت في المشرقات واللاتيات من هذا القرن الذين فتوا بنظريات العلم الحديث ولم يتردّدوا في الكتابة صراحة عن تناقضها مع الأديان في أمور عتيقة. قال المؤلف أن كاملًا كان من جماعة اسماعيل مطهر وأب وكاد في فصل عن وصفه «وربما الألف... بسبب اتصاله بتلك الحياة...» لولا توسط بعض ذوي السوء... وبذلك نجا من عزر عقق وأصاب. وقد عرفت كامل كيلاي بعد أن تجاوز مرحلة الشباب فوجدته ناسًا غاضبًا، متديّنًا، شديد الإيمان بالله، رحمه الله رحمة واسعة.

إن انتقاد السيدة بنت الشاطئ - تحقيق كامل كيلاي لرسالة الغفران، وما ذكره محمد سيد كيلاي عن علاقة الرجل بجارية اسماعيل مطهر لا يتطعن من أهمية مساهم ذلك الرجل لا سبًا في «مكتبة الأطفال» التي اعتراها مسمى مؤلفًا لتسليط الأطفال والقصصان حتى مرحلة الشباب، وتوجيههم إلى متابعة قصص بعض مجموعاتها بمحتوهم، بصورة غير مباشرة على محاولة الإطلاع على أوصاف من مراجعها الأصلية. وأقررت أني قرأت ألف ليلة وليلة فيما بعد بسبب قصصها التي حصنها كامل كيلاي بأدائها في مكتبة الأطفال. كما أني أدركت في وقته أن القراءة باللغة العربية وحدها لا تكفي، وأنه على أن اطّلع على آداب الغرب - والشرق - من مراجعها وبلغتها، وإن تأمل ذلك، فمن ترجمت مؤثوقه لها. وكان أول ما فعلت - بشي - من النشر: قراءة خلاصة لبعض مسرحيات شكسبير باللغة الإنكليزية مباشرة، وكانت هذه أول خطوة في طريق امتداد قرابة نصاف قرن.

التي أرى أن من واجب دار المعرفة في مصر أن تبدأ شركة مع الأطفال، لأن ما يسمى أدب الأطفال لا يعرف زُجْدًا محدد، ولأن الأجيال، جيلًا بعد جيل، قد تأخر بالشفقة تفسيها قصص رويسن كروز ورحلات كوليفر ومعارف روين هود. □

(١) - كيلاي، «الكتاب» وموضوع الفري. واري كورة معروفه. أقرب إلى

خراسان... الدروس لمطهر إلى

خير الأطفال، تأليف محمد بن

عبدالمحسن الحصري، وتعليق

الدكتور احسان عباس، طبعة

مكتبة لبنان، الطبعة الثانية،

١٩٤٥، ص ٥-٥. وقد ذكر اسمي

«الكتاب» تأليف: كلفة، الجليل،

عبد منوت، و«سوق محسّن

الكتاب شارك في الفهرس أن

لنفسد بها أن «جبلان»، وهي

تلازم المعرفة وأقرب من بحر

الفرار: كما أنه يذكر أن جبل

جبلان الواردة في شعر دلمه

سجلان الواردة في «الوقوع ١٤

١٩٤٥» وهي «ألف ليلة وليلة

موضوعات الأقرب من

موضوعات الأقرب من

بيروت ١٩٧٩، ص ٢٤٤ من الجزء

السادس.

(٢) - بقلمها في العصر لاحقت أن

روايات الأطفال، فكت انتقدت

كل ما كتبه هوديس لولان عن

أرسين لويين، فأخذت في ترجمة

قصص بوليفيت لتكتب «أخيرين

مهم رصمون لتتألمد مبكر

شخصية فيليب مارلو ولتكتب

كوبيل ولاريتي مبكر شخصية

«قصص» وتسبها جميعًا بن

أرسين لويين؟

(٣) - «موج» الطبعة، نشر

فيها لأول مرة، ١٩٤١.

(٤) - «تاريخ الأدب العربي»، الدكتور

عمر فروغ، دار الفكر العربي،

# كلام . فعلا

«كوني مهذبة يا ابنتي» .

٢٠

داخل المستطيل ذي الأضلاع المجنحة  
امرأة من قصة  
في عقها أيقونة مرسوم عليها مسخ بلتهم وطناً  
وأنا خارج المستطيل  
مسرورة معروقة «كهنري ميلر» .

٤٠

أنا عاشقة . . ها . . ها  
يذلي حول خصر الله  
وفعي يرتشف محيطاً من العسل  
شعري يتطاير على القارات الخمس  
وروشي تنشيطن في كهف الكلمة  
وطيفي اللامع بأصابع خبيثة  
ينزع أزرار قميص صديقي المؤجل .

٥٠

لا داعي لتلك الكلمات الكبيرة  
«أبدية» موت مشرب «سهيل الأرض»  
يكفي . . أقول أنا على صغر حجمي :  
«هذا الكوكب الذي يُسمى الأرض سينفجر قريباً» .

٦٠

رأيت في المنام  
أنني عزة وسط قطع .  
عندما استيقظت  
كانت أُمي تقودني  
لنرى الرجل الألف الذي تقدّم «لخطيتي»  
والذي سيعتذر أسفاً كالآخرين . .

٧٠

لا فرق حقيقي بين الملائكة والشياطين  
بين الجغرافيا والتاريخ  
بين الحياة والموت  
بين . . . . . والـ . . . الخ  
ما دام قلب فتاة مثلي  
يحمل هذا الكمّ الهائل من الحب والكراهية . □

غادة الأسعد



١٠

لنفترض أنني أعرف جاك بريفر  
هل هذا رائع؟  
لنفترض أنني أسكن أنا وإميل ديكسون في غرفة  
واحدة

هل هذا مرعب؟  
لنفترض أنني لا أحب أحداً غير ذلك المعجوز الذي  
يأتيني مساء وجوبه ملأى بالفستق والفلسفات  
لنفترض أيضاً أنني لا أكتب  
هل ستنهي الدنيا؟  
لنفترض أنني أكتب هل ستغير الدنيا؟  
لنفترض . .  
أسفة!

نسيت ابريق الشاي على النار

٢٠

مساء الخير أيها السفلة  
ليترع أحدكم  
وتخلع يد أبي الخالدة عن كفتي  
والتي تصرخ بأصابعها الخمس :



## المنزل

أحمد المهنا



■ شقت الصرخة سكوت الليل وانتشرت في أرجاء البلدة. انطلقت من كبد المدينة الذي يجتله شارع كان يدعى في الأيام الخسوالي «شارع العروم» كان هذا الشارع شُعباً معاشي مزيت مسطحة على منية المساطن وصلاًقاً للعادة فال رزس لم يخله تلعب تحسه وعمت حداثتي مبرية برمت حاله حسب الفصول والأوقات. عندما كانت وسائل الترفيه فقيرة شكل منزتها لفنية والبيان. وإلى تلك الأيام تعود تسميته القديمة

والواقع إنها كانت تسمية مجازية؛ والمحافظة هي طابع الأهالي. رغم أن أحداً منهم لم يوتس بهذا الطابع كما يوتس الأسكندر. وعلى أي حال فقد كانت هنالك على الدوام قصص غرامية استرج وكداه بطولات النصوص.

في ستراتي ما، أقفرت ليالي الشارع. أدت الأمر تدهناً أذهب جبل وإلى آخر. مضت ظروف وحلت أحوال. والشارع الذي لم يكن له اسم يعرف في أية سجلات رسمية سُمي «شارع الكرماء» وكان الاسم الجديد يغطي على ما تبقى من أطراف التسمية القديمة في غواطر الناس، ولأن الألف عملها أحياناً فتحت يساً ما كان حتى الأسس القريب مزيئاً في الألف. كانت الحياة الجديدة قد ألفت ظلالها على الشارع. ذوت بحيرات الصور، التلاصق، ولق ظلام عميق وأجهات البيوت، كأنها ليؤكد التزاماً سلام ما

وعلى هذه الحال كان الشارع حين شرع المنزل رقم ١١ يكرسُ سبته الضوئي، مُدكراً بسيرة قديمة. فقد أخذت سيدة المنزل تقضي، طوال الليل، غرقاً ولدها (حارث) المظلة على الشارع. لفت الحرق الضوئي أنظار الجيران. تلمصوا وحكوا مشاع الحبر. توجست البلدة. وكانت السيدة أم حارث تصرف باعتمادية. حتى انقطاعها عن الناس جاء مضوياً. ولأول مرة، قيلت في تفسيره أسباب شتى - انحصرت التسمية الرسمية للشارع عن التداول. وأكثت الأحاديث المنزلية تخبره عم شرعة الاسم القديم. وتحسها المنيون هذا التحول الذي قدروا ارتشاهه بحادثة المنزل رقم ١١، فقاموا بما يجب لاشعاع الأهالي بحظوظه التفتظ بالاسم القديم. تبعوا آثاره، حتى انهم استطاعوا غفلة الأطفال للايقاظ بأبائهم

أدت الحيلة إلى نتائج غريبة. فالاسم الملتاح الذي ينادي الطبع المحافظ تصدر قاموس القبول. وشهد الحظر الذاكرة فارتداد الأهالي على بالغة: استبدلوا الغرام بالوحي والتكلف والجري والهيوم، وما

استقرت تقوسهم عند هذا الحد. فمقد أهالي الأحياء الأخرى صدقات مع سكان الشارع لشاعلة الحرق الضوئي. للهدف ذاته اعتدى البعض إلى تعليم السواقية في الشارع. وفكر بعض ناني العروس باستغلال تجاري للحالة، كاستتاح مطعم أو مقهى، فتقدموا بطلبات تراخيص وضعت دون تحليل حتى وكلاء المعين تنافسوا في انفعال المبررات لنقل حراساتهم إليه. حدثت مجموعة انتقالات لا يترك الذين نكثت وديانهم للشارع عن فراق وأهية. إلا أن ذلك علم الزورك محصور أسابهم

بلغ السيل الزبى: هكذا شعر العنيون. في نظهم أن جذر المشكلة يكمن في أروق المرأة البصرية التي تقطع سلسلة شجرة أنسابها، حلاًقاً لوثائق زوجياتها التي نالها الطعن وكانت قد استحدثت ذلك الحرق الضوئي بعد أيام من كارتة حملتها وحيدة المنزل الكبير رقم ١١. لقد حُيرت بين الهجرة مع زوجها وبساتين الثلاث أو البقاء ولما كانت الجهات المعنية بحزمت أبناها الوحيد في البسج، تحسب منه التي تؤمله للقتال في صف الأعداء، فقد فضلت استخدام صفها في البقاء، على الهجرة مع زوجها وبساتين، أملاً في الظفر بقرق ما من «حارث»

وكان لا بد من إجراء

ذات يوم توجه رجال إلى المنزل رقم ١١ لحسم الأمر، ودخلوه في ليلة حاللة. بأمر المرأة بالامر الصادر بخصوص وجوب التزامها بتقاليد الشارع الضوئية، وأطفاها الغرفة، وحين أكرم مهمتهم وغادروا، أطلقت الأم من حبوب المنزل صرختها التي هزت البلدة □

## قصتان:

## الشيخ والشارع

## العيون

باسم عبدالحاميد حمودي



■ سيارة قاهرة مبرقة تقف عند باب بائع فاكهة، طفل يداخلها يأكل (بنسطة) والأبواب بمحسلاً أكياسها واحداً بعد الآخر من البائع، انتهى الطفل من لفته فأسك باصع موز. أطفال يقفون بسواحه ويتنظرون وهم يتكلمون جلوسهم، قفز واحد منهم إلى زجاج

السيارة ويد يده منح بريء، فتح الباب للطفل بابها وأعطاه نصف الموزة. أسكتها الطفل فركاً بيداً مليئة بالشرع أحسبها وسرعتها

## الجنابة

حيثما عانت أمي في الصباح، وكفحت لي حقن السيان ويقتت هناك، وحدي. في المساء وبعد أن يكتس طوال اليوم، رأيت جنابتي تخرج من الدار كقارب يوشك أن يطير في حرة الغروب. لكن عيني تعلقت بالأيدي التي تمسكها لتسمع قريتنا من رؤية المعجزة

## الخروب

وقد قطعنا مسافة طويلة، قال أكرينا. سأكل الخروب في الحومة التي حوينا لم يكن هناك أي أثر لشجرة أو عشب حسب الأشواك التي نبتت أثر لول أبطار الحريف. تناول علي شجرة حافة كأنها كلية حروف، من عصي شوكه وصاح تنهد كلها تناولت الشجرة وشمتهم فلم أجد لها رائحة، ثم هزتها قرب أذني فسمعت خشخشة بدورها ولقت: انها لا تتوكل. صحك بنية الأطفال وأصاف علي بصوت متصمر: ألم أقل لك أنك حشري؟!

## الأفص

قريباً من شق الجدار الطيني وحدا الأفص مينة. بعضا صغيرة رفعا علي فاكشما أن لا رأس لها. قال علي: انها غير سامة وأصاف: قص الرأس واقطع حذر. ثم أعادها إلى الأرض

قلت سديا

فصحك علي وثبته الآخرون وقال: حوآف. إنا غير سامة وكفحت إلى الدار وأنتعت أمي يامر الأفص جاءت غلبي وبديها صحت. حين... الأفص صحت، ثم امت وتناولت الأفص صحتها. قال علي: عليك حذوها هنا ودخلت في الشق. تراجمنا جميعاً إلى الحلق وقهرت علينا إنا حية بيت، لا نخافوا. أصافت أمي ومصب مع مسجدين. المنهية جمعاً أحجاراً صغيرة رفعا ما شق الجدار حين انتهيا قال علي: حية بيت أم غير ذلك ستطفي بنية عمرها في الجدار. وضحكت وحدي

## عسل

حيثما ودعا علي ماصاً إلى حرب الشيا فالت له أمي. يقال أن العسل رخص هناك فدعني منتهياً سأحلب لكم حقة مه ومص لأداء خدمة العسكرية هناك. حيثما عاد بعد شهرين في حذرتي الأولى جلبت لنا حوراً وأحبرنا أن موسم العسل لم يحن بعد، وبعد أيام مصي ودعا حميد عبد طرف الفرية. بعد شهرين عادت ل الشرطه العسكرية بحجارة علي، فكبا وأني ولم نكن بالعسل لكن حيث انتهي التائم، جاءت أم علي ومعها قنية كبيرة مليئة بالعسل وقالت بآكية: هذا لكم لعد جلدوا اليوم لنا حاجباته وهو قد حدثي بيجته عن العسل. أخذت أمي القنية وصنعتنا على المحمل وقد صار ككازها عباطاً. وبقي العسل هناك ولا أتذكر أننا أكلناه

## الفرالة

من بين الأقراع الرملية الكثيرة احذرت واحداً، وأذليت فيه بحيطي وصرت أشد عرلة عاروكي بالمائي دعوكي انتظرت خطا ثم سميت الخيط، وفي طرفه تلتفت الحشرة الصغيرة الرمادية. كانت

في كيس زبالة ياتح الضواكه، صعد الأيون السيارة وبرقت عشر عيون/عينان منها فاصتاك وعيان تنظران إلى أساور الذهب والعيون الأخرى مشدودة حائرة. □

■ الشيخ يمشي على مهل وميض الشوارع صاحبة، آلاف الأصوات تنادي الروح الحامدة منظردها عصور الوجه الموشوم بنظارة معطمة

بد الشيخ حقلة بالكنت وسياجرة في العم تان وتروح إلى البلد الأخرى، سقطت الكتب من يد الشيخ عندما مرت أمام كركرة عاشقين واحسن لينطقها سقطت السجاجة. □



# قصص قصيرة جداً

صلاح ركنة

## ركوب الخمار

■ امتطيت مرة واحدة كان حاراً صمراً، وكان أبي معي يقود الخمار. الطريق حتى المطحنة كان طويلاً والخمار يسير بي، دون أن ينق ولو مرة واحدة، وكنت أريد ذلك. حين وصلنا المطحنة وبعد أن احسنا الطريق التزمت بها كلها ووصلنا إلى أول طريق ملط قال أبي (إننا احسنا نصف المهمة) وأنا كنت أريد أن يهن الخمار لذلك امتطيت. لكن، لم أترك القمع الذي حلسه للمطحنة أن يصير طحياً، فعمل صحيح المكائن، حتى الخمار لكي لا أسمع من راحة الظل التي كنت فيها إلا الصدى مختلطاً مع صحيح المطحنة ورائحة الدقيق.

## الصوص

في الخامسة من عمري حملت لأول مرة بالصوص. هذا الحلم القديم اليوم، الأول في الطفولة، ما زلت أذكره. الدار التي على سطحها دار الحلم، وأخي الصغير كذلك والمقبرة المجاورة، المقبرة الصغيرة جداً صغيرة الأطفال خدمت سببا للصوص الذين على رؤوسهم الصرر التي سرفوها من دارنا، وأنا أظن أنهم حائفاً من شرفة الدار، ما زالوا يركضون في ذكرى الحلم.



المرّة الأولى التي أراها. دعشت من الشبه بينها وبين السلطنة. صحت وقد التمت إلى طالب الذي كان متحياً على قمعه الرمي: إنها ليست غزالة كما أخبرني تكاد أن تكون فرخ سلطنة. ترك طالب مكانه وركض نحو. تناول الحيط وراح يحدق في الحشرة الرمادية. كلا إنها غزالة. قال ولأنّ أبا دعسقة. قلت. لكن طالباً هز رأسه وقال: الصدوقة حراء منقطة. وأعاد الحيط. وبسوى راکضاً أخذت الحيط وعدت به إلى القمع الرمي وتركته هناك. ثم رأينا أتهه إلى مكان طالب نظرت إلى ساء الظهيرة التي امتلأت بغزلان كثيرة كماها يهبط نحو الأرض المكتظة بالأقراع الرملية

### الفرق

جاءت (الدومة) من الطرف الآخر وخضت النهر حتى كدنا أن نرى قعره. حين أبعثت ماضية إلى الضفة الأخرى هبط الغواصون إلى النهر واعتصروا هناك. كنا جميعاً مهتمين على الضفة اليمنى وأم صلاح عاطلة بالنساء. الرجال كانوا قد انتحروا جانباً وكان أبو صلاح يدهن. بعد دقائق طاف الغواصون على السطح وفهم الجميع الأمر. ففرنا. إلا أم صلاح التي بقيت على الشريعة. في الليل تنازلت شمساً هناك وقد أريد لها زوجها نأراً صغيرة. في الصباح قلت أمي إن أم صلاح قد عادت إلى الدار. لأن الملائكة جازوا في الليل ودعوا إلى البنية. أم صلاح فحسب شأنته المشهد. □

## لأن القضية عتيقة..

### على الجوي

«وإذا وجب أن أنسى بأنني لم انتصر،  
فإنه ستكونين قد عرفت عظمة حقدتي.  
بول بوير

■ طول عمري وأنا أبحث الليل.. استحكمت بيني وبينه عداة مبهم.. أنه يأتي في وقت تكون به الشمس مشلولة الأطراف.. يسبقه وقت الغروب الفاتح، تحت عيمة الغروب اتسع قلماً يصح رأسي بالتأكل كنية

أحس بانطواء وحزن لطيفين.. أغرق في نمرد يقطع كل رشاختي بالأرض والناس والزمن.. تتوزع عراطلتي.. أتبيع من الحديث، أنحي كمنكبة ملجئة في ظل نصل همس حيث أ..

في ذلك المساء، بعد أن انفلتت الغروب ووصل متكاسلاً راق الطفس - رغم رطوبة الجو- ونسريت فطرات من الشك إلى أعماقي.



تضايقت من جلستي على الدكة الحجرية الصلدة المزكوة في الباحة الفسيحة. اندفعت بفصول عارم إلى دائرة الظلام تحت شجرة رمان كثيفة الأغصان. سكوت الحديقة يتصدع أحياناً بأصوات حشرات تطرد الحرف بضجيجها.. كان أبلو ممتناً كأيام امرأة عائس.. ثمة انسان مقل على:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام.

- أجبته بلا ميلالة متعمدة.

- أنت عادل فاضل؟

- تأملت بحياة مخطوبة وأنا استغرب معرفته لاسمي.

- تعضل معي.

- إلى أين؟

- تسالمت بحيرة

- ذلك ليس من شأنك

- لكن.. أنا لم أسيء إلى أحد وأنا لا أعزبك يا سيدي!

- رددت بخنان وألم دليلين

- عاصفة من الضحك الحافت المقهور تنكس وجهي المجلود.

- صوتها الحافت الحاد طرق مسامي في زمن ما عايناه بالضبواب.

- وجهه الرصين القاسي أطل عليّ من طيات عصر من المصور.

- الطلعة تكالبت على قسيات ملاحه فأغطينها كالية.

- بقية.. أبقى يدك على معصمي، فاذني إلى خارج الحديقة..

- ضيق من الحلق على عروني.. تشوشت رؤياي.. لمخض حديسي

- الجاسع بأن كل صليق بالحياة الآن هي هذه اليد المسطحة على

- معصمي.. أرفقي الرجل خلفه على الحصان، أكر الحصان فالتهم

- الطريق علواً سرياً.

- خلع ثيابي.. بكتك.. ونحن.. أنا والرجل.. نلج حفرة مربعة

- الشكل.. كميذان قاتل مهجور، تنوسط الحفرة طاروة خشية صغيرة،

- قرب الباب كرسي قديم.. سيطر عليّ وقار شجاع، يثير الضحك،

- غرقت في بحر من الصمت، أطرقت رأسي وأنا في حيرة فاقدة وفلق لم

- تصيح لي ملاحه بعد. لم يطل انتظارني. دخل رجل ثان:

- أنت عادل فاضل؟

- أجبته بخوف حقيقي هذه المرة: - نعم.. هو أنا يا سيدي..

- أتريد ما؟ - نعم.. مع الشكر الجزيل يا سيدي..

- أشار إلى الطويلة الصغيرة، كان فوقها أفتاح طينية ملأى بللاء،

- لعنت الله لعناً، كان مرأ كدواء مقيت. تنفدت جيوبى بحثاً عن حلية

- السجائر.. كنت قد نسيتها في الحديقة، نكست رأسي ثانية. امتلا

- قلبي بالدموع.. اصغحت السمع.. كانت تأتي من الحفرة المجاورة

- أو الزنزانة - لست أدري - صجحات أم وأثرافات، ولغظ ضاح،

- وأصوات انزطام أجسام بالأرض والحدران.. فرحت! سرني أن معي

- أنساً رغم أنهم يعيدون! قام الرجل الثاني، بقس في وجهي ونخرج.

- أقبل رجل ثالث، قميصه ناصع البياض كعطل جديد:

- أنت عادل فاضل؟

- لم أصد أحس بأي ضيق تجاه استمئهم، نظر إلى نظرة فاحصة

- طويلة، ثم، جلس صامتاً.. هممت لأن أروح بقائي للرجل الثالث..

- حولت نظري إليه، وجهه القاسي آثار شحور انهارت في أذنه

- الجليد الذي أنا في مناهته، اتسعت حدكتا عينيه حيناً يتقرن أي

## ماء الله

كريم عيد



■ عندما كانت مدينة تنظر هذه النار في التنور، وهي ترتب قطع المخبوزات والمخبوزات في الطبق المعدل بالمخبوزات، أخذت تأكل تمراً وتلقي بالنوى إلى النار، ورفعت رأسها إلى عصعصو وعصعورة يتناسلان بين أغصان شجرة التوت، شمعت بأن الضحى هو أجل الأوقات، ورفعت ذراعها وقطعت، فكرت بأن العيد يقرب، ولم يعد من المفعول أن تظل هي وأسمها واختها في الثياب السوداء، لقد مر أكثر من عام على وفاة والدها... الباردة ظلت سهرة على صوت المطر الخفيف وهو يساقط على الأكواخ... على سفح التخييل... على الليل... على الروح السهرة، وبنت لو تخرج إلى البستان، تتجول في هذه الجنة المفسدة بالمطر... تلوكة ماء الله يبلل ثيابها ويفرق جلدها بلساته الباردة اللذيذة، انها تسرح الآن... تسرح وتطمش في هذه الضحى المثلج... الليل المطر لقد بدأ هذا الضحى وكأنه هدية من الله... طائر النار في التنور ولكنها من تنبته، آثار ابتهاجها بالكلاب، حين التفت رأت صبح العلوان، جوارهم يحيط اتجاهها يدهو، ألقت بشرة أخرى أن التنور تطفئت النار في الروح...

كان الحديث قد طال قليلاً، والعسكري المهادي، بسمت إليها بعين كأنه غير متأكد من كلامها معه وكلامه معها، أعطه رغباً ساعته، وهو لا يخفى عليه عرق عيونها، لقد اتفقا، اتفق معها على الإجازة القادمة، بأن يعني كعبها بيده وأن يأتي بالقمع إلى شفتها كي تنقله، ويضعه بين يديها كي يتلطف بحنا الفرح، قال لها بأن القمر سيظل ملطخاً بحنا فرحاً إلى أبد الأبد... ذهب وهي تنتظر، وكان رغب الحيز قد تيسر، لم يستطع الرجل أن يأكله، ظل يتطلع إلى آثار أصابعها عليه... لقد نسيه لا يعرف أين؟ مدينة أيضاً، سألت رمد التنور عن الحب، ولم تعرف أين، ذهبت إلى الضحى في البستان، بلست لها شفتها وكلمت الأشجار، سمعت الأغصان أحزان قدمها وحيف ثيابها، ألقت بنفسها إلى النهر، ثبلت روحها وطلت تسبح مع الأسماك

في ليلة رواء بدشدشت البيضاء لم تكن هواجس صبح العلوان قليلة، لم تكن هائلة، ولا يعرفها أحد، وهو يبدو كمرسى فقط، كان الهواء بارداً، هواء لواح أبولون، منذ سنوات بقيت آثار أصابعه على الخناء، تلك التي وثم بها أبواب الولي وحيطانه، الولي الذي مات عاشقاً، السيد سليل السبي، الذي يقولون أنه عندما كان يعني تتوقف الطيور في السهبة وتهدأ فيه السواقي وتتر آثار الأشجار لجة صوته

بسيلاً التحدث إليه. ترددت، أجهدت فكري وأنا أراجع ما قمت به من أعمال هذا اليوم، فلم أتوصل إلى شيء يستحق كل هذا العناء.

- إذن... فأنت عادل فاضل.

- جعلت من سؤال الرجل الثالث من اسمي مرة أخرى.

- نعم يا سيدي.

- لم يكن دورك بعد.

- دوري يا سيدي؟

- لا بد أن الرجل قد استمر تعليمي...

- قلت دوري يا سيدي؟

- نعم مستخدم إلى المحاكمة

- المحاكمة؟ أما يا سيدي؟

- أعرف، أعرف ذلك... لا تبع المحاكمة

- أوه... نعم يا سيدي... أنت تعرف المحاكمة إذن... اعتقد أن ذلك سيسير من إجراءات الأهرام عني!

- نف... بصق... أيضاً - الرجل الثالث في وجهي وخرج.

- لا أدري لم تذكرت الشحاذ الأعمى الذي كان يطرق باب بيتنا كل

خمس... بعد يده... ويقول لأني بصوت حنون:

- من مال الله، السخي، حبيب الله...

قالت أمي مرة، أنامله ورشيقة وأنامله كأنامل النساء... كان الشحاذ

يقول

- الصبر والحلم لا ينتان في بستان أسفلي

ذات مساء عرض عليّ أن يبيعي ذكرياته

حدا... نعمت بعد ذلك... ثم، تسبت عرضه

أنت عادل فاضل؟

كان الرجل الرابع مرموق القامة، أسمر الوجه وأوسعه، القليل

على عينيته الجاحظتين من المصقوف، تقدم نحوي مسجل ثلثة وثيرة

ورفع يده، توهمت صفة قوية على غدي، أدركت رأيي بلا شعور وأنا

أضبط على نواجدي... تقدم هو... لأصغي... مسح بقايا البصاق

من على وجهي... ظهرت متدهشاً... سررت... ها قد

أحبتي أحداً!

ابتسمت وأنا أضغط وطلاة السكون والود الخفي بيني وبين الرجل

الرابع، خطر لي أن اختبر طيبته، فأبكي على صدره أعاتبه على

صعوض ما جرى لي، ريت على كفي يوداعة، همس بصوت وصين

وصاف

- عندما يمي الإنسان بواحت حزنه، لن يحتاج ساحتك إلى حائط

مبكي.

قافني، برقي، إلى امر طويل أرضيت من الخشب الأحمر، شاهدت

شيئاً عجيباً ورغبياً، الرجل الثالث، يسحر من الرجل الرابع، مع

أهم حجاب حكمه واحدة، أو هكذا عيل لي، سألتني الجالس على

منبر عال، وألقته القافني:

- أنت عادل فاضل؟

- نعم.

- لم تقض عليه؟

- أمر أجل هذا لحاكموني سيدي القافني؟

- نعم.

- سيدي القافني... حضرات الحجاب... □

التخيل، وكان أحياناً يرى النخل وقد تحول كله إلى مشاقق، مشاقق كثيرة تمتد ولا حصر لها

بعد غيبة طويلة، حين مرّ ابن صاحب مضخة المياه، كانت مدحجة قفلاً جريماً من البئر، وحين اقترب منها صارت كلها في ظلاله، وعندما سلم عليها أحست بأن صوته يدفعها إلى الماء، أوشكت أن تسقط أو هكذا حُلّ لها، حين خطها في اليوم التالي ووافقت لأنها تعرفه منذ زمان، ووافقت لأن صبيح العلوان مريض، ورضيت بالأسر لأنها حريئة ومتعلقة منذ سنين، وهرعت لأن ليس برسومها إلا أن تفرح، وتسامت بأنه متزوج وله وُلدان، واستقبلته في كوخهم بحضور أمها وبخيلها، لأنها لا تستطيع إلا أن تستقبله، وتزوجه، وهرعت معه إلى المدينة، وعندما كانت تعود لزيارة أهلها، كانت حين تلتقي عيونها بصيغ صبيح العلوان تتجمل، تتجمل وترتبك، وهو أيضاً يرتبك، وحين تعطيها أنها، يأخذها الرجل بكلتا يديه، يرفعها ويقبّلها وهو يتطلع إليها، وهي تعرف بأنه يريد أن يقول: إن هذا الولد كان يجب أن يكون ابني، لحماً مثلي كان يحدث، فتدع صغار عمود يأتي لبردة أهلها، ويصافد ليل ويحمل إليها يدها وهي تتطلع في عييه، وهو يعرف بأن عينيها تتولان. كان يجب أن يكون هذا الولد ابنك. □

## أشجار السدر

لؤي عبد الله

■ ■ ■ وعمل عبد هادبا، أبقتله أمه مجرأ، وأبقتله سلمى أيضاً، معلنة أن ثورة قد حدثت، طلب أيوه منها ترك طفلها راقدين، وقد كاد أيقض بصره فأنه، ملقفاً جسده بالحقاف السبك قصص الفجر بروق الشمس متزججا برذاذ البرد الطفيف، الذي يشكل مع العطش الفظي تنائياً متكدلاً، يمتد على الحذر، ويمتد منعة البقاء بين النوم واليقظة، لكن راحة، القيش المثلّي، والحس الملح الذي راحت تفككه أمه في الصحن الحزقي، أبقتله الحروع الراقد في أحشائه، ودفعته إلى اللطف. وما كان من عادة أبيه الاستيقاظ عند الفجر، في الذي جرى في ذلك اللذيع، حتى جعلها يفادرن القرائش الدافئة في ليل وقت ليلهم؟ ها هو يلتقط كليات عاصفة، قابعة من عدة راديويات: علم الانحياز، مؤثر بانديوم، النظام الجهموري، الوطنية، الاطّاع، نظام الحكم الملكي. ارتفعت الزغاريد من الجيران، وحينها فتح عينيه، واجهته الساء صعبا، التي اعتاد أن يراها كل يوم، ووجهه «مسمم» الكامدة، رابضاً في قصه،



الخيرين... كان العسكري العريس هادئاً، مدوّره يشبه الأسى، وها هو يتزوج ليل لآها اختها، أخت مدحجة التي ذهبت، لقد اتكسرت أشياء كثيرة في خضابه وظلّت الوحشة في البساتين كأنها نخلة بين النخيل، البساتين التي كان يطعم بها لا تكفي لظلالها، لكن ليل الصبغة كثرت، قالت للوحشة أن هذا عهدنا، وهذا عقل الرجل وورعه، لكنه ظلّ يسي أشياء كثيرة، ظلّ يسي أن يرتب ملابس على الشلال، وظلّ يسي أن يأتي إلى أمه في الأجوات، لكنه لم يتسّ جرحه الوحيد، وصلة الذي يشبه جبلاً من الصف الهائس، وشرارة ابن صاحب مضخة المياه التي دبت به وأحرقته، غير أنه عاد ليخطب ليل التي تشبه اختها وهو بهذه الطريقة سيظلّ محظوظاً بجرحه طويلاً إلى الأبد، وسيستطيع أن يرى مدحجة بين وقت وآخر، إنه الآن عريس بشدائد يشهدا وهواجس كثيرة مرتبكة لا يعلم بها أحد.

عندما ودع مدحجة في ذلك الصبح الهادئ، لم يكن هو الذي تأخر، لقد تأخرت الدنيا فهو حين وصل إلى هذا المسكر التي تشبه الوحشة، ذهب لينام، دخل وألقى بجسده المنقب على السرير الحديدي الضاحك قوائم قبلا في الأرض الرطبة في إحدى زوايا الحيمة الواسعة. لقد رقد هناك يرتب هواجسه ويأبىه القافدة، استرخى وأوشك أن ينام، لكنهم أبغضوه، أعبروه بأن الضابط بطله، قال له الضابط: انتك مرشح ضمن المجموعة التي ستفقد حكم الأعداء بأربعة مجرمين، أهم سلة ملحدون ورسول، محزون لا يستحقون أن يتنصروا هؤلاء الذين انتكهم عتدس

لاحظ صبح العلوان الذي يركب لآمر. الضابط يقول كل شيء من الحذر والحرف وعدم الثقة بما يقول، بل كان يرتعد وكأنه يريد إعدام صبح العلوان وتسلّوا! يستعطف هو ليس إلى عيني صغرنه، بل أن الحذر والخوف سرّان في وروحه وبطنه على خلاف صوت الضابط الشاحب المرتد.

فقال صبح العلوان للحذر الخائف الحذر بانصاح وأمرك سيدي! كان عليه أن يقول أمرك سيدي فلاناً. عاد إلى الحيمة وسقط مبشراً على فراشه، حاك جسده المقروص من أكثر من جهة، حاك جسده عندما شاهد العروضات تطير وتعلق حول وجهه... كان الصباح بارداً في ساحة الأعداء، والسهاء بدت منخفضة لكثرة الغيوم الدافئة التي تركت تحتها في الهواء، شعر صبح العلوان بأن هذه الغيوم توشك أن تهبط عليه وتغلفه. ثمة أربع مشاقق تحتها إلى اليمين أربعة رجال يهاب يشهد معيرة، أربعة أكياس وضعت على زُرُوس الأربعة، والأربعة اقتيدوا إلى مصبات أربع. لقد تغير قرار الأعداء ولم ياترهم صبح، أهم مسمونون شفا، لآهم من المكلفين، وقد أنهبوا خدمتهم منذ أكثر من سنة، أبوا أكثرها في الاعتقال، عندما تالتت زُرُوسهم أمام حشد الحفود، على صبح العلوان بأنه هو الذي دفع النقص من تحت أقدامهم، هو الذي أصابه الحرس ولم يصبر أن يصيح، لأن الصراخ قد تيسر في لسانه وكنائه وريده، كان يعرف ثلاثة منهم ويعرف أيضاً بأنهم يعرفونه، ويعرف أيضاً بأن هؤلاء هم ووالده والحلم والحلب والتور ومدحجة والوراح والعراق كله يمكن أن يلقى إلى القبر بدفعة مصّة... عدا إلى حشد أكثر من شهر في الحيمة، وشهرين في المستشفى، ثم عاد إلى المسكر مصاباً بالثورة، ليس ثمة في باله سوى البساتين، والمشايق، كان أحياناً يرى المشاقق الأربع وسط البساتين تظهر فجأة بين



كالعادة، وتعلو حبيبات بفسجية أعصابها الرقيقة، اللثة كذلك، ما زالت ورود الجبوري، الخمراء والصغراء واليهباء، تبث العير بمعه، وفي الداخل واحه دلت آخر الهيج، الذي لا مثل له إلا في الأعياد حيث الانتساحات والملابس الأنيقة والشاي المحلى بحليب الستلة، واللحم المعلى بالمطحين الأبيض. كانت العائلة خاصة بالرجال. وفي زاوية، جلس أبوه مع مجموعة منهم. توقع أكبر أن يطبلوا معه، كالسابق، قزاة قصيدة من تلك القصائد التي يجمعها على ظهر قلب: «البيتيم»، «العلم»، «مليكناه» أو «الشجرة». لكنهم في ذلك اليوم كانوا مشغولين تحدث آخر لم يشاهدوا مثيلاً له من قبل، بد برغم البهجة الطائفة على أسرارهم، يبدو متوترين، بلارهم احساس من لا يعرف ما يتجنى له المستقبل. وهذا مزرع اخوف في معه منهم.

ملكته الفشة، عند رؤيته صورتين مطبوعتين على ورق عادي، أرقرق قاتح، لصكريين، أحدهما بعر أبيه، والآخر «صغر»ه قليلاً، ملصقتين على الجدار في الوقت نفسه، احتجت صورة ملكة الكبيرة، الملونة، ذات الأظفار المذقبة، والملعنة بالرجاح. سأل أكرم أباه عن هذين الرجلين، لكن كليهما صاعت وسط حتى الأحاديث والصحبات صاحبة، ووسط هدير الأناسيد والمأزشات العسكرية المنبعثة من الراديو. □

## اللعبة .. والمصير!

هاجر القحطاني

■ لا أستطيع أن أفعل شيئاً من أمثلك، إي

عند

ولكن .

وسطر إليها بتوسل، كان كل شيء قد

تجمع تلك اللحظة أمام عينيها، كل شيء

بصورة مصطرة، صور تتعدى وتقترب،

تنصبح وتعب، تترافق بعف وأصرار أمام مطربح متحجرين

الفرعين،

شكل رهيب

- اسفة، صديقي لو كنت أستطيع لعمت كل شيء وبكي قتيبة

الحيلة كما ترى

وسطت بدياً أمامها بيأس

- ولكنك أنت التي أثبتت لي في هذا الصبر، كيف يمكنك أن

تسحي نفسك الألاع

وانتارت على الأرض أمامها.. ياها من بشعة. ويشكل

منتظرًا حصة الدحن التي يقدمها له كل صباح. إلا أنه اليوم بلا مستمعين، ولكأن هدير اللدماغ قد بعث الخوف في عروقه، فحمله بتفاز داخل القفص دون توقف. لم يتغير شيء حوله، ما زال يتهم محضاً بشكله. غرتان متعامدان، تطلان على طيارة مسقفة، تلتمح مع حوش صغير مسور بثلاثة جدران عالية. يلمس طابوق الخروش من وراء المخلدة، فيجده على حاله، تستقر قريباً منه جرة الماء الفخارية، البدية، وإشياء الرقي العارضة إلا من القشرة الخضر، موضوعة في صحن من الألمونيم. ما الذي تعبه الثروة إذا؟ هل عبرت العربة أثناء الليل؟ قصر فحم من يلود روعه حتى وسطها؟ أثار من غسل ولين شقت طريقها إليهم؟ يستطيع أن يرى القربة أمامه حتى حور الخافض عيبه

يلع بيتهم وسط صف بعثرة أبواب، يقابله صف آخر كمثل له، يعصفها شارع ترابي، عريض، وراء البيت صفان أحرار متقابلان، وهي امتداد هذه الخطوط الأربعة، صف واحد طويل متعامد معها كم اتشعل في عذ أرقام بيوت القرية حينها بدأ في تعلم الحساب. لكنه الآن يفصل أحصاء النجوم التي لا ينتهي عددها، سعى إلى اكتشاف أرقام وهزرات جديدة، برغم تحذير أمه من القنارل الذي سيعطي طاهر كفيه، طمأحو لا يتكف عن عد النجوم الثلاثة فوق رأسه كل ليلة. عم الفرح الجميع بقدم ضارب الدمام وعازف البوق وثالث يهزب بالصنح. تأتي تلك الفرقة عادة إلى القرية في الأعياد وتنتاست البرواج والختان. كانت الشمس أسداك، قد بلغت كيد السماء ومضت تبحث بأشعتها، البراقة، الحادة، عليهم. فاجبرتهم على التروق.

اصطلمه أبوه إلى النائي، الذي يلتقي فيه الموطون كل هسليما ها هو الشارع المعفي إليه، يمتد طويلاً، يمتزج على جانب أشجار الكائنوس، الرخوة، المعلقة، تنفوس صوف بطراها في شفاط الآخر، فارتاة الطريق بالنفي. على عيبه، بعد صور المظفرة، غند غابة السدر خلف المصصاف، بأشجارها الكثيفة ذات الأوراق السمكية، الذاكرة الخضر، وأشواكها، التي تعمق الصغار من نسلها، مما يفسطهم أحياناً إلى طرأها بالمجاعة لاسقاط لمرها التناضح: أصول حمراء تبث التحدر في الفم، وتخلط من السائل الكثيف الحلو- الحامض المذاق، يقطر في الفم، وكم حطرت أمه من ضرب أشجار السدر، إذ سيؤدي ذلك إلى حط شيء يصبب عائلته، سلامة وراء أخرى. لكن ما من حيلة ثانية تسمح له بالفاظ تلك الحبات الصلبة اللدنية. كم يعصها على ثمار الزين التي ما تكاد تسقط فوق الأرض حتى تبشش عليها كتقطع الحجين، متفلسة ومخلطة بالتراب، وقد سأل أباه عن صحة ما تدعيه أمه، فجابها ضاحكاً: «زعزعات»، وحينما استفسر عن معنى تلك الكلمة، ذكر له عبارة أخرى، أكثر غموضاً من الأولى: «عزافات»

وما يعمران المدرسة (ترتد إلى ذاكرته قصة برح يابل التي حكهاها لهم المعلم يوماً. كيف أن البشر أرادوا بلوع السباء بمواصاتهم بناء ذلك البرج ليل نهار، لكن الرب فرقههم بأن جعل على لسان كل منهم لفة لا يقهوها أحد سواه، ففقدوا قوتهم وتشتروا في أقاصي الأرض، غرباً وشرقاً، شيئاً وبيوتاً

لم يلمح أكرم أي تغير حوله عند اجتيازها لمر للمضي إلى النائي، ما زال مياحاً الأس على حالها؛ خضرة أوبراتها داكنة

قطع، تنسى لو تمنعش عنها ولا تنظر إليها، إياها لا تكاد تصدق ان  
عالم في نكف أمها هي نفس صديقتها «سلوى» التي تعرفت عليها قبل  
عام في ندابة التحاقاتها بالكلية، إياها ليست الآن إلا ذرة تقضم  
منظرها، بكلامها، وحتى بحركاتها ووجهها المستعر الجسود، ولا  
تدري كم طال ما ألقت وهي منكثة على وجهها تكي.

- اسمي يا وجوده يجب أن يعرف أحد بما حدث. أنت تفهمين  
ان هذا ليس من صياحك الي كذلك؟

كانت تنكم بحسد واحتقار، لم تكن تنظر إليها إلا أنها كانت  
تنصورها لمجملها بارتداء وأناملها تبيت بذهنها المذنب كالعانة! وماذا  
يمكنها ان تفعل؟ هي التي سقطت، هي التي انزلت، ان أحد غيرها  
لم يهتد شرفه وكرامته! وكل ما يمكن ان يلحق بالآخرين من هذا الأمر  
ليس سوى بعض التائب والكلام المقارع، وهي... سلوى..

الس من العذل ان يصيبها ما أصاب «وجوده» ان وجوده لم تكن تعرف  
شيئا عندما أقيمت على بغداد قبل عام للدراسة، فهي التي عرفتها على  
الأندلس والطالب والإجهاضات، بل هي التي سمعت حديثا في تكسب  
إلى مجموعتها شابا عبدا عن طريق خلق علاقة بينها هي وبه! وس  
كانت أجمل من «وجوده» وأكثر رقة وضغفا وأساس انقيادا؟! رفعت  
حقيقتها البدوية السوداء، وعظمتها ثم كتمها ثم أخذت إليها أيضا  
حبيبة كثير حبيبا، ولكنها نمو الياب تتخلل ومزلة، وعندما أريدت  
ان تخرج أسكت «سلوى» يدها برقة ثم قالت

- أحب ان تساهي يا وجوده ولكني لست مدنية على الإخلاق  
هنا، فانا لم أجهز على الإصاح به

وماذا يجب ان تفعل؟ أقرقت بعينها الكلالون ثم قررت حاشية  
عنايتها من جنبها التامسة بحركة لا إرادية، وانطلقت ريقها ماد  
تعي الصادة بعد الذي حصل؟

- هل تستعدين لي الجيوب؟  
لم يجب بل أومات برأسها علامة الإيجاب

- وهل تستعدين بعد ذلك لي بعداد؟  
لا أدري..

ولمادة استندارت تنظر إليها بهيج..  
ولكنك أنت السب! لماذا كنت تتحدثين على العصبية إدو؟

- ما هذا إرهاف؟ وهل يزيدن ان أبوء مسئلة في أحاديثي، لا.  
بظهر انك قدلت عقلت أيضا.

وفوة المغلوب على أمره، بالانس الذي لا أمل له، ذلك الذي قد  
أهم شيء في حياته، صفتها.. ولم تنم على ما فعلته أبدا. كيف  
يمكنها ان تنم على صفة لا تسوي شيئا بالنسبة للجزاء الذي كانت  
تدركه؟ لم يكن يبرها شيء، فقد التفكير بأحداث «سلوى» التي  
جاءتها إلى مجموعتها، والتعارفات الطائفة التي ربطت بها حل  
المريضة والإنسان حول ريقها.. ودائما نفس الشعارات! أما الأخرى  
فقد تحملت ما حدث، إنها استطعت علاقتها ب «وجوده» حال خروجه  
من الباب وإلى الأبد، فتستعمل إذن كل شيء في هذه اللحظات  
الأخيرة.. ولعل سب سكوتها كان شيئا آخر، ربما ليظنها القاطع انها  
لم تكن بلا دس تماما!

كان عليها ان تترك بعداد في هذا اليوم وتعود إلى أهلها في الجيوب،  
سبب سكونها بالتأكد من سبب موتها في غير عطفة نهاية الامور،  
ولكنها الآن لا تفكر في الذي يجب ان تفعله لهم، إنها تستجد للجواب

التائب في الوقت المناسب! وصلت ليلاً إلى محطة «الصادقة» في  
مدينتهم، ولم يكن أسوأها «علي» الذي يكبرها ثلاثة أعوام بانتظاره  
كالمادة، فهو قد دعي قبل عدة أيام للتحقق بوجده العسكرية،  
وهي تعرف ذلك جيداً!

كان يجب ان تجتاز الحسري تصل إلى بينهم، ولكنها لم تكن  
ترغب في الوصول بسرعة هالك شيء ما يحاول إعادها عن الطريق  
لؤلؤتي إلى البيت، إحساس يدفعها بشدة كي تطلع، ماكرها وينتدك  
إلى ما لا نهاية! وعندما لاح لها الحسري توقفت، ثم سدت رتد لثود،  
لقد أعتت نظرها لرجة إعلان في طريقها، وهذا هي تعود «الانظراف»،  
ربما لم تكن اللوحة مهمة بالنسبة لها كما كان اعتادها عن «الطريق»،  
وسوفت لتضراها، لم تندرك بعد ذلك، ما كان في الإعلان ولكنها  
تتذكر جيداً صاحب المحل الذي توقفت بجانبه، كان يجرد عت  
نظرها بالاشارات أحياناً وبالكلام أخرى، وعندما لم يدر صبا في  
اعتباط له وهو في داخل محله، وأنه يخرج كي يقتر بمزنا بصوت  
خصيص.. هيج حل حلقه ماكرها المستمع.. ولكنها تغير إليه  
ولم تلتفت، حتى تلفها العزم يحزن ولا حقة واحدة مضطربة كمدني  
في مثل هذه المواقف، من سارت مسافة قصيرة ثم توقفت مدأة في  
تصق في الطريق.. لم يكن هذا ما مالوف من قوله به، إلا أن اليوم  
توقفت كي تبصق، ربما على وجهها، حياتها، أو كل شيء!!

ويبدأ تجتاز الحسري الذي يستل عن الفرات، لكم كانت تحب  
السير عليه ليلاً مع أمها المجهز وأخوها في وعده قبل زواج الأخير،  
وهي تراه قصيراً جداً فتنصر عليهم ان يعودوا كي يجتازوا مرة أخرى،  
ولشد ما أثار فيها مظهره «الحادي» المسلب أحاسيس وانفعالات  
وعواطف طامعاً بديعة بالسيطرة كوجهها، لكونه غمر فيها من الآلام ما  
لا يحصى ولكن سئل عليها سلك طريق الحياة والمصائب التي كانت  
تواجهها، ولكن مشيته وأجبه من كل وجودها! أما الآن فهي تنظر  
إليه بهروب، وهي تبعد عن حافة الجسر، تخاف ان تسقط فيه، تخشى  
ان تغرقها أعصابها ويعتد بها فعلها، قربي بنفسها في وتفرق! تخاف  
ان يعرف أحد بما جرى فيأتي كي يدفعها من الحلف، تخاف من  
حقيتها من عبادتها التي أخذت ترعب أذنانها عن الأرض، تخشى ان  
تعثر في تستقطط، من أرضية الجسر ان تهازل فجأة تحت قدمها، لقد  
أخذت تستعزم من خطوتها، ولشد ما أصبح يبدو طويلاً بالنسبة لها،  
هذا الجسر الذي لا ينتهي!

لم تكن بحاجة إلى السير مسافة طويلة بعدما اجتازت الجسر فيهم  
يقع على مقربة من النهر فكان ان انتهت المحطات شرقة وإذا بها أمام  
دارهم، فتحت الباب بفتح تحمله معها دائماً، ولم تقص لحظات  
حتى كان الجميع على عدم ععودها، لم تسألها أمها شيئاً، لاحظت  
التحويب وإصحاها وجهها فلم تتحدث معها كثيراً، بل لم تحاول  
النظر إليها أما أسوأها فقد بدت مسافة من إهمالها دراستها وعدم  
الضباطها وسعي حشيتها كي يعرف السب الحقيقي لعودها بعدما  
صارحها ان لم يقتنع على الإطلاق كي تصحبت به، إلا أنها أصرت على  
أن السب لم يكن سوى إحساسها بالتعب والإرهاك والمريض، وتوكرها  
لوحدها في نهاية الأمر وفكرها الحصار منها، فيما عمت ان فرت بنفسها  
إلى حجري بحمة الإرقاق، كانت الحجرية تستقر في آخر الهم ولم  
يكن بجانبها إلا خرن صرخة صرخة عن الألباء، والرسائل التي هم  
غنى عنها.. فكانت بذلك أهدأ مكان في البيت كله، حتى ماغدتها ما

كانت تطل على زقاق مزدحم أو شارع عام، كانت تجاور معلماً صغيراً يبرق عبر الأبنية ويستكين فيه بيت قديم مهجور.

ومت بنفسها فوق سريرها الخفيف الذي أخذ يصير تحت وطأة جسمها المتناسق، كانت تشرب به تقيلاً أكثر من أي وقت مضى، حتى أوشكت أن يلاصق الأرض التي تحته، فتضايقت من جسدها الذي بدا لها غريباً، تريد التخلص منه، وهو يصيح في الخياشيم عليها، غلظت وفكرت في فراشها، أعجمت عينيها عنها، لا ترى ولكن هالك أشياء كثيرة يمكن أن تراها، أشياء تلج في الظهور ولا يوافق رأي نفس أن تتعدى عن محلها البقطة، مساطر مختلفة، مواقف قريبة العهد، أحاديث جديدة غير مألوقة، وهى حاد، حاد مشكل رهيب! واسم قصير، ضخم، يطير في أنفها، يكاد يحدث فيها شأماً لا يبر! اسم من ثلاثة حروف فقط!

وأخيراً كان يجب أن تمع وقد غقت، غلبها النوم فلم تستلم له. كانت الشمس قد طغت بصيائها على جدران حجرها الضيقة عندما استيقظت أثر سماع صوت ابن أخيها يردد عالياً: يا شبتنا الجري.

لله أكر خضت من فراشها وألقت نظرة على وجهها الشاحب في المرآة، كان رغم شحونه يصرح بعنف ويكاد يتخلع من مكانه، مررت أمامها عليه، غمسته، ولكنها أحست به حشاً بغطاة، يا ولي! لم تكن تظن أن عينيها ستشعر يوماً بهذا الشكل المرعب، لم تكن تتصور أنها ستجترأ على النظر بهذه الرقابة بعد الذي حدث! يجب ألا يصير! يجب أن يفقد نورها، هذا أفضل من أن تنظر إلى وجهه بانت تشرب به غريباً عنها، ملتصقا بها دوماً. وجهه تريد الفرار منه لكنه يطاردها ويدق بقوة وانتظام على وتيرة الذاكرة! يجب ألا تنسى! كان صوت المديع يلمث وهو يطارده الأحبال مسمعاً، يها لينتهي هو على ظهره بجوار النوم،

أخسر هذا الزئران من فضلك

الفتى إلى جانبها الأيمن ثم قرب وجهه إلى أذنيه وأخفض صوته وعلا صوت من جانب آخر

مادا تريد أن يقول لك هؤلاء المهرسون، نحن اعلم بالأخبار، اطعمه الله يملك!

ولم يقل شيئاً، ما كان بحاجة إلى الكلام مع أحد بعد أن أطلقه، وساد الصمت فترة الزنكة الصيفة، ولكنه لم يستطع النوم أيضاً، كان هالك جندياً يقومان بدور الحفارة الليلية، فكانت أصوات أقدامها المسقة الحفارات تدق بقوة على قفيه الذي اعتاد أصواتاً أكثر خفياً، إلا أنه كان يكره هذا الصوت للنسق، عطوفات متواصلة، صاه، لا معنى لها ولا مفهوم، لا تطفئ، وليس ثمة ما ينتظر من ورائها، وهو يفضل صوت القنابل عندما تنفجر، والقذائف وهي تقترب من الهدف، إنها على أية حال تدل على شيء، وتعمل شيئاً ما، شيء أو تعيد، أما أصوات حفارات جود الحفارة الليلية فما هي إلا كدقات ساعة بلا غراب! وجاءه صوت ناعس:

هل متبداً الحرب؟

اعتدل في استنفاده وأجاب:

لا أدري، يبدو أنها لن تبدأ،

كيف؟

لا أنهم يقولون يدفع ثمن باعظ من أجل إخراجنا!

ومن قال أنهم سيدفعون هذا الثمن الباهظ؟

القياة تحذرهم، والله اعلم!

الثقت بعد أن قال هذا إلى عمته وشعر به ينظر إليه هو الآخر، وصمت، وبعد قليل عاد الصوت يقول:

حتى سيكون دورنا؟

بعد ثلاث ساعات!

وما فائدة الحفارة وليس هنالك حرب؟

قد تبدأ الحرب بين لحظة وأخرى!

ولكن القياة حذرهم!

وما شأني أنا، أنا كنت تحت أن تجادل في شيء، فأنا أريد أن أنام قليلاً، تصبح على خير!

إسمع يا علي، دعني أقول لك بصراحة، لقد تركت زوجتي حاملًا!

أريد أن أنام

أنا أعشى عليها من الحرب، قد يدرون بقصص المد!

أرجوك دعني أنام!

ولكنك لا تعرفها، إنها ضعيفة القلب جداً، قد عقد طفلاً، ولن يكون الطفل الأول الذي تلده، لقد أجهدت من قبل مرتين.

أتوسل إليك أمكت، ولا تتكلم من السكك الذي في لاه، انك ترى لا حرب ولا بطيح، فعالم كل هذا الغلق؟

وصمت، ولم يعد يتكلم، وتغيم السكون على المكان مرة أخرى فاستطاع هو أن ينام ويغفو، ولكنه لم يستمر طويلاً في سباته، فقد ابتلع صوت مرجع بشدة، وكان الصوت هو صوت المديع يتكلم عالياً مع ضجيج أهل سه

هنا حربي؟

مدا، نعم!

وعمر من تكلم وقصاه له الخبر وأقرعه.

مادا تحزن؟ أعطني المارياح، أعطيه

ولم يسعه ليحطى بل اختطف من يده، كان المديع تحدثت من بعيد بصوت مسرع عن آخر الأشياء، بغداد قصفت، وأخيراً بدأت، بعد كل ذلك الانتظار واللعب الحبال والمساويرات والتهديدات، بدأت الحرب. كانت أخبار الغارات الجوية تتوالى بين الجنود في تكاسيم ينتظرون ديابات العدو تنقل عليهم! مضت الليلة الأولى واليوم الأول بأكمله وهم لا يعرفون الكثير عما يحدث، فالقذاع الصغير الوحيد الذي كان يحتفظ به على بمثابة حيلة ويوجد غارفاً بذلك أحد أهم الأوامر، اتخذ شاكراً الأقدار التي أنقذته من العقاب على الأكل.

كان صلاحاً قلقاً مضطرباً يدور حول نفسه في حيرة طوال اليوم.

هل تظن أنهم سيضربون المدبرين أيضاً؟

أنا لا أعرف شيئاً، من أين لي بالأخبار؟

ولكن وحياته!! أنها في بئدها عند أهلها.

ليست حياة؟ هي الوحيدة المعرضة للخطر، كلنا لدينا عوائل، انك لا تذكر إلا نفسك!

ولكنك لا تعرفها، إنها.

نعم ضعيفة القلب وقد تفقد طفلك الثالث! ولكن ماذا أستطيع أنا المسكين أن أفعل؟ هل أنا الرئيس القاد كى يكون كل شيء يدي، أنت تثير صحتي فعلاً

وحش، أنظر أنا اسرود!

- بالأكيد!

- ومن منصرف؟

- يظهر أنك تنسى دائماً من أنا؟

نظر إليه باستنكار، وهل هذا وقت مزاح؟

- أنا الجندي المكلف على قاسم حسن.

- ولكن ولكن... لماذا الحرب؟!

ولم يجبه شيء، كأنه قد وصل إلى نقطة مسيطرة خارج مدينة الكوفة، مرل على من السيارة، وتكلم قليلاً مع أحد الجنود ثم عاد وهو يحمل كيساً صغيراً، طرحه بجانبه، وتحسب وصلاًه الكيس قائلاً: «دائماً وصوموه صلباً، إلا أن السيارة العسكرية، كانت قد انطلقت بسرعة نحو الداعل...»

بعد أن انتصف الليل واشتدت وطأة السكون المظلم المهم على المدينة، ما كان أحد يتصور أن يراه هو بالذات متسكماً على ضفاف النهر، يسير مسافة قصيرة ثم يعود كي يتوقف متعلماً في النهر، وفي بقايا الجسر المنهدم فيضرب بعد ذلك مسيره متعباً عن الشاطئ الهادئ، ثم سرعان ما يقضيه ويرجع إلى مكان توقفه، أما الذي يعرف ما حدث له، وما الذي يجذب نظيره إلى النهر، وما الذي يجعله يطيل النظر إلى الحطام المتراكم لا يستطيع لومه، وإن رآه راقداً أمام هذا المنظر الكتيب، ليل نهار، كان يشعر بشيء في قرارة نفسه بضرب، لا يتكاد يسطر، شيء يصرخ في أعماقه، لماذا؟ كيف حدث هذا؟ كان بالامكان تقادي الحوادث بكلمة واحدة! هل يجوز أن يكون هو المذنب في هذا الأمر؟! أهو الذي قتلها؟ إنه يعرف جيداً أنه كان السبب في خروجها من المدينة ذلك اليوم بالذات، والجسر مهمل كان يجب أن يُصْرَب في ذلك اليوم بالذات أيضاً، ولماذا رُحِّلَ؟ كان لا يزال الحطام على جانبها، يقسم أنه كان قد يرد إلى مسطحات عليها من النظم المكتشف في مدينتهم بأمرها إلى بيت أمها، ولكن ما فائدة كل هذا؟ بعد ضرب الحرس بسيفها بما يحسنه، وباترب أعصموا في كل مكان، والجسر الذي كان يربط بين طرفي المدينة أصبح مهشياً، مدمراً وما له يعكر هكذا؟ أفليس هذا هو نصيبه في الحياة؟ أم ترى لا يستطيع إقناع نفسه بالتالي حدث، وبالتذي سيحدث! ومن يجب عليه أن يلعن، هذه الحرب التي بدأت كي تحفظ منه زوجته وابنه... ثم تنتهي وقد أخذت كل شيء!! أم أشياء أخرى وأشخاصاً آخرين، لا زالوا يشدون الحبال لبعضهم! كان الجور بارداً، وكان رذاذ المطر يبلل شعره الأسود الضامح وعطيه لعة عاتدة، فصمم على ترك مكانه وسوقه والموت، وعندما وصل إلى البيت، لغت انتباهه جازمه المعجوز، وهو يعيث بين يديه، كان المعجوز معتل الصحة. ولم يكن مسيطراً على كاسل قواه العقلية، حاول أن يدخل البيت بدون أن يلمت انتباهه، فسار على أطراف أصابعه، ولكن القصر كان بديراً فلتعكس ضوءه على وجهه الشاحب، اتضح قليلاً كي يفتح الباب...

- الله يساعدك.

وتراجع إلى الخلف ثم التفت إلى المعجوز المتيسم.

- أملاً، عمي، مزاح إن شاء الله.

وتقدم نحوه بعد أن يش من الفرار وانتبه إلى الشيء الذي كان

يبحثه

- أنظر، هذه هي كل أملاكي، هذه هي كل حياتي.

وظل يره يلوح بها في الهواء، «أقرب وعمدة» سه أكثر، حتى لاس جداه على الشيخ الكبير، ودق في أملاك الحبح وحسبه - ولكن هذه ليست إلا...

- نعم، أبا ليست إلا حياتي

وتطلع إليه بعين باهتين سادحين، متنبهاً متراجع هو عن الذي كان ينوي قوله

- نعم يا... بأعم، أطل أنت يجب أن تحاط عليها

ولم يجب المحور شيء، بل ظل يطر إلى «جحرته»، هتة ناله. كان واضحاً مقدار أثرها وقينها قامة كصغر الآتية، التي سدر كلها من وجوها! كان الجو بارداً، وكان وعمدة قد تعب من الوقوف على قدميه أمام هذا التمثال الذي لا يعني ما حوله... وإن أحياناً! - عن إنك عمي!

وكان من الواضح أنه يقصد ابنه وصلاًه زميل وعلى في الجليش، وسكت وعمدة احتراً لذكرى الشاب الذي قُتل في الحرب، وتذكر أخاه وعلماء الذي لم يترك مكاناً أو قاعة بأسماء القتل والمجروحين إلا وتتش عن اسمه فيها. وبينما هو في هذا الحال، إدا برجة المعور تخرج من الدار وتقتل نحو زوجها

- ألى شام البيلة؟ ثم توجهت نحو وعمدة قائلة

- كتب حد ممت سي، وبدون أن تخطر جوابه أرفوت:

بعد بحثي عمي في منارة هذا، لقد ساءت أحواله قبل أعوام عند قسمة جثة ابنه الأكبر في الحرب الأولى، وما هو خبر وصلاًه، يزيد أحواله سوءاً، رسم الله أمهات، تركته في عابرها، من يها

والجسر روجها الشيخ بكل قوتها المهاراة وأدخلته ثم أغفلت لبع على حطامها، ينادو بأصوات إلى بينهم، ورأى أنه في زاوية المطبخ سكية على وعاء، وأمامها وعندما أراد أن يدخل فاجأه وجوده وقد سبقته إلى المطبخ تقول لأمها بصوت خفيض.

- يكفني يا أساءة، لقد أتعبت عيبك بهذا، إن غيبت الشعر لا يستحق كل هذا الجهد. ونظر إليها وعمدة مستائلاً عما تفعل - أبا تحاول تفتية كيس «الشعيرة» الذي شترته بألماس، وه تكتلم المعجوز

- وهل بأكل حجارة، كله حجارة، وفنت حبوبات

وتركتها ورحرح، كان كل شيء، بصين في عيبه ويصغر، انتبت إلى الوراثة مرة أخرى رأى اخته تحاور إبنتي لها، وإقناعها بالانكاه وهي مسخنة عليها وتذكر ما سمعه عنها عندما كان في بغداد، إنه يشعر بظلمة عظيمة للتدبير كثير من الأشياء تدعو لأن يفكر الدمار فقط، الدمار ولا شيء آخر! واختلطت نظره سلسلة ذقعة على رقتها البيضاء... هل يأنها من الخلف يضع يده في لسملة ثم يبرها إليه بقوة!! ويهر... ويحر تحس! أدار رأسه بشده ويصعه، يا له من شيطان، يا له من شيطان ذلك الذي يقع في مصي، وأني أوضاع هذه التي أفكر فيها بالعبايات التي لا أساس لها ولا صحة! وأراوك اللذاب، ألا تعمي عيوس كل هذه الدماء وكل هذا الدمار، كي يحدوا فرصة ينظرون على جلى أمور كهذه... وعندما يجاور المراه أن يجرد نفسه بعدم التصديق، يرمي على قراشه ونظام... وكيف لا

ينام!





## الحيات

الياس العطرني

■ يشقون أن الرجل خرج من منزله قاصداً السوق، لشراء مأكول ومشرب، وكان الوقت عصراً. عند مشارف السوق زلت قدمه على أرض صلب موحلة، فوقع وراح يرنق. يرنق في حمرة لا يعرف كيف وجدت. لم يكن قد دخلها من قبل.

فما سجد إلا بالكلية كل شيء من حوله. داخله انقلب والعجب، إذ بقيت طمرة لا يفكر فيها العمق، وهو مشارف سوق، ولا يعرف ما الباس، لو يتلوه من على الأقل.

ما يمس أن الرجل بقي يرنق لفترة طويلة حتى دخله بعض الياقوت. وهو يسأل نفسه عما ينتظرو، فكان أن أضاف إلى حاله القرب.

كأن النمل واسعاً، وسمع صوت حفيف أحسن قربه، مصعباً يلتصق به، أحس بما من حراثة فتكلم بسأل، وتلقى جواباً من حمرة يرنق بمخافته، كأن رجلاً آخر يرنق، وقع في الحمرة دناً لوي حمرة أخرى، لكن يرنق بمخافته في النفق ذاته.

سأله عما فعل به هذا؟ فأخذ يضحك ويقول:

فعل بي هذا الذي فعله بك. كنت في قبلي وقد بدأت أغفو،

عندما قالت زوجتي إنها ترغب في بعض الجزر لأجل تحضير طعام العشاء، فقلت لها إن الجزر طعام الأرانب ونحن أرواد، طلبت من الكف عن التثنية والتذلل إلى السوق وأحضار الجزر، فخرجت من المنزل جهة البية، ثم وجدت نفسي أتراق، ولو لم أسمع صوتك لحسبت نفسي وحيداً.

استغرب فكلمته وربطته بجائسه وسأل نفسه لماذا لا يكون هو كذلك؟

أخذ يضحك بداية بصوت خافت، وشاهد يصعباً في آخر النفق،

يكبر ويؤيداً. كان الآخر يضحك بصوت عال، ثم سمعه يسأله:

ماذا كنت تفعل في الطريق؟

لعلهم يعلمون لك.

وكان السائق فطلي لغزى الملاحظة.

وهل سيأتي... أعوذ بالله... أنا رجل أخاف الله.

لا أقصد ما ذهبت إليه، لكن الأرض قبل والأرجل تسحق من

بنام فوق الرصيف، والكل يترافق مثل جيش مهزم

السائق بأسف مصطعب

لم تكن الحالة هكذا. منذ أن مرنا بإعلانات التلفزيون الرافضة

والأعلام الزرقاء، أصبحت نائم في صالات الانتظار

أطمان لكلام السائق فاستسلم لسانه وللحظة الدفء المسروقة

عقل.

حتى أعياها الحروب التي تبعد عنا لم تعد تعني لهم شيئاً سوى

التهاطل على الأفران. عاد السائق لحكاية الرصيف والملاسل

الملونة.

لا بد أن أحدهم قد أرتبك وهو يراحم لئلا حاجياته قبل عيره

أجابه وصورة لشهد تبادوا غرلة:

لا... أظن أن حي الحروب قد اجتاحتنا... كانت المدينة تهرب

وتبحث عن ملجأ تنام فيه رأيتهم يترافقون بملابس اليوم، وبعض

النساء كن يرتكس عاريات

السائق صاحكاً

ما هذه الأفكار السوداء، هذه حالة المدينة عندما تبدأ الرقص

والاحتفالات

وعاد يسأله بصوت خافت

لكنك لم تقل لي ما رأيك بأمر؟

أجابه كمن صبحا من إغفاءة طويلة

أه كم هو جميل أن توفت خارج شائعة السرايات والأحلام

المدفوعة الأجر.

السائق بحدّة:

لكني أسألك عن الحروب.

نعم أقصد الحروب... الحروب والأفئدة. كم أظن أن تطول

وتطول... حتى لا يهرب العشاق إلى سيارتك.

وهل يمكن أن تكون الحروب جميلة؟

ما أعذب موسيقاهما حتى صوت (نجان شاي) (١) بات بطريبي،

وهو يطلب لبس الأفئدة وزعها.

ولا تنس الدخول إلى الغرف المحكمة الأخلاق، والخروج منها.

نعم... نعم، يدخلون ويخرجون... يخرجون ويدخلون،

ويأمنون في الغرف المحكمة الأخلاق.

رست السائق على كتفه.

هل قلت لي أنك ذاهب إلى آخر حمقة؟

نعم... لقد وصلنا، أشكر لك اهتمامك.

لا داعي للشكر لي تصلني بعد. فضلل معي لا بد أن تكمل

الحديث... يبدو أنك تحب الشعب والغرف المحكمة الأخلاق. □

(١) بعض شاي هو الخافق باسم

جيش الصمود الصهيوني الذي

يوجهه الصهيونيين لبس الأفئدة

وزعها بعد كل صلاة دنار.



أجاب أنه خرج لحضار مأكلي، لكن ما فائدة كل ذلك الآن؟ لا فائدة من شيء قبل معرفة إلى أين سننتهي.

هل أنت خائف؟

أجابه بأنه خائف، لكنه في الوقت ذاته غير آبه، كان يضحك ويقول لهم قالوا للزرد أن مؤخرتك حراء، فاجابهم تكلموا قدر ما شئتم، فلن تزاد أجراً.

هل من حضار الجزر وبقيّة العلف، وكان الحيلة انحصرت في البطل يستقي صاعاً ويبدأ كدسه، يتقاضى بدلاً يدفعه في آخر ماله نساء لا يدخل البطن ليدأ ويخرج مفرقاً صارت الحياة مثل هذا لا أكثر قال، مهما يكن في آخر هذا العلق لا أكثر قد يكون أفضل مما أنا فيه، لكنني خائف. غير مكثرت وخائف أن أنكرت ذلك أكون كاذباً، وأنا أكره الكذب. الكذب حرام. مدة شاهدت أبي خارجاً أول المسيرة من منزل الجارة الأمومة، كان مهيأاً بتسوية هندامه وشعره المنفوش. في المنزل حصلت مشادة عنيفة جمعت على صبيحتها الجيران. استندت أبي في معركتها على أنني كنت موجوداً وشاهدته يخرج من هناك كما أخبرني. هل تريد أن يكذب الصبي؟ الكذب حرام. أجابه بأنه لا يريدني أن أكذب. الكذب حرام. منذ تلك الحادثة وأنا لا أعرف الكذب.

مهما يكن في آخر العلق، قد يكون أفضل مما أنا فيه. ملل. قرف علف

أرد أن يكون عليه بعد أن تأكد من صحة اتصاله. قال له أن مشكلته هي مشكلة عامة وإن البطن أساس عند الجميع، وأضاف مثلاً: كنت كلما أحضر فروياً مشواً إلى لفاف لم يحصل مشكلة، بلعظني يجب الأفعاد، وانفس الآخر الصدر. وانفس لأحجب. لكن كل منهم بعض الأحيان يجب شيئاً من بعض الآخر فتع المشكلة بالوحدة الأينة الصغرى تبقى بعيدة عن السبب بها، تحب الخلد. لا يراهم أحد. الوحدة التي تتمتع بطعامها، وأنه عند الصباح يحصل زحام على حمام للنزل الوحيد، وتلك مشكلة كنت بعد أن كبروا، وهم صغار يكون مرخصهم مكانهم، تتغير الأمور بعد كبرهم. أحس الآخر أن مصيبتهم هاتت، ولاحظ أن البصير الآتي من آخر العلق يتقطع، سألته عن السبب. لم يكن صده جواب. قال: لستظر

تألف الآخر. ظهر مترجماً من كلمة انتظار، ولم يتظر لرساله عن السبب. قال أنه يوم وفاة والده أخبرهم الطبيب أنه ماتت في أية لحظة ودع

يصدر

## البغاء عبر العصور

## أقدم مهنة في التاريخ

سلام خياط

جلسوا جميعهم في قاعة الاستقبال يشعرون الفهوة، القنجان نلوا الصبحان، ويدمخون حتى لم يدخل منهم طوال حياته كان يدخن، والدته تقوم من وقت إلى آخر. تدخل غرفة المتارح تعيب للحطمت ثم يعود. يتظرون جميعهم في وجهها فيرون أنه لم يتغير، فيعودون لرشف الفهوة والتدخين لغاية دخولها الثاني. وهكذا دواليك

أحس الأخ الأكبر بالملل. قام من مكانه وراح يمشي بعصبية ملحوظة. اصطلمت ركبته بعصبية الفهوة ووقعت على الأرض. اهتمكت الأم بتطيف السجادة وما حوفا. كانوا جميعهم يتظرون إليها ببلادة توفقوا عن رشف الفهوة، وعندما انتهت الأم من مهمتها دخلت المطبخ وأفرغت حوائثها. كان وقت أطول قد مر. دخلت غرفة المتارح وعادت وقد اختلفت وجهها هذه المرة. ثم تصرخ أو تصدر أي كلام. أغلقت الباب بيده. كأنها تحشى إبقاء ثائلم وجلست واضحة رأسها بين يديها وتسلم الأرض

مهدوا أنه مات

كما بانتظار من يبدأ بالكاء. قال. لا بد أن يرافق الموت بكاء الموت طقوس. موت دون بكاء موت دون حالة، دون قيمة.

بدأنه الشقيقة الصغرى بنهية راحت تنطوي، وقبل وصولها إلى وضع الكاء دخلت الأم مشاركة سحب مخطوط كانت تأتلم من لسعة أو صغرة. ثم اندمج الجميع بمن فيهم أنا في وصلة استمرت عدة دقائق غنمها الأخ الأكبر بمناولة مسدأً قريباً لأمه

بدلت آخرته وكذب شره سوب الكاء، وبالفعل هذا كل شيء، صفة. ومن حيث من صبح نزل السمي وجرأت الدم، ثم تنقل في مصروف. قال أنه لم رك معها تحس بظنوازي، مبلغاً من المال تحسده على كطلي. انفرجك أسلور الأخ الأكبر كأنها أذاحت لها عن صدره

كان قد بقي وقت طويل على إيلراح الفجر، وكان لا بد من الانتظار. إذ ماذا يمكن أن يقول الناس؟ الرجل مات وعائلته ماتت! عيب. يجب أن تبقى مسافرين. وهذا ما حصل. جلسنا جميعاً منتظر الفجر. انتهت كل الأحاديث وعم الصمت، وباب الغرفة مغلق على الميت وكلنا ننتظر.

في تلك الليلة اكتشفت غلاظة الانتظار. هل عرفت الآن لماذا انتزعجت؟ أجابه بأنه عرف ويقدر أساسه ببجدة، ولكن هذا البصير الذي يتقطع في آخر العلق؟ يشغل ياله، ماذا يمكن أن يكون السبب؟ موت والده حدث منذ سنوات، ولكن ما يحصل الآن، يحصل الآن. الأهم هو ما يحصل الآن. قال. ليس ما حصل سابقاً أو سوف يحصل لاحقاً. ثم كيف تفكر باللاحق ونحن في هذا الاترقال باتجاه الجهول؟ ثم لماذا يلتصق بي إلى هذه الدرجة؟ أجابه بأنه هو الذي يلتصق به.

فكروا واكتشفا أنها لا يلتصقان ببعضهما أكثر بدافع منها، بل لصيق في التفق. التفق بقيق، وكذلك الارتلاق بات أمها الآن، وتقطع البصير تزاد وتيرة مرعة وبليلة. هل تقربنا من النهاية؟ سأل. أجابه الآخر أنها ربا كأنها في النهاية ذاتها. إذ كيف يمكن للنهاية أن تكون غير ما هو حاصل؟

صمتا للحظات، ثم أحسنا ببعض الإضاءة تغمر الفتح. بدأت جعفة وشاحية، ثم أخذت تغرق تدريجياً. صفراء. إضاءة صفراء. لكيما نسمح لها بتغير الملامح. أحداً يتزلفاً بيده أكثر. طهور الأمل أشبه برفقة. حفيف على الأرقلى من التوت.

.. إنك لست قبلاً.. قال له

.. وأنت. في مثل سي. ولكن دون شيب، ودون عظام طرية، وروسهم بنسبة ما.. تبدو رجلاً مهيأ.

راح يضحك براحه، وصلى ضحكته يريد في التفت الأصفر.

.. ذات يوم سألتها من الأهم في المنزل؟ أنا لم طجيرة اليرسو مثلاً؟ أم الفضلة؟ أم الكنسة الكهربائية؟ استغرقت في البداية، ثم تدرج الحواجر بدوء وعقلانية. انتهت إلى نتيجة لا تسر. لا تسري على الأكل. انتهت إلى أن طجيرة اليرسو وغيرها من أساسيات المنزل هي أهم مني. هل تعرف لماذا؟ لأنها أشياء لا يمكن الاستغناء عنها، بينما بالنسبة لي الأمر يختلف. عندما يقول الطبيب لرجل تناول هذا الدواء ما دمت حياً، فهذا يعني بكل موالية أنه انتهى. لا يعود الأساس للفرض. يتصل موقعه من القلب إلى الفشر، من الرابحة إلى المستوع. يصحى من الحاش. يصحى مهيأ بالكلام. الارتداد تحديداً. لكنه في الحقيقة لا يغير من مجريات الأمور على الأرض شيئاً. هذه قاعدة ثابتة. الكلام لا يغير من مجريات الأمور الفاعلة. من هذه القاعدة ربما انطلق موتسي. تنوع ليقول أن السياسة تتبع من فوعة البديهة

سأله حين إذا كان حيويها.

نقى وشم كل النظريات، وقال له هل الحرب ذات أهمية لهم في الطجيرة والفلسفة والتلاجة أيضاً. السبب واضح. واضح كأي شأياً. ما يكن الطبيب قد قال له بعد: تناول هذا الدواء ما دمت حياً. يستطيع أن يدهي أن الحرب هي السبب في تيمشه. لكن هذا ليس صحيحاً. فاعترض علقوق ولا يجوز ظلم المخلوقات. صحيح أنها عجلت في مشيها. لا يتكرر ذلك، فارتضى غرماً إلى الملاجير، وشم واحدة البيرو المشرق القريب، وسبح أصوات صفيق الدفائف وانفجاراتها، والتبوق بسرعة، كلها تترى على الحلالا، لكنه يجرم أنها ليست السبب حتى أثناء الحرب، في أوج احتدامها كان مهيأ، هو من يأمر بالترؤف إلى اللحاء، أو الاكتفاء بالجلوس في المشى، أو الققاء في الأسرة

لكن بعد الحرب تغير كل شيء. وبسرعة، قد أكون بالنسبة لهم مرادفاً لها. حتى الإبرة الذي اكتسبه خلافاً جملاني جزءاً منها، وعندما انتهت كان يجب أن أنتهي. وانتهت. هل تريد المصدق؟ إنك لا تروي استحالة لتعسد. بدأت أحس في الأرقلى عر هذا النع بعض المص، كما لو أن الدائرة تعويدي إلى طوطي. كنت أترنق على كل شيء قابل للاتزلاق عليه. السلام. الطلقات المغلوبة. التلع في قريتنا أشياء كثيرة أتذكرها الآن وأراها مشابة لما يجري والقبدة في الزعفران المرق يكمن في اللون. تلك كانت ذاكرة بضاء، بينما هي الآن صفراء. هل يحدث اللون مثل هذا الفرق؟ ربما، وربما هي نفسها، تبدل لونها مثل الأوراق، أوراق الشجر. أوراق الكتانية، تصفر بعد مرور زمن. أشعر الآن ببعض الكتانية الأصفر لون العيرة والمرت وأسرار الكبد والصعيد، بل يضا هذا العنق إلا به! انظر لم بعد

البصيص في آخر الفتح. صار هنا. تحول إلى إضاءة صفراء. أصرنا في نهاية الفتح؟ لم أن البصيص كان داخل عيوننا؟

قال له: القول لك البصيص؟ أنا لا أعرف الكتب كما أنتزكت يجرى إلى أن الأمر انتهى. وقتاً في حفرة أدت إلى نفق، كان معلماً واضحاً بالأصغر الخافت، وما زلتنا نترنق، ولكن هذا كل الأمر سبتين نترنق ونحن نشعر ببعض الراحة لتتابع حلقنا وبعض الخوف من وقت آت، وزداد التصاقاً لأن الفتح يصيق ويستمر في ضيقه، أنزل لك هذا كل الأمر.

حصل فجأة أن أحسا معا بيده ارتقاها بصورة ملموسة. قال إن الأمر يبدو كطائرة على وشك التوقف فوق أرض مدمج

واقفه وأصاف أن الإضاءة تتغير أيضاً، وإن يتدرج باتجاه الأبيض، والتفت يتبع، هكذا أشعر لأن التصاقنا بنفس. انظر إليها غرة. أو ما يشبه الغرة. أتم أقل لك أنها كطائرة توشك على التوقف؟ ها أن كل شيء قد هذا، ونحن في مكان ما، مجهول وصيق، ولا نفهم شيئاً عما يجري

.. هل تستطيع الوقوف؟ تبدو كأنك اعتدت على الارتزاق. لقد توقف. انفض يا رجل.

نفس وراح يتمشى في اللساحة التي تشبه الغرة، يتأمل الجدران للبيضاء حديثاً التي لا تشبه الجدران إلا من حيث وقوفها، من نوعية أرضية المكان ذاتها، والسقف الذي لا يشبه السقف إلا في كونه

دورها

.. إذن ماذا؟ كان من الأنفلس لم يبقنا نترنق. كنا على الأقل في

عمرنا في ما. لكننا هنا أكثر من أعيان مزرعين في باطن الأرض. وراي مكاناً يشك الحفرة، وتنتظر اللامشي.

أسكتة بإشارة من يده

.. ما هذه؟

كان في الجدار ما يشبه الحلقة الصغيرة. مد يده بتحسها فوجدها متحركة. أخذ يلهو بها وإذا بالجدار يتدرج وهو يترنق في منتصفه فمداً ما يشبه الباب، وصورة كبيرة يصحيم لرجل لحن خلفه على جدار داخلي، ممن بعين شابتين، وشعر أسود حالك، وعلى نصف وجهه ابتسامة غصصة متغيرة. رآها هو ابتسامة ورأها الآخر غروباً. لم يكن الوقت يسمح بالجدار. راحا يتاملان الصورة. كان صاحبها مكوئناً بالغموض. تشع عينه الشابتين بجوية هائلة.

.. ما رأيك؟ سأله رفيقه.

.. للحلقة واحدة نظراً في وجهي وبعضها. وعندما عاد نظرهما إلى الصورة كان رجلاهما هذه المرة واقفاً

.. ما يكن جالسا على الكرسي منذ لحظات؟ سأله.

أجابهم موافقاً وأضاف أنه يشعر الآن بخوف حقيقي من هذا المكان الغريب. حيث تولد الصور من الجدران وتتحرك. كل هذا يدعو إلى الحرف الحقيقي. هذا ليس مزاحاً. أننا نعاين من مازق معلى. سحر. جنون. الله أعلم. وألا كيف نقرر ما يجري؟

حتى لو أردنا إعادة الأمر إلى ما كان عليه، لا نستطيع ذلك. هل تستطيع إعادة الجدار إلى وضعه الأول؟

سأل رفيقه الذي أجاب بالتي.



- إذن ها نحن ضيف شعوريا بالعجز إلى الحروف والضمايق، وقبل قليل الاملاالة تولد مشاعر استئشانة في هذا الوضع العريب عندما أعجز عى التصير أسس مألوف قال

ثبثاً قشياً بدأ بالخروج من حالة الدور الـ دقائق القليلة التي مررت جسدنا بمئات تقلبات أوضاع رحل الصورة اقتنعا بأنه يتحرك بيقوم بحركات لم نتوقع عند دلالاتها كانت طعة من التلد لينة كالطين تعطي داحلنا، تزدد سياتها مع مرور الوقت وتترك لنا حرية السراح بولادة استغهامات كثيرة دون أجوبة.

قلت لصديق وهكذا سميت: المهم أن نحفظ بعواسا سليمة، ها نحن نتجرف من حالة الى حالة، ولا نملك إلا حواسنا، فليبقها سليمة إذن وافق أخذت مودة حقيقية تنمو بيننا مثل نشة تلحظ كبرها في كل لحظة قال اسطر هذه المرة بدو الأمر مختلفاً، أحد الدحان الأسود يلف منطقة الوجه في الصورة ويزداد كثافة دون أن يشبه أمسا طبيعية ومسطحة أصبحت الدحان تنسج حتى شملت الصورة كلها، ثم انتضت ملاعق الرجل بصورة كاملة صار مكانه أسود، وأثار دحان ما زال ينتبث من المساحة كلها، تولد تظايفاً مع حفل أنجز حرقه، ثم انخفى القناع. قاع الصورة. تجوف الجدار. انخفى اللون الأسود وكان باب قد فتح في المساحة ذاتها. قلت لصديق، لتدخل، دخلنا، عبر الباب كان ضيقاً وبالكاد بحجم جسدنا لرتطم بصرا بقاعة جميلة، واسعة ومترية، ومريحة وسط كل هذا الذي يجري

في الزاوية متارة من ضل تتحرك، كأنها هراء يدخل من مكان ما في هذا الباطن. تقدم صادق نحوها ويتبعها كإنجزة غير مبرر إلى كل ما هو متحرك حتى وإن كان متارة مد يده وأزاحها. كان رحل الصورة يلحمة يلحمة بجملته هل كرسى أبى بظفر اليسا ويستمر برده بحدة وقتنا جادين بظفر اليد ويسطر اليسا، تأمل سمته الثنية ويحسب نفسها سلسة له يمكن الأمر كذلك. نظرتة تزدد انه قد فسرنا، وربما من رص صوب شاهدت صادق ينظر الى بطرف عينه، ظهر مرتكاً، فأحسست فجأة بحتان جارلف تجاهه. قلت لنفسي: ماذا يمكن أن يكون هذا؟ حتى ولو كان من البين، ها هو يتنسم ويجلس مرتاحاً على كرسية. لماذا لا تكلمه ونطلب منه تفسيراً لما يجري؟ انه يملك كل الاجابات بكل تأكيد. ولكن كيف نبدأ الكلام؟ بداية الكلام قد تكون أهم مرحلة فيه، مثل واجهة المحل، تدل على عتوياته. كنت أفكر بكل هذا عندما تكلم هو. الرجل تكلم. صادق بقي صامداً مثل سمعت صوته يأتي مثل صوت الصنح، أو ما يشبه صوت الصنح. سمعته كأنه صادر عن وهاء نحاسي. لم يحرك شفثيه. كنت أنظر في وجهه، والصوت يأتي وشفثاه لا تتحركان

مد يده الى مكان في صدره. أمسك ما يشبه العتلة. أخذ يحركها بسطد مراح الصوت ينجلي تدريجياً

قال صادق. انه يتكلم عن طريق آلة.

ربما كان هذا صحيحاً، ولكن الرجل ليس بالآلة. في عينيته حيوية واضحة وأكيدة. ظل يحرك العتلة حتى وضع الصوت وصار متهوفاً.

- هذه نهاية المرحلة الأولى من الرحلة.. قال.

ابتهجت. ها هو يتكلم. وقلت لنفسي إذن لكل مرحلة نهاية في

هذه الرحلة. كنا نعتقد أن لا شيء يحدث هذا جيد بطرت الى صادق. كان مبتهجاً هو الآخر، ولم أعرف إذا كان يفكر في الأمر ذاته.

حسناً انها نهاية المرحلة الأولى من الرحلة. ولكن ماذا عن المراحل الأخرى؟ قلت لسأله. على الأقل هو الوحيد بيننا الآن الذي يملك إمكانية الاجابة على سؤال

- أين نحن؟ سألت.

قال بالصوت ذاته:

- في نهاية المرحلة الأولى كما قلت.

- لا تتصرف وتتكلم مثل مذهبي المطارات.. قلت تمثل دور الكيوبورتر وتدو كإسناد حقيقي لا بد انك تملك تفسيراً لك ما يجري. ونحن نريد هذا الضيق. فونه نقى في حالة ضياغ مفرقة لا تفيد أحداً.

اتسعت ابتسامته وبدأت شفتاه بالتتحرك. دهشت. ما دام يستطيع الكلام كالشر، فلماذا إذن كل هذه المراوغة؟

كانت نظرة صادق الى تنصص نوعاً من طلب التروي. لا بد انه احس بداية حقيقي.

قلت:

- حسناً أيها السيد. نريد تفسيراً لما يجري. وأين نحن الآن؟

قال والصوت يصدر من فمه هذه المرة، وبشكل طبيعي:

- أنتما في مرحلة من مراحل حالة والحيوتية. قد لا تفهمن ما أعني إلا بعد شرح طويل، وأنا لا أملك الوقت لذلك. هناك الكثير عيركم. لا حصل شرح للظهور إلى وقت آخر. لكننا الآن في نهاية المرحلة الأولى. وإسماً فقهرياً فيقول تسطيعان انطفاة الظفار بالعودة أو الاستمرار. قرار قومي. والآن. العودة أو الاستمرار؟ هذا جيد. العودة لمرها فقهري، ولكن الاستمرار؟ الى أين؟ قلت لسأله وصديق لن يباع

- الاستمرار الى أين أيها السيد؟

لم يرد. بقيت ابتسامته مرتسمة على وجهه ولم يرد. كان واضحاً انه لن يرد. صار الموضوع برتشة مبنياً على استنتاج. قرار مبني على استنتاج. قلت للعاصد مع صادق بعض الوقت. ربما نتوصل الى تقليل كمية الغموض والوصول الى قرار معنفي. في بدا الآن على الأقل بعض المعطيات التي تسمح بذلك.

- عن اندك أيها السيد. نريد التحدث لبعض الوقت.

هز رأسه علامة الموافقة، وذهبت مع صادق الى الزاوية البعيدة وهو يتبعنا بنظرة.

قال صادق ان معنى الاستمرار واضح. استمرار نحو المجهول ما دام يلخص الاجابة على السؤال. والعودة تعني العودة الى حيث كنا.

فكر قليلاً وأنا صامت، ثم قال بحماسة انه يفضل الاستمرار، وتكرري بأحاديثنا ونحن في الزلافتا، وما قلته عن مؤثرة الفرد ولحمية البريستو والأزدهام العباسي على حمام البيت الوحيد.

حشرني في زاوية. هكذا راوغت نفسي. كنت مقتنعاً. كان في موقعه بعض العدائية المخبولة. أضاف انه ما دامت الأمور تجري وفق

مخطئ مصيبة، ليست عشوائية كما نجلنا، فما الذي يمسع من الاستمرار؟

بدأت أفتنع، ولم أكن أساساً معارضاً. قلت له: حسناً ما صحت تريد ذلك وأريد، فليبلغ ذلك ولنز.

عدنا إليه. كان يضحك هذه المرة. أترسم على ملامحه ما يؤكد أنه سمع كل حديثا لكنه ينتظر الاعلان.

- قررتا الاستمرار. قال صادق.  
نظر الي. . وأنا موافق. . قلت.

قام من كرسيه ومشى باتجاه الجدار المقابل. تبينت مدى طول جسده. كان هائلا للدرجة التي لو أضفت طولها الى طول صادق لما وصلنا الى كفه. لم يكن هذا ظاهراً أثناء جلوسه. وصل الى الجدار المقابل، وضع يده عليه فإذا به ليلاً كالصين، ويده تفعل به فعل السكون بالذمة. لحظة وإذا به -وطلة صغيرة تنفخ في الجدار، وهواء يدخل منها ويتعذب بأطراف ثوبه -والطاعة على مستوى رأسيها.

- انظروا. . قال.

نظرنا. كانت -الطاعة- تطل على مدينة غريبة. مدينة ليست كالمدن التي عرفناها. يربتها مسطحة. شوارعها مسطحة. كل شيء مسطح. وكان يداً عظيمة القدرة مرت وسوت كل مرتفع فيها. وبهضاء. كل شيء فيها أبيض. حتى الدخان الذي يتصاعد من أسكّة قليلة فيها كان أبيض.

- هل ترون هذه؟

قال الرجل المائل الطول

- تعيدان في هذه المدينة الوقت الذي كنا نأكل فيه عيشاً زباداً؟  
ممي يلمس أحدكما برامدة يده جيبي الآخر. تنظروا الدخان الجواد الموحدة عليه.

- أي دائرة سوداء؟ سألت متحجباً

لم أكن قد نظرت الى صادق. كان ينظر إليه. نظرت وشاهدتها دائرة سوداء فاحة وسط الجبين تماماً.

وكان صادق ينظر الى جيبي ويتأملها.

- هل هذا واضح؟ قال.

قلنا ان هذا واضح.

بدأ مرتاحاً ومشرحاً، وما أرواه أسمع

وضع يده على الجدار، فإذا به ينفخي. الجدار ينفخي. . وهو ليطبأ. . وإذا بنا وسط مدينة تمتع بالحركة

ظهر صادق متدهشاً الى حد الشروع. هزته من كفه فعاد. قلت:

تمال. وشيت تجمي.

كنت أسمع ولكن لا أرى؟ فكرت في اللمعة التي اكتشفت فيها عرباً ألباناً تتبع بالحركة دون شر دون صوت. حركتها تشعير ولا تحس كأنه يصنع صمم آلاته تعمل بصمت، ولوحدها كان الومع شيئاً بصحراء.

دخلنا شوارع غريبة. قلنا لعل أناسها يتباحثون الشوارع الرئيسية والغربية. لكنها كانت دون شر.

شعورنا بحركة المدينة مستمر ولكن دون احساسنا ببشرها.

قال صادق انه لو صرخ الآن لسمع صوته في آخر المدينة. سألته ولماذا يصرخ؟

أجاب انه يصرخ من الفط. حتى لو كانت هذه هي الجنة فإدا يفعل بها دون شر؟

سمعتا غرير مره. تبعتا الصوت حتى وصلنا الى مجرى وسط شارع. رفع صادق الشفاة. كان كالحاير التي نعرها إيد من يستعمل هذه الماد؟ لا بد من وجود بشر. ولكن أين هم؟

الماجر ملأى بمواد غريبة. ساسيلق وسوائل لم نستطع تحديدها مع رموز على أوجيتها لم نعلم منها شيئاً

راودني فكرة السرقة المدينة فارقة وعماها مقنونة. أستطيع الآن جمع ثروة. ثم فكرت ما حاجتي إليها في هذه الأرض الغريبة؟

وقف صادق عند زاوية شارع ينظر الى الشرق. فجأة أخذ يفتح يده صامتاً لا تقدم منه. تقدمت نظرت حيث ينظر كأن أماناً على الرصيف المقابل قاعة زجاجية الجدران. مكشوفة. تقدمنا. التصق أنفاسنا بالزجاج. لا بد ان مقترنا كان مضحكاً من الداخل. هل

الجدار المواجه صف طويل على امتداده من أسرة صغيرة بجوانب نجلها أشبه بالصادق المكشوفة. أقسم صادق انه شاهد في أحدها طفلاً. دقت النظر من خلف الزجاج. الأسرة تحوي أطفالاً رضعاً. كل رضيع في سرير

- هذه دار حضنة. قال صادق.

حاولت الدخول الى القاعة فلم يعثر على بابها. القاعة مكشوفة ككب منب.

قلبك تضيق؟ اني أعلم لا يد أهم يطعمون هؤلاء الرضع. إذا استمر الرضع كلوا سكرهم الزجاج وأدخل وأكل من طعامهم ويحصل ما يحصل.

شاهدته يتشم. لم ينتظر سؤالي. قال اني انصرف بصورة مريبة حيناً أفكر بسرعة المدينة، وأعر يتحطم الزجاج وتناول طعام الرضع.

- ألا تخاف الشرطه؟ قال

رحبت انهم. قلت له قبل أن نحسب حساب الشرطه أين البشر في هذه المدينة؟ لغاية الآن لم نخط إلا ادار الحضانة هذه، وقد لا تكون كذلك

- تكون ماذا إذن؟

- لا أدري. لا أعرف أية مدينة هذه التي فلذنا صاحبك الطويل اليها؟ قد يكون هؤلاء مجموعة من الدركولات أو المشتراة. .

- انظر مع مصموراً

نظرت وشاهدتها أني حيلة صبية وبهضاء. منتنة ترندتي

لأسأ يشه لباس المرصاة. دخلت القاعة للو

أحد صادق يصبر الزجاج يديه. كان مرحاً لكن الأشي لم تانقت، فؤكذ انها لم تلحظه. هزته من كفه فوقف ورحنا ننظر.

تقدمت من زاوية الجدار. عدت يدها وضغطت رؤاً. تحركت الأسرة دفعة واحدة وارتفعت. ضغطت زراً آخره فإذا بكوات صغيرة تنفتح في الجدار وتخرج منها أئداه كثيرة حقيقية. أئبت الجدار مئات الأئداه الحقيقية. . كلها حقيقية. لكل رضيع تد في الجدار.

قلت لصديق أن لا يفتر فاه، فلم يرد. ثم انتهت إلى أبي أصغر فاهي الأسرة ترزق بسطة. تقرب من الألفاء الخارجة من الحدار تنح إليها تلامسها صمغيت الأثرى ورأ ثلثاً فإذا بالرضع يرتفعون من أسرهم بسطة وكأهم على ويساند في هواء، ويبدلون بالرضع.

راح صادق يهقهه طسه جن. كلامه يخرج من فمهمته منقطعاً. مهمت أنه يريد القول أنني لا أستطيع تناول طعامي على هذا الشكل لم يكن مزاحه ثقيلاً وإن ذكرني بجوهي.

كم هي جميلة... قال، منذ يقوغي وأنا مغرم بالنساء المطلات كنت أنا مثله، لكن المرأة لم تلمني من هذه الناحية. أحسستها غريبة. عادة ما كان يولد هذا الإحساس بيني وبين العوض، لكن هذه المرأة بالذات أسبها غريبة على نحو مختلف. ربما كانت صماء. إذ كيف لم تسمع صوت ضرب أيدينا على زجاج المقعدة؟ وكيف لم تشاهدنا؟ لكن صادق يقول أنها جميلة. يتألمها عين ليست كعين، كنت أفكر بهذا عندما التفتت. فجأة اصطدمت عيناها سا للولولة الأولى بحفظت. ظننت أنها ستضع يديها على جانبي رأسها وتصرخ، أو أي تصرف مشابه. اكتمت بالحموط، ثم بدأ حوطلاها بخف ونظرها إليها ينحسر. راحت تقترب منا. صار وجهها قريباً بملاصقة الزجاج من الناحية الأخرى. فرح صادق عيناها فرحتان كله فرح. لاحظت أن عينيها مختلفتان. بدتا من الزجاج. تتحركان وتري. لكنهما تبدوان من زجاج.

تذكرت جاري الذي فقت رصاصة طائشة عينه، لم اقلعتها. وضعوا له بدلاً عنها عيناً من زجاج. حاولوا جهدهم أن تكون من لون الأخرى الباقية، لكنها ظلت مختلفة. لم تكن تتجهز إلى تحقيق الملاحظة ذلك. عينا هذه المرأة تبدوان الآن كعين ذلك إشار للنيابية.

هل تدري؟ قلت لصديق. عيناها من زجاج نظر متألماً. أله. ترك المرأة ونظر إلى بعد مدخله. كانت كالموت هادم اللذات. كيف تحيلت ذلك؟

عاد إليها وهو يتشم. ابتسمت هي الأخرى. باتت أسنانها. المسافة الفاصلة ستبمترات. اكتشفت أن أسنانها من خشب. خشب أبيض.

هل تدري؟ قلت لصديق. أسنانها من خشب. خشب أبيض.

صر على أسنانه قليلاً. تحركت عضلات فكيه وهو ما زال يتشم. أقول لك أسنانها من خشب. لا بد أنها من إنتاج معمل للدمى. أسنانها من خشب وعيناها من زجاج. مجنون.

صدمتي كلمته الأخيرة. ولكنني جاثع. أحسد هؤلاء الرضع على طلعهم.

والمرأة تقترب بأسنانها الخشبية البيضاء وعينيها الزجاجيتين تقرب يلاصق أنفها الزجاج. نبتعد نحن عنه. الرؤية أكثر وضوحاً الآن. أنفها يلتصق بالزجاج. يبدو أنها تنفسط. ولكن لماذا؟ حانت مني النظرة وشاهدت انشدها صادق. عندما عاد نظري إليها كان أعماها يخرج بيطة من الزجاج. أردت أن أقول شيئاً وكيل أن أفلح نسيست قبل لحظاتها كنا نضربه بأيدينا والأن يالين! ونخرج إليها أنف هذه المرأة مثل يرق.

حجارة صادق تصدر صوتاً ما. ليس كلاماً. لا أدري ما هو بالضبط. ليست بحجر. ثمة ما هو عرب ومهات في هذه المرأة ليس في أنفها فقط الذي يفتقر الزجاج، بل فيها كلها.

ما زال وجهها يخرج من الزجاج. وجهها خارج الزجاج الآن. صادق يتجذب إليها كالسحور يذو متجذباً بطلاقة لم أحسها. انتهت لحماً إلى أن ما يحصل ليس جيداً. لم أستطع تخديعه. لكنه ليس جيداً. أسكت كتمه. أردت منه من الاقتراب. لم ينظر إلى. أنني أرى جيداً. أنها ترم شفتيها. تكررهما. تقدمهما. تعرضهما لتقبيل.

صدى لا يدب. لا يدب. لا يدب. أنا لست مجنوناً. ليس من قلة مدع عانيه. وكيف بدلة هذه المرأة؟

كان نصيب خلف عيني كل شيء. حتى دحائلا، وبرودة جميعه أيضاً مجمعي نمتش. روي الدنيا تنعير، ويخرج من سامي ما يشد دمع ورائد من صدق سلف شعبي المرأة يدها بالنصق مسحور ويشر.

كان هو أنا، ولا لأدري بالضبط كيف. سأحطم هذه التوبة سألتمه من شراء الغربة.

استدت يدي تعدد عينا. استدال كانت أنباه بارزة وشعر دقه قد طال. تقلص لحم وجهه شكل أرعبي. وكانت لكته في صدري.

## السلسلة القصصية

## صداق حبيبنا



96 KNIGHTSBRIDGE  
London SW1X 7NJ  
Tel: 01-245 1906  
Fax: 01-235 9305



التابع  
عبد العبدالله



مختارات  
يوسف الشاروني



حرب شوارع  
شارل شهبان

كمطوقة أسطورية . وجدت نفسي أتدفع إلى الخلف ، وشاهدت رأسي يرتطم بشيء حاد . . . ورحلت .  
كنت أجاهد لأصبح عبي . ألمان الرجل المتصلة بيها غمغي .  
بدأت أرى بعض الضباب الأبيض . الأشياء البيضاء . الأسرة .  
الطاولات . اللآلئ . وجهها لمكتنز بذاته .

.. أين أنا ؟ غمست بصعوبة .  
في المستشفى المركزي . . . قالت بحتان  
ابتسمت وقلت  
.. أنا أجم من طعنة البريست . . . ليس كذلك ؟  
.. أنت أجم ما في الدنيا . . . قالت .

حدث هذا منذ سنوات كثيرة  
لكن الغريب أنه رغم كثرة من عابثي من الأطباء . لم يستطع  
أحدهم اكتشاف سر تلك الدائرة السوداء وسط جبيني .  
لم أتسن صديق .  
لذلك أسير في شوارع مدني . لا أنظر في عيون أهلها . بل في  
وجاههم . □

## سيناريو رؤيا المدينة في الليلة الثانية بعد الألف

رنيف كرم

■ هذه ذات ليلة أن احترق الفرقاء المتحورين بالحرب وصير التوربينين فيها مباشرة وقف إطلاق النار فساد المدينة هدوء حذر لم تمهده منذ زمن وهاد التيار الكهربائي فجأة فخرج الناس إلى الشرفات وتفسوا الصدأ وهلمأوا بصوت واحد وتطلعات أعتاقهم نحو السماء وأغضبوا عيونهم وتوهوا خائنين كعادتهم لانقطاع التيار وأرادوا أن يبللوا نائمة لعودته ويتأوهوا نائمة لانقطاعه وأن يجللوا نائمة ويتأوهوا وأن يجللوا ويتأوهوا وأربعة وخمسة وسداسة وتنتهبوا أن التيار لم ينقطع كعادته فانظروا ويتأوهوا ليبدأت الاستهجان وصرا بعضهم البعض وترجموا عن الشرفات وتزاوروا عن الأنظار فخلد صاحبنا إلى غدومه وجس السكون أنفاسه وأغضب له حياءً واحدة قبل أن تستسلم العين الثانية والده أعلم ما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان وما



هوت بعد الآن ويحلم صاحبنا بمدينة لها سبعة أبواب وأبواب له سبعة أقتال والقتال له سبعة مقايح والفتح له سبعة أسنان نخرت السن الواحد سبعة أصناف من السوراس الخناس قاتل قطع عصبه وسقط في يرقعفه سبعة أفرع الفتح بلا أسنان متخورة وصار للقل بلا مقايح وصار الباب بلا أقتال وصارت المدينة بلا أبواب فزادت عنها الرياح السبع وانتظرت سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أسابيع وسبعة أيام قبل أن يتخذ الهواء الذي خزنه في مستودعاتها وملاحتها وأقينتها وصحلاتها وسياراتها وبثوثها وسائر أروعتها المنقوعة بدمع مني ثلث هذا الحرموس والإحتباطية وحسنت المدينة آخر أنفاسها واصفرت ألوان مساحاتها للمعرعة لإزدياد الرياح ومالت إلى الأبيض فخاف داس تلك المدينة من انتقال الوياه الخبيث إلى وجعهم فطأوا وجعهم بالمساحيق المصادة وغطوا ما تيسر ثم من مناطق أجسادهم الحساسة بتياب وأية وتناحوا بالأسماء والألقاب وتشاوروا فيما بينهم ذكروا كانوا أم إناثا ثم تفرقوا واحتلوا مجاري الهواء من عمارات وقاطر وصار وما شابه ذلك واتصفوا فيما بينهم على طول التنس وقفا ذنبية الشهبان والبرقع عن السواء واستطاعوا أن يحدوا من عمليات العثن بواسطة عدد يعمل على الهواء فتطلق ساحة من القم وتحشر مصفاته في التخزين وتتحرك إيزته بعمل الموجات الخوائية وانفقوا فيما بينهم إضافة إلى ذلك فحرموا على أنفسهم ممارسة النشاطات المبذرة للهواء من تدخين ورياضة وتنش واستعوا عن إشعال النار وإثارة الحساسيات والعمرات المسبة للتلانح والسر بس لإسات فقرار أخذ جانب الحشمة والكف عن استعراز المذكور بأنه حركة مدمعة من أثوابه عن فتنه بالثغرة من طرف أودف ولم يكتف أهل تلك المدينة بالتحريات بل حلقوا من الأشجار والصح على أكتافه برأى ذلك صروب النافق نظراً لعدديتها على التوبة ولم يعملوا طليق التلوع بالآبادي والرقص بالأحلال ونفسي الرؤوس ونشي مساكين نداء لأجساد من هجر وفاق وطلاق طمراً لعدديتها على تحرير النفوس المشحونة وسعوا للساء بإزدياد الملابس الرقيقة ولم يحرص الرجال على هذه المسألة كعادتهم ولكم هم هو الأولاد من صبيان ونساء عن الملهات ونورا المعالج عن الشجر إلا أنهم لم يشعروا لما حصل للأسنان المسحورة والفتاح والأقوال والأنوار انسج تلعطت المدينة أمامها سرع مرات متتالية ثم حبسوها مرة واحدة فقط فاحتقت وباتت فيما كان من أهل المدينة إلا أن أسرعوا وألقوا جميع الاستعدادات الاستثنائية السالفة الذكر أعلاه ثم أنهم قاموا وصبروا أعاسهم وتمنوا سبح صلوات واحدة منها للسياح وثالثة للثوية ورابعة للندم ورابعة للضحية وحامسة للقداء وسادسة لكثائر الخليفة وصحوا الصلاة الأخيرة بوياء الاختلاف البيشي حول ضرورة حبس الأنفاس وما إن انتهوا من تلبية صلواتهم حتى قطعوا الرجاء وألقوا وارثوا ملاس القناد واصطفوا صفوا صفوا وحزناً شديداً وأبكوا على العفيدة فقالت معهم كالآلاف وفعلت الشوارع والساحات وجرت أوساخ الأزقة والمجاير والفاسل وسائر أنياب الشبكات لثائية وحلت ما جرفه إلى غربة بكر مجاور الأمان السكنية بعيداً عن الهياكل والعماد المدينة لأكثرية أهل المدينة وأقلياتها فحضر عبال البلدية خارج أوقات الدوام الرسمي وأحرموا النار في كوبة المغليات وازدعت أوتة الدخان الأسود وحلكتها الرياح المزمدة فأقبلت على المدينة وقامت معها والاح البورق والسيانلون والخضائر الفاتحة وبقيرها من مراد طبيعة وصعنته في الرجاء المدينة السح وانخلطت بروائح الجنود ووطوية

الأنفاس وحى التهتدات وما ان انتهى أهل تلك للدينة من غسل جسدها حتى جثت عيونهم وحجبت فتوقروا عند تلك الظاهرة المرية وكفوا عن البكاء وقاسوا قتلعلوا جميع الأبواب والتوافد والحرائق وأجواوير وعروا البنوك والمستودعات والمؤسسات والإدارات ودور البعثة والكفر من بحريتها على نحو متوازن وروما المحتويات في أنون حام وتركوها حتى غلت وذابت ثم أتهم صوبها في قالب أمد حصيصاً لثل هذه المناسبة وصنعوا كفناً أبيض مرقعاً شدوا أطرافه الأربعة إلى الأصدمة الكهربائية والتفونية السلكية والأصالة اللطافة للصورة المثيرة من الأقاليم الصاعدة لجذوع الأشجار العالية المحروقة وسائر المنتجات الشائعة رغم الفن من قيب ولتذّن وأبراج أثرية ومعدّنة ولم ينسوا ان يخلعوا ملابسهم الداخلية ويشرها فوق السطوح وعلى التلال المطلّة ثم أتهم تجمعوا في الطوايق السليمة وما شايها من ملاجى وخنادق دهاثر نسبة ومقابر تعود إلى عصور غابرة هجرها فانطوها وانطفأوا من جميع المبادى في ماتم حاشد متعدد الإنشآت سار في كل نحو وصوب وتوزعت مراكبه الفرقات العامة والفرعية وبعض الزوارب المتفرقة وسط رفرة البقارى الكثيرة والياضات والطواطم الدنيبة والوشية وأكائيل الزهور والأشرطة فاخرت إشارات الحدود فوق الرؤوس واتحت الرؤوس من حين إلى آخر لزخات المطور والأرز والبرص والرشقات المتقطعة وقد تصدر الزوراء ورجال الدين والسلك الدبلوماسي وقادة الفعاليات المراكب يخطى ثابته وشدوا أكتافهم بعضاً إلى بعض وشبك اللوظون خلفهم أيهم بأيدي الملوطفات قانصت لإيهم معيرات دور الشريفيات والأيام والرحابه الاجتماعية والأخوة والأحواض وكذلك عدل الأحرار من الملبسين والمفوسون والمياوسات وطلاب المدارس والمجاهدين وأفراد الجيشات التعليمية وأعضاء النقليات ورمس مختلأ الملبسيات والطواظ والأحرار العلمانية والمؤسسة صموفهم لأقسامه إلى ما سقى من خدمات كشعية موسيقية وقرق رقص وكولكورة وأندية رياضية وغير ذلك من تجمعات كانت قد أثرت تعليق مشاهدت حلال الحبر وبكيت ست إلى أن تشارك زيملايا حرمها على تأكيد حقوق الجميع المشروعة من حقوق مطلية صيقة إلى الحقوق التي تكاد لا تسمع لها الصدور وذلك على الرغم من مشاركتها الحالية في الجائزة وسار خلفها عيال المصانع المعلقة والشركات المنيوية وورشات البناء السالبة والأفران والعتالون وغيرهم من خدم وحشم لا يمكن استبدالهم في أيام الحرب أما رجال الشرطة والدرك وحراس الليل السالكون فقد جرى تجميعهم للمشاركة في هذه المناسبة الشريفة فساروا خلف أمثهم المراطيين وقد نكسوا رؤوسهم لجلالة المنصب وجاء خلفهم دور الشيوخ والأطفال والنساء من ناديات محترفات وتكال تلحن بالناخيل ومحرار الورق السهلة الاستيعال وخلفهم جرح المقاتلين والجندى في أزيائهم الميدانية وقد ربطوا أفواه بتدقهم وقاذفاتهم الصاروخية بشرطه سوداء واستطاعت فصائل الأمن العام مع والخاص من مخربات ومخاربات وعسس أن تحافظ على انتظام المراكب وضبط حشود الأولاد الضالين والمراهقين والزعران والموسسات والمجاهدين والشعائين وسراهم من معاقين وسكراري ونواقصين بالتنسيق مع عناصر الانضباط وقرق الخدمات العامة وأنواع الاسماجات الأولية والمعالجات الوقائية المحلية المدعومة من وكالات عوث غلية ورايات متطرعات اختارت ان تعايش أهل تلك المدينة ما بقوهم من فقدان للثقوق واستطاعت ان تحمي استياها

عما وصل إليه حالهم من درك وما ان عبرت المراكب الحصور المقطوعة حتى علت أصوات الأسواق والزيمار وعلت صرخات السواقين ولعلعت العيارات النارية للفرقة وصدحت موسيقى النوبة احتفارية للشركة وزغرقت ولولات النسوة وانخلطت بمواويل الزجاليين والمغنين والمصيات وانطلقت رقصات الفرق الاستعراضية فتهاوت الصمورون والصباحيون وسراول الوكالات والمليجون وتأنقت المذهبات فأسرع المراقبون المحليون والدوليون ونقل الجميع وقائع صوتية مرئية للنامت إلى سائر محطات البث والانتشاريات وبقي الأمر على حاله إلى ان بلغت المراكب ساحلة المدينة القديمة والتصحت في موكب كبير عجاج متلاطم بعضه بعضه كالأمواج حتى انفصلت النساء وتحلّلت حول نخلة شائعة وراحت تتدبب وتصدد الفقيده بأجل العنوت وتختلف اللهجات وانجم الرجال ناحية نصب تذكاري حيث أعد حشوت الأوقاف والأبيه الأثرية منبراً غطوه بوشاح أسود ونصب فيوز وزارة ومؤسسات الإعلام الأرواق ومكررات الصور السيروفيونية وحرس فرق الصيانة على ضبط أمانة الميكروفونات وقمع الذبذبات والسائل الدخيلة والمثيرة تتنل المتكلمون وأصحاب الرأي والمختصون معلوم البيئة والتخطيط للندى وجراحو الأجهزة التنسية فلأكدا كلمهم على استنكار مصادرة الهواء والقضاء الحريات وفي مقدمتها حرية التنفس فيما أشار المعينون بالحلول الآتية إلى خطر الوباس العائى لنشئ الربواء واستنح واحبوه ود نانه ذلك على انتظام عميدي رفيع والشهيق واكتوا كذلك على ضرورة اتلاعها من صدور المذنبين بقوة اسلح متقدم اللهاج الأهل مسدودة بزنازع بلقي تشكيل نوبة شسبية ديموقراطية تسهر ليل عار على مراقبة اتصام هذين لمعلمتين الحيويتين بتضاضيت صيغته الإيجال التي خرجت من حاجر مجهول لغوية بأهات الشابة العنسية والمبسونة وطال حلل التاني حتى بلغت الأصوات رعداً أصوات من الزينات واحتشته أصوات عبر مسدودة لأساس حرمس بالإعلان عن قيام جبهة عريضة ضد الحشرات ووطايط الليل والشكاكيين والنساء المشهرات وسائر كتائب الطواوير الخلسية التي تعمل في الخفاء على زرع الشقاق والتسبب بضيئ العس وقلة الصبر ونشر الإشاعات الغرضة حول تلوث الأخوا وما ان صجبت التصفيق والختاف والصفير حتى صجبت الساحة بتسجيلات الأناشيد الوطنية والتراتيل العنوية وبانت سيارة دس الموتى تبحر عاب الحشد الكبير وتتوقف مجاه ويقفز منها أربعة ملثمين أزلوا نابوتاً خشبياً مطعياً حمر فيه اسم لمدنية وكتبتها وتاريخ وكان استشهاده بأشرف معكوفة مدهبة أولاد المتكلمون ان يعضوا النقيشة في التابوت فعلا عربل النساء وطفهه الأولاد وهز الشيوخ رؤوسهم ووجد الرجال ان النساء أكبر من ان تدخل في التابوت قتتادوا بالأسماء والألقاب وتشاور الحكمة منهم وأرسلوا حورية ارتباط تمثل جميع الأطراف المعين بالازمة وغير المعين بها مباشرة فأثقت العنورية القبض على البحار الذي تبرع بالتابوت وأسفرته فألسه المتكلمون كفناً أبيض وحملوه مكعوف المعين إلى المنصة ليراه الجميع ويكون عره لى معتز متشككت على الفور عكمة ميدانية استحوذت سبعة شهود من بين ألف شاهد وحكمت على البحار بالحياة العظمى فأجم الحاضرون على ذلك وتقدمت اللجنة التنفيذية فطلبت من التجار ان يجس أنفاسهم طوعاً تسهيلاً للهمسة الملقاة على عاتقها ففعل وتقدم المتكلمون وحملوه ووصدو في التابوت الذي تجره على قياضه غطوه وأحكموا إقفاله بمفتاح ثم أتهم

سلموا للفتح إلى قاضي القضاة فقدم أحد أعضائه تجمع الملل للمدية وصراحيا وأخذ الفتح بكتنا يديه ورفع طرفه إلى السماء وقسم كليات مهمة ثم أرسل طرفه وأمرأ سبانه فخلعت زوجة التجار وأخذت الفتح بكتنا يديها ورفعت طرفها إلى السماء وقسمت كليات مهمة ثم أرسلت طرفها وصرخت صرخة اشتقت معها الساحة عن بئر عمقه سعة أفرع فرمت الزوجة الفتح في البئر واتحنت فوقه وقسمت كليات مهمة ثم طرته تحت من الثراب ليخبر الوسواس صعب أسناته فسقط قبل أن يظله إسن ثم وسكت فصر المثلثون نائبة من سيارة دس المولى وأرأوا قاتل حديدياً معلباً نالضفا وارادوا أن يصعدوا القفعية في الثابت مدلاً عويل النساء وقهقهة الأولاد تذكاً الرجال دون أن ير الشيوخ رؤوسهم أن القفعية أكثر من أن تدخل في الثابت وأرسلوا دوراً الارتباط فألقت القبض على الحداد الذي نزع بالثابت وأحصرت ألسه المثلثون كماً أبصر وهو مكسوف العين إلى المصة ليراه الجميع ويكون عزة لمن اعتبر فاستجوبت المحكمة سعة شهيد وحكمت عليه مثلاً حكمت على التجار وأجمع المحاضرون على ذلك فقدم الحداد وحسب أنفاسه طوعاً تسهلاً للمصة التي ألقيت على عاتق النجبة التتولية فقدم المثلثون ووصعوه في الثابت الذي حدهه على قياحه وأحكموا إقبال الثابت بمفتاح سلموه إلى قاضي القضاة فقدم أحد أعضاء تجمع الملل ثانية وأخذ الفتح بكتنا يديه ورفع طرفه إلى السماء فخلعت لم القفعية وأخذت الفتح ورفعت مثلاً فمل وشتت فاشتق بطون عن بئر صفه سعة أفرع ورمت الأم الفتح في البئر واتحنت وقسمت فوله كليات وطمرته ليخبر الوسواس صعب أسناته فسقط قبل أن يظله إسن ثم أرسل المثلثون نوبتاً من القناشير الثمين المطرز فعلا حول النساء ونزع الرجال رؤوسهم فألقن حنة الزنايا القبض على الحياطة التي لرعيت بالثابت وألسها المثلثون كماً أبصر وهو لها إلى المصة ليراه الجميع وحكمت المحكمة مثلاً حكمت على التجار والحداد وأجمع المحاضرون وتقدمت الحياطة ودخلت طوعاً في الثابت الذي حاكته على قياحه وفطته فأحكم المثلثون إقباله بمفتاح سلموه إلى قاضي القضاة فقدم إبن الحياطة ولعل مثلاً فمل أحد أعضاء تجمع الملل قبله وخلع سرواله ووسى الفتح في بئر صفه سعة أفرع ولحس فوقه وقسم كليات وطمرته ليخبر الوسواس أسناته فسقط قبل أن يظله إسن ثم أرسل المثلثون نوبتاً من البلاستيك تربع حافه لبات الكترونية تشبه الشموع وهروا رؤوسهم فعلا عويل النساء وألقت على الارتباط القبض على العامل الذي نزع بالثابت قد لس كماً أبصر فصعد إلى المصة ليراه الجميع ثم حس أنفاسه تسهلاً للمصة ودرل ودخل الثابت الذي كان قد دسه على قياحه وفطته وأحكم إقباله بمفتاح وصرخ صرخة فاشتق الثابتون عن بئر صفه سعة أفرع ووضعت الفتح مع في البئر وقسم كليات ليخبر الوسواس أسناته وتسقط قبل أن يظله إسن ثم تقدم المثلثون من المصة وأرأوا سبع صناديق قديمة تشبه الثوابت تلصق سبعة أزواج من الذكور والإناث وملابس الحداد وجسوا أنفاسهم ودخلوا الصناديق فوجدوا أنها غصت على قياهم وقد رفعت أعطينا وصعدت أفضالها وسقطت أسنات مفتاح أفضالها قبل أن يظلمها إسن فصعب المحاضرون من ذلك الأمر وتنادوا بالأساء والألقاب وتشاوروا فيها بينهم وأجمعوا وتفرقوا وجازوا بجميع الأشياء التي تشبه الثوابت من أشكك وخزائن وأسرة ومطابخ وأوعية وزيهايل وما شبه

ذلك وألبسوا أكفأاً يبهام وما شابه ذلك من قصاص يوم ومبادات وفستاتين حبال ورياض وقضايتن قديمة وحديثة خاصة بالمجانين والفجر واستخدموا المؤسسات الحسابة فحسبوا أنفسهم ودخلوها أفراداً وأزواجاً من تراثهم وشعائهم وزين وأصدقاه وزملاء وزمويين ومن شابههم من لا يطيعون وأحدهم الجيش من دون الأسر واختارت العائلات المحافظة وإخلاقها الطيبة الأدم والعصابات والزمر وسروها من التكتلات العنصرية أن تجتمع في آخرتها مثلاً اجتمعت في دنياها فدخلت السجون والمصحات والمستشفيات والملاجئ واختناق والبيوت المزرقة بالرمل وبغيرها من الأبنية التي تشبه الثوابت وسجم العجائز والحوامل والأولاد والمصابين بالبرص لأصعهم بحشر أنوفهم في القيوب بسبب ضيق أنفاسهم وما زال أهل تلك المدينة على هذه الحال إلى أن دخل جميعهم الثوابت التي تبرعوا بها ووجدوا أنهم سوما على قياهم وكان آخرهم إسكاناً استطاع أن يحس أنفاسه طيلة سبع سنين وأن يدخل في فردة حذاء قبل أن يتأكد أنه كان قد سكهها على قياحه وفي اليوم التالي خسرت إلى المدينة بقعة أجنبية من عماره البنية والآثار والأطباء والمرضات وعلى رأس البعثة مغرب ترك جده المالك منذ مئة عام سعيماً لاكتساب الرزق ولعلهم التفتت في دراسة مسالك الحيوانات وما شابهها من شعوب قصرت عن مواكبة العصر وقد استطاع المغرب أن يرفع القفعية ليحك رأسه ويذكر موقع البئر المعتد فربط أحد عليه الأثر حلاً حول خصره وأسلك به الآخرون فتدلى العالم داخل البئر مقدار سبعة أذرع وجاء بمفتاح فرفوه وأخذ فركب مسالك الشعوب القاصرة الفتح بكتنا يديه وقدمه إلى الأفياء فركب الأطباء للمفتاح أسناتاً جديدة وعللوا من المرضات أن تنقلب الأفعال وما ين في الأفياء من التركيب الأسنان ورفعت المرضات من تنظيف الأفياء حتى اكتشف على أثره أن المدينة خضعت وتركزت أيرامها مفتوحة فتصحب الجميع من تلك الأسر وأمر عليها البعثة الجيمة فتشاوروا وأرأوا ملابس الجاة التي تشبه الأكتاف ووضعوا كيامات الأكسسوار في بيوهم ودخلوا المدينة من أبوابها السبعة فوجدوا أنها تشبه مقبرة فيها من الأشياء التي تشبه الثوابت بدمد سكانها مكمها عليها المسالك الحيوانية وبكها معهم الآخرون ثم تفكفكو دومهم ونادوا المرحومين بسبع لغات وانتظروا حتى ثلاثت أصداء نداءهم وسعوا ضربات بطون أحضالات الأفياء بمودة الآيات الموسمية عند المبرسين من الشعوب فغافلت المرضات وأكد الأفياء أنها تشبه ضربات آلاف القلوب النابضة التي حبست الثوابت من شرايبها فأنسى عليها السلوك على ذلك وأكدوا أن ذلك يرجع إلى عطل فريزي في الأذمة الصغيرة ففصلك رئيس البعثة المغرب وتذكر أحداث المرحوم جده وأكد للجميع أنها تشبه وقد أقام الرجال الذين يعلون فوق سطح من الطين وهم يبرسون فقهية الأطلحة وهزم عليه الأثر رؤوسهم وأطمأنت قلوب المرضات فتقدمت بحمزة واحدة من أحد الثوابت وعالجته حتى رفعت خطاه وصرخت فوقه فظفر من دخال الثابتون إسن يشبه الجبن وقد نادت رثاءه وتضخمتم سبع مرات ففك الإنسي أزوار قميصه وزفر غمها للمرضة مع زفرات ثوابت المرضات كعب علو سعة أفرع ورمتها بين رجليها المرضات فتنادى الأطباء كعب أمكن ليرتين شريتين أن يحسها هذه التكمية الكبيرة من أهوال المثلث حول سحنة الإنسي فقهقهه وبان فم خالياً من الأسنان فاطمأنت

## «الحادث»

### سواء الحادث

■ اصطدمت عجلة الشاحنة بحاجب لسيارة، دارت دورتين، وابتلعت باب القعد الخلفي. حاولت الفرار، لكن الحافظ كان بالسرعة، فاضطرتني، ليها أبواب العجلة وأصابت بشيئا للمعدن المشع شاع زعيم الزمور المتواصل، وضاعت حركتي تطلب السائق بالتوقف، ليكتسح سعي حدير الشاحنة التي عرس سيارتي، كما لو أنها نملة ضئيلة سميت إلى ترتيب أفكاري، وسكنت فولاذاً بارداً في أروعة أيعاني، ثم حاولت فتح الباب من الجهة المقابلة، فلم أنجح عدت أحسقت عاجزة بالمعجزة التي يباشر دورها الثالثة، وتغربت هذه المرأة من القعد خلف ظهري.

سألت المولود في أروعة أعصابي حارفاً، لومعة، رأيت السيد الموت مذكوراً في إبطارة العجلة، عينه العجلة تحت مساحة وجهه، وجسده بعد أن يولي يقول وأنا ومولدي أسود.

وثبتت العين من وجه السيد الموت، فعددا صيحة تشبه جبانة حضراء، كنت قد عرفتني في قرية تفاعلت في الذاكرة، نبت فيه شجر كثير، وتوالفت بين الشجر شواهد من طين، فاسترعى حلقى مذاق عوئل منتشر، حتى أني لمحت نسوة يلوحن بفساديلهن، وسعت صوت القرى، يمتلئ في تلاوة سورة يس. تنادفت الآيات التي أحفظها مع أنفاسي، لكن العين التي وثبت من وجه السيد الموت، ماددت أهدائها وانتزعت قدامي، الواحدة تلو الأخرى، ثم رمتني في الغلق اللولبي، فأصابني زناد من غزل التراب واللوح الأسود، حجت أن أفتت فأجسي بدمعائي، تحسست جسدي فوجدته على فأسكه، رغم اقتراب الوجه لاستعادة عينه.

كيف صار الوجه والعلة ورائع ما؟ لا أذكر سوى أنه استوعبي وجعني إلى سكة. حتى أن الحرافش تمت على جلدي، وعوضاً عن قديمي، مات في ذيل سكة. ذيل جميل يتراوح ألوانه بين الذهب والبيك. نظرت في المرأة، فحصلت على عين دون أهداب، عين لا تنام. بذلت أعوم، وأنا التي حسب أن أطرافي قدت من حديد، ربما كنت أعوم في زمن لنصر ومكان آخر، دون أن أدري. استراحت أعصابي، غلغلت أوتئها، وشعرت بالدفء.

فجأة، انتفض قعر الرعاء على الشفق اللولبي لجسد السيد الموت وسحبني إليه، فاندخمت كجنين أرتفت لحظة استلاحه عن ماله حاولت إغماض عيني فمسلت، حيون السمك لا تنم، كما أن صرنا



قلوب المرصطات ثائية وتقدمت ممرضة ثائية من تابوت ثائي وبعثت ما فعلته الأولى وصرخت فوقه فخرج من التابوت إنسي ثالي يشبه الأول وفعل مع الممرضة مثلاً فعل الأول فسكت الأطباء، وبهر رئيس السعة كتيه وحصل للممرضة الثالثة والجميع مع الإنسي الثالث ما حصل ثم مع الأول والثاني ثم تقدمت جميع الممرضات الواحدة تلو الأخرى وبعثن وحصل مني وللجميع ما حصل مع إنسي ثلو الآخر إلى أن قفز مليون إنسي من الأشياء والآبنة التي تشبه التوابيت وفتحوها وبانت أنفواهم خالية من الأسنان فاطمأنت قلوب أفراد البعثة وتنادوا وتشاوروا وأجمعوا فاعلموا بسبع لذات أن حلتهم انتهت وأرادوا أن يودعوا أهل المدينة فعملوا ملابس النجاة وروصوا الكهاتب عن أنفهم وتقدم عليهم الأثرو وداروا على السكان واحداً واحداً وسجلوا بعض الملاحظات ثم تقدمت الممرضات وقبّلت الواحدة منهن السكان واحداً واحداً ورأى عليهم السبلوك في ذلك إشارة لسنن موبيا البعثة تقدم رئيس البعثة وسلم باليد على السكان واحداً واحداً واستطاع أن يهضمهم واحداً واحداً بأنه سيودع بعد ألف عام ويغفر في مقبرة قرب جده فتفصت أهل المدينة الصعدها ثم إن رئيس البعثة أخذ الفتح وقد ركب له الأطباء أسنناً جديدة وقدمه إلى أهل المدينة فأخذوه وأرادوا أن يرافقوا صوبهم ويغفروا الأبواب فتذكروا أنهم قد تركوا أبواب المدينة السبعة مفتوحة فشفهاوا سبع شقوقات عصفت مع رياح زلزلات المدينة وما تمعها وما فورها فامسكت الأرض وانفتحت السماء، وعرض ما عرض من المدينة تحت سبع طبقات والرمع ما ارتفع منها فوق سبع سحابات واشتعلت سبع نيران وعلدت وأطبلت سبعة أعمدة فخان وانبثقت وطاحت سبع روائح خائفة وتلاشت وغربت المدينة صيحة أهبازات وهدأت وصاحت الديكة فوق الخيل الصرير صججات وسكتت وبات ضوء الصباح فقام صاحبنا وكتب بمارك عجايب ما سبقت إليه في سبع صحفات فتمس الصعداء لكاتب أن السككابة تقير على اليوم فسيحان من جعل سير الآخرين عيرة للأوليين ويشنأ بين مآثره المص وتسمعه الآن وما حكاك صاحبنا من كلام مباح عجزت نقطة أروحه أو ما شابة ذلك من علامات تطبيع الكتابة عن الإسمالك بحرياته. □

(٥) جاء النص بدون فواصل وتلف بناء لرؤية الكاتب



قلت: أهّ، وهزمت وأنا أستعدّ للرخص لأقيض على الغيرة التي تقع

رعي أنني رشحاً غاراً فوقعمت واحدة وصارت تفرق تفرق تحاول أن تطير فطرت إليها من غير روي وطاردتها حتى أسكتها. رعبت يومي راضياً حتى حلة الحراثة ومن بعد ناديت أمي.

- يا أمي، رمي لي بمعدودة قذرة يسود ان الحبلد والغيرة قد مهّتا في قديمي الطريقين طريقاً عصبياً لسمع الكلام، فأنا أدكر أحيي الحمية كالشمس عائدة من العابة تعمل حلة من حطب الشتيان؛ وكنت أراقفها؛ إذ أروي لماذا كنت أراقفها، وبخلافه الذي أضربت عنه بالأسس. بين الغابة والصبغة تتمتع الطريق بين كرم التين والعنب والصرير والزيتون. وكان التين أقصد بالتصعري، وكانت الطريق خالية. فالواشي من قذرة بصد، والمعلول في البريديون إلى الحقل قبل هذا الوقت. وهكذا خلق ألهنا شاب من كرم على الدوم واضترض الطريق.

أنني تحركت الحيلة الغيلة التي على رأسها وصارت بالمرض، ثم عانت فاستوت وواجهات الأرض تنظر، والشباب واقف بين صخريتين يتشمع ويصر ويهجم. الفتحت أنفي كأنها أجملت والحيلة أجملت أيضاً كإبرة البروصلة التي صُفّحت. أحسست أن أنفي في حرج. وبخاطباتها، قصرت، حتى صارت والشباب وجهها في وجه، وبريكت كثيراً ووقعت الحيلة عن رأسها.

وقعت حيلة، ثم لم تساعدها الشاب عن حملها من جديد وصحب بين حذب أنفي لا أتكلم وهي لم تلتفت ولم تتكلم حتى صر عن أبواب الصبغة. ما قالت لي: لا تحك لاهلي وعدة اشتري بك حذاء. ثم رابض. نعتت أنا إلى موقع الحيلة فرائته واقفاً على طوق حذاء ورعنايا من نعيد. أهلي لم يسلو، وأخبرني تبسم ما يفيض عما بين إهين. فلم أطلبها بالخلعة، ولكنني تصببت يوم عيد بصباط آخر وأبش من شمل وشمي متبر. لبست هذا الصباط حتى صار في الدنيا مصورة، فصورني، وأنا به، أول صورة لي في حياتي، وكان قد انصقلت أرضه عن سياهه، وشريطه اللثني طرف منه أكثر من طرف ما يزال يتم من عقدة كبيرة لثيمة تحت طرف السان. فلورأت المصورة ترى الأبيض والأحمر والعقدة ما تزال معقودة، يتدل منها مائلًا طرف الشير كلسان راحلة تلتظف الروح.

على حافة حيلة الصباط الأحمر والأبيض تزوجت أحيي. ظلت ترفض مرشحي أهلي من طابليها، وتقول لاني: لا أريد أن أتزوج، حتى جاد صاحب الحيلة طابلياً بها؛ عندها قالت: أنا بخاطل أهلي، إن واقفها واقفت، وإن عصبها أنا رافضة.

قبل العرس اشترى لي أبي سِتاراً أمزوجة بعلامه بالنسليم، فكت، وهو جليلي، أحله تحت إبطي وأمشي في المراعي حائياً. وانشقني ملاح وأنا اجتاز غلة أكثر شعبها من سِتَّة الصجور؛ أشبي خطوة وآي. أسحب من أرض قديمي شوشة بست أسنان وينت من مغارزها الدم؛ فقصالي في تمرا. إليس حذاءك، لآي متى موفره؟ قدماك طريق أشوك؟ قلت له بصوت موهجوع: إن اهترى لا يشترى لي أبي غيره. قال: إكعب، لو أنك عدي لا أبذلك بعشرين حذاء، فلهذا الأرض اشترى لك إياه أريك، بل.

أخبرت لي يا قاه لي الفلاح، ووصفته له. فقال: لا تتعاط معه، هذا أبوكم يحضر الجلي.

لا يطلع من جوف البحار. لذا أقفلت شفي على هدري أنفاسي وإزلفت مهددة دواحه الفتح، حتى وصلت إلى قاع فصل، انصص لوني وسلبني القدرة على الحركة. غلكتي الدوار وأصابني الجدار، ولم أعد أمك أحاسيسي، لولا شبهة أم تحتاج ظهري. بالكاد سمعتهم يصرون طالين مني إضفاء رأيي. فكرت بارتزاه ورويه إلى الوراء، غريزة فطرية طردت حولي وأحت لي رأسي إلى الأمام حتى لأمس قاع الفصل، ثم تحلّل لي إلى أن أسمع صوت رجاج يسكر، وبددعة مداعكة حركة الدوامة ويديني أصعد لي فوة الفتح، تستشني بعض الأيدي وتسحني لي الخارج.

- دعزها نغف، ربا قال أحدهم. حاولت الإشارة إلى عياب قديمي، فوجدتها نجي. ووجدت قبالي واجهة سيارتي متعلقة من استدارة المعجلة التي لم تنجز على ما يبدو دورتها الثالثة. □

## نعال

نعيم علوية

■ أبطنني أمي من يوم طويل وقلت لي: قم يا أنسي روح مع أخيك، تحلّي له على الفرات ليحرق، قم يا أمي الله. علبتها كثيراً حتى أفتت. ورفضت وسيت أهلها وبددوها وبكيت. وكان لزاماً عليّ الخروج مع أنني إلى المحرث. وأتني أمي أكاد أمي بلا أكل ولا حذاء، فقلت لي: كل لك لثمة واكتب حذاءك يا ابني يا حبيبي. فغمضت ولم أخذ بكلامها. عندها تدخلت أني وقال: حط حذاءك ببرطلك الأرض جليل، إسمع. فلم أسمع. ركب الحصان وساق الفرات أمامه ومشيت خلفه حافياً على أرض نلها الجليلد مدعاني أن أركب خلفه، وقال: تشقّ لعداك، تمال. كطمت غيطي ولم أفك عفتة من خدع جيبي.

اجتازا طريق الدبشة وزلنا في طريق الغيبة ودخلنا طرق الحقل وأنا صامت بكويبي الجليلد كيا حتى لم أعد أسمع. ودعاني أني وودعني بأنه يعطيني الفلاحة ويبر القمح، وكلاهما يدخل في أذن ويخرج من أذن. دخلت الفرات وساق الأرض المحرثة والحصان ورامعن وأنا أدب دوا فوق كتل التراب المتجلد كاني أظاً شظايا بركانية حامية. أول المحرث قفّز أنني من الحصان وتقرّت فقرته فبرأت كانت تلاحق حيات من الذباد طاشت بين الفلاحة والبور. فأسكت أنني كتلة حرارة كالغلب وسألني قاصدة إرضائي: - تحب علم الفقرة؟ أرمي لك قذرة؟





حملتها ساحة إلى رفائي. فكا عبد الرجل ليلاً ومع كل واحد يصفان. بقص الرجل يصفينا وقال: لا تخفوا: إن قامت القيامة يبي ويهمم لا تتدخلوا ولا تهربوا.

بسط أمامه رقعة بها ملح، وبين للملح أسداف. وأحضر كتاباً وركع أمام الملح وقطعه وراح يدهو خالقه البرايا وكاتف الضر وعزل لفصل وعالم القيث والواحد الأحد وبعث الرسل وسترل القيث وقاصم المعتدين؛ فبدأت أسدافه تنقلل وتنقش الملح يمتدور إلى جلود السقف. اكتملت أنا والرفاق وصارت أصداننا تضايق بعضها وترحف بلا إزادة من نحو الباب. وشرع الرجل يجاطب أسهأ لم نسقم بشلها. ويملو أنهم لم يظيروه، فصار يأمرهم ويرجزهم بأعل صوته: طيطحت إزول إلى بمكرشة وألاً أضمرت في فك النار؛ إزول، محكوم عليك أن تشتعل ويركك فلان بن فلاة يعبي. فيما يريد حتى قيام الساعة. انزروا، كلكم عصاة، كلكم مردة؛ ربانية، جهنم عليهم؛ وتضايق الرجل ولنددت إلى عقه أكف كثيرة لامة فقام يتعلق بها والقب يثقف من حلقه. وصرخ فينا مستغيثاً غلصولاً فهدمنا ونشردها إلى أحذية ولا مفول.

وعدا وصلت إلى البيت رأي أبي في الذعر الذي كنت فيه أقسم أن لا يكون أبو ذؤم؛ والذي يجمع الجلي يفرقه، قال أبي. واشترى لي حذاء ثياباً كنت فيه يوم رجعت البوسنة من بلدنا إلى المدينة وتعلق بها الأولاد. كنت على الدرجة السفلى من السلم الحلي دراعي من وراء ساقني السلم، وظهري إلى الدعاق، ورجلي على الأرض. تطلعت البوسنة، وأنتيت الماعول إلى الأولاد موقف في الباب وبد جسمي إلى الوراء فظاهري مثل نقت الرجل عن المحلات. وغطيت وحدي مكتوف اليدين بساقني السلم، واليماز أقتل على الباب وفعل من وجودي. نعلاي تخفان بالأسلقت خشخشا الزنادق إلى روعي من فلمي. استرقت قدعماي. فصررت أصرح ولا أحد يسمع أصرح وأبكي. وبدلت طريق المدينة ناكلاً من لحمي، وبدلت أرى من خلال دموعي في إسفلت الطريق حطين من الدم كحطلي سكة الحديد، لكنهما أدنى إلى بعضها من غطلي سكة الحديد. حتى رأي راع فاطلق وألقى بنفسه في طريق البوسنة: تنتم الولد! وهو يلهث. رجعت إلى البيت عموماً والدم الباقى يريش من موضع التلعي. وظلت الماعل تتخلفني حتى سكنا المدينة، وقامت في البلاد الحروب فطردنا من زريبة إلى زريبة. وبين الزريبة وأحتها حواجز قد ينام العابرون دواب لي طويلة. وقد يموت عندها عابرون ويولد عابرون حود.

كان الحنود عند بوابة الحاجز يردون الناس كأنهم يردون الملح. وأملت الزمام من أيديهم وتجارزهم خلق كثير؛ فهاجوا ويلهاوا إلى بتادقهم يطلقون الرصاص في وجوه المخلات. وتقطع الناس هارين. ومثيت أنا وراهم مكابراً، كان الترابيع البجلي أشرف من الحرب للذعر. صابرين وبين المجنلين أرض خالية، أنظر فيها وفي حصصاها ولا أجر على رفع رأسي. وقصمت عيني على فرقة جليدة من حذاء طفل. كانت بلون غيمة ملتحمة، فوددت تقيلها، ورجعت كثيراً من الانحناء. ننت هذه الماعل الصغيرة في ذاكري منزلاً ثاقباً كصوامع التناك، يلوح لي سراجها كلما جرحت كبسولة هذا الظلام حملتها في رأسي وذهبت إلى المكهى للاخفة إخلال إلى التنفس، سمعت، فبيل ساحة بسطت أزرعها للجهات كتجم ينظم السير في السماء، سمعت

بضع رصاصات ولم ينف شعر رأسي. مثيت خطوات، فردوا على الرصاص برصاص، وقال لها الجليل: امطري قدائف. صارت الناس في الساحة كأنهم للتقاطعة، وسقطت بينهم قلبية. رأيت فرقة حذاء تجري في شعاع طار من عيني كمثل نملة من ببال هذا الشعاع ولحمت، والنظر يزول عن المكاب، شيئاً من الرمل يلتقي على بقعة جراء.

وبعد أشهر زارني شخص يعمل في يده كيساً. سلم عليّ وهأني بالسلاحة الناقصة، ثم وضعي، بعد كلام وكلام، ضمناً لي تمام الصفحة رأيت نسي الكيس. فقلت لأختي: لخطي به. قالت: غاب فتحت الكيس فوجدت فيه فرقة حذائي. ابتسمت غا، وفتحت أختي دمعاً.

لم أجد أقدر مني على الشفاء، فقد شفت سرباً إلا من الأثار وعاونني شوق إلى أرضي وأهل بيح قطارني. فقتت ويزرت الحواجز فلير مهر جرح. عند الأقدام الحاجز الأخير كان عليّ أن أترجل للاستجواب والتفتيش وحيازة تصريح بالمسير. لذا أرائني أمشي متناًقل كسر مرغ من صممة السروة أمام مركز التفتيش ترحي شرقاً كما يحكي السرو للريح. ماذا يشد يا؟ ماذا دمعها؟ فتد إليها من الغرب ساقان ليلتان، ينتهيان فوق جدعها بتدعي عيظتي من مطاط العجالات. وعندما أصبل إلى جذع السرو يستعين عليّ الانعطاف عرباً. عنده أكون والتعليق بها لوجه

تفكر الحطى وتقصدت الترحج في السير لعل صاحب الحذاء يزل حذاءه من وجهي. بقي يسا يردان ولم يتجلى في لتعليق حبل، كان ليس في من فيها حيلة. وقتت عاكساً لا يخالفي شعور بالتحية كانت تلك التلال تعمالا عن وجه غطاء الشعر إلى الفص، وكان من حوله عن الحواجز تخفان تنفض شمات لكثرة ما تبدل عليه من قوى التحلل. قال من أين أنت؟ قلت: من هذه البلدة. قال: أنت من عزب الشيطان؟ قلت: لا. قال لي، وبالعلامة خضت عضداً بحركة وصبر، لنصب بجيبك. وأنا أعرفك. ثم صرخ: إلى التحقيق!

الثبت حيث مالت عيابه مع قوله وإلى التحقيق؛ فرائت خطأ من غبار يتخرج صاعداً في جباه التلال فعلمت أن فيه أشخاصاً مضوا قبلي إلى التحقيق. تجاوزت التحقيق وسعيت في أرضها المتقلبة بحرية ومبحوحة كحيوان حر في حديقة الحيوانات. مثيت في مراع خضراء، وبين شجر صامد في وجه النار حتى كدت لأرضي فقصدت جماعة من الرجال يشربون ويتصايحون ويتغالبون سعد ينصع المزج. وكان بينهم اثنان، فلاح وبنت. يقول المزارع للفلاح: متى تسدنا هنا لذئبة؟ ويرد الفلاح يبرجله. فقللاً: لك هالجزمة. قال المزارع: هاتها أنا وضيت. شلع الفلاح فرقة من جزته فأتخذا المزارع أسك ساقها بأسنانه وشد فانقصت ورساها فوق العشب كرجل قطع رأسه وظل عالقاً بالجذع تطرهما جلده الرقة

كان من خصائص الزريبة الأخيرة ضيق حتى الحقن. ما كدت احترق حتى عملت على الحرب إلى المدينة. ولم يكن احتراق الجدار يسهل منه عند الدخول. فاي دابة تمسك بالولادك في سيارتك ليست مسؤولة لآل المظفة عسكرية، وعلى من يتحرك فيها مسؤولة ما يعييه وما يصيب البليابة. أين السروة؟ جيلت لحمها الحارير بالتراب. إلى مفهى الروصة على البحر. نصف برة، يجتمع فيه



## لبنان

الربيعون أصلاً تمويلاً عن الربيع. كان أصحابي قد ضمو أكثر من طائفة وعلموا حوله، فجاء صاحب الحنية صغير يحمل كرسيًا وطبقًا تحت إبط وموطئة خشبية تحت إبط. سألني: تلمع؟ قلت: لا. فلقه إلى شوقي وسأله بانتحاة من رأسه: أن تم؟ قال شوقي: تعال. ألق العصي حذاء شوقي حتى يرق. وكان بيننا شاب من غير قطر يجلس إلى جانبي. فأولما برأه للزاد لم أعني. حط الشاب رجله على دصة الموطئة وشغل الولد في الدعن والسح حتى صحتك فرد الحذاء. ففر مني الحذاء بكرة رت كأنها على يد، فقامد أن يرفع الشاب رجله ويعطيه الرجل الثانية. أربل الشاب رجله وهرق دمع كفه على شعر الولد وقال: يعطيك العافية. المدة الثالثة تسح الفردة الثانية؛ وأعطاه أجره. نظر الولد إلى رجل الشاب فلم يجد إلا رجلاً، ضمّ شعثه ضماً شديداً وسرب زفرة خنوقة صفرت رغباً عنه.

نشرني زفرة الولد على أربعة أحذية. حذاء بعيد بعيد، لعله أبعد حذاء في جوالي. كان حذاء طفلة من الجليل. لا أدري أكانت لثني أم كانت دون لثني. كانت نظيفة وجيدة مثل لثني. وأنا جله في أي الطريق. كنت ضامناً بين أطفال وسر على الحصان الأحمر، فركضت إليه. انضى إلى الأرض حتى أسكني يثني وسحبني إليه كسطل يسحبونه من بطن أمه وأقعدني أمامه وجاء. أضح كثر على عذري البيت وأدنو مني لأبرسه فتبيل يبرسه إلى هذه الجهة وإلى هذه. فكلّس رأسها من شري. فهدت بهابها وصرت أداغب رجلها، وكان رأسها حذاء ولا أشبه إلا التحيت قليلاً ودمعت رجلها وصرت أسرك رأسي كمن استند عني شيئاً، وأبنت قد يدب لتخسني في وجهي. بشرافه، فأنشيت وهي تفصك. لم أكن أشعر بأن الأهل يرايون حتى زلّني صوتي. في حين ألق من يدي الرجال وقال: كبحك! من اليوم كلب الرزاة! أسمى الشاعر. بالصحك وأن اغمرحت بالكاء، طائلاً أمي.

ظلت التعلل ساكنة عني حتى التفتت على بولة الشيخ ويسف بيتاً ولبدأ يحمل القرآن مثلي ويهم بالدخول إلى الدرس. لا سؤال ولا جواب، احتضنتها وقلبتها في شعثها. وتراجعت ثم ألقها بالسفل. فقلصت مني وأخذت حذاءها من رجلها وصفعتني بالثعلل طولاً فأصاب أنفي وجعني ووقع القرآن من يدي. وهي لم تشك في الشيخ

وأنا لم أسعبر القصاص. أين هذه البيت؟ من هي؟ أمّن أنها كانت مسرارة. أيمكن أن تكون هي التي رأيتني معها في النار بعد صاحبي أ. وظلت عندها إلى ما بعد الزوال ترشني كالحجر وألا كيف تفهم وجعها معي لتفني على الليل؟ جالت على الكعب، وتفتحت في وجهي كتاباً على حذاء ملون من أصل فأن كرخ، وقالت: اقترأ لي هذا، فاضطجعت.

فقلت عنها، وقررت في قراءة حذاء خلا من صاحبه الحنيفة كشح عذبة ممتنة: التمشيح البني فاحش، والأزرق والأخضر والساج تطبيق وتفتصيل من سعي الظلمة في أكبادها، واللغة الوحيدة، أصبح الساق الحنيفة، بلفت من الممتعة الغاية، ونشبه الأرضية بحر هائج، كبحر الظلمات. فلو كان في الحذاء إنسان لكان كأنه في عصم يديه مظلم وشرقه وجنوه أزرق هائج، ليس فيه من اليأس إلا شيء من ريد الحلاج.

انكتبت فوق هذه اللجة إحدى فردي الحذاء وجلست الثانية يوابجها من الأولى نعل وسطها بلون الصل المعدي، في ما جاور المسامير. طبعت المسامير وحدها كثرت عر يابض كالآيات والأضراس. والدم من حولها كان كأنه نيز الال. ليست هذه نعل، إنها أرض وتل مشت وتل المسامير واغترفت فيها همه حتى العظم، وتفتقر السدم. والكعب، جبين النعل، قلب والتفت في عوس المصوب الكسار وإلى السمين تفت الفردة الثانية، النعل شرطها وأتدلع لسانها وعيها مفاجئة. وجهه الساق من الداخل كسطة من جلد الإنسان سلخت بلا تسج، واللسان النوى عريضاً طرقة، مبيطاً وسطه، ماصلاً دامياً، ولا مقلعة حراء وأحدت فوق مربع المحيط، عدا مغطيت كتم الخفيين، وحدة حول النعل من الفردة المثقبة والثانية عدا كعب الفردة الواضحة. والشريط يمتدح هابطاً ويقارق طراف القدم تنس إليها شريط، إذ يصيران، لوناً وشكلاً مصريين مستقلين تتهم البرحة بلا سهران. وأسر طرقة إلى متداها فأرى سبها وردياً لعلها عصمت منقلع الحجب ارتعشت كمن ينظر إلى مرة فمرى مكان صورته وصورة صاحبه زوج كان يكتسب دلاها وسكائنا. رمت يدي لنزع على ركبتها وقلت: ها نحن! فلم تدع يدي عليها مسحت المكان بنظرة خاطفة. وتوقفت عني على مكثي حيث يكون مرجعي الكبير، فأمل علي من فوق حافة المراتع مثل رأسي هذين تحففت أيتها مقدما نعلها. فقد استندتها إلى مرجعي وتوارت

أله! أين اخضت؟ هل غدرت خافية؟

الصوت حتى اخضت يدي الحذاء. حدثت في إحدى فرديته فتبنت، بين مصلق وكعب، فرقة من حذاء امرأة ضمت قاعدة لسائل الألب. دخلت في ثمر نعل رطاه يتجه نحو عرق الأرض، وصعدت درجات وطبقات. أنا الآن في قاعة مزودة بالطلاب، والمحاضر عتيق يلقي درساً في العشق، ويعرق في قول جميل:

وفاناً ووجدت نعل بارغض مُضَلَّة

من الأرض يوساً فاعسلها أنها مصل  
ثم يلهمه ذوقه فيسأل وليلة الفرح في عينه: أريتم كيف نظم الشاعر في نعله عشاق الدهر؟ عشاق جميع الأزمان؟

قلنا: والمكان! وصفنا حتى دميت كفاي، فتفتحت عيني من السحر لأجد رأسي يتدل فوق مرجعي العظيم، ولكن بين نعلين حراء ويضاه. □

## صنر حديثاً

## مذكرات حليم الرومي

حليم الرومي



# الغربة في القلب

زياد علي

كنت ادوي الجرح في صدر احد الاصدقاء برمد احدي كلمتي المتفرقة وحيما  
انتم الامر لتصل رداد كلمتي الى بادرة مشقة وعانت تلفظ حول قلبي احدي  
فصلي المتشردة.

شبرو بكه سي

(١)

■ عطة القطار بمتينة هابسورع مع  
الصباح الباكر العيش لم تكن لها ملاصق  
للساعات السابقة. ايذا لم يكن رأسها مصدعا  
بالفصيح

لا أحد على ما يبدو، هذا الريح الباردة،  
التي دائما لا تعرف ما تريد، والتي تغرس في  
الجلد مثل إبر ثمرة الثوب الشوكي دون أن تراها العين متسككة  
مصطرفة حاملة للمسام قشعريرة، فكدام هي دائما التزمري في حرج  
وحزن.

ريح هنا .. ريح هناك.

ملانكة تصارع شاحكة، لا يجم

الأبرام الرجالية للمحلات مغللة، ومقابض الأكرسيوم مشرعة  
لنفتيح، والظياف محجب ما بالداخل. يصره يعطلم بفزوليا،  
وسااعلات، بصورة صخلة بالحلم الطبيعي لموش دايان كتب  
لتحها - رجل العام ٦٧. بالصناديق البستكية المعلقة والمقسة إلى  
أدراج مملوءة بأنسواء الفواكه والتي تلامس اليد بمجرد ان تضع  
(المراكات) في القلب، بالكتل الزجاجية الأرضية، والتي على شكل  
اسطوانات الغاز عشورة بالجرالد، بالصناديق الحديدية المرسومة عليها  
زجاجيات اللشروبات الغازية والكحولية، وصورة دهائية ملوثة يكتظ بها  
البهو. نظراته ترتد إليه بعد أن تحس ما يعطلم بها دون أن تطلق  
بمكان عله، وكان الدخان الذي ينثف من فمه يخرج دائما، فيكور  
يده ويمنع فيها

كان متعبا، الإرهاق والتماس يشالين يعنفية نتيجة سهرة البارحة  
الصباحة يعني (ساستت بالي) ساحة الشرف حيث تتلون النساء  
مريدات أزيائهن التقليدية كأبن في مسابقة - ملكة الدعارة - حي  
السيدا. وزاد من وجعه استقلته الميكرو، وضد شربة لقهوة الصباح  
خوفا من يزعم صاحبة البيت -الحلوقة المحشوة كالما لا معنى له،  
وتلك الفضاة الأنيوسية صاحبة العضلات والصدور الساخن المتصنع  
بالحليب الرائب، والتي تغرس يديها في خصرها رافعة واحدة من  
هضي مؤرخة صائحة من آخر الزقاق بمجرد ما يلوح لها بتسكع عند

المحلات التي تبيع أغراض الجنس - دعالو نيقرو - هالو. كيان  
بوي؟

تشد على الحروف، فيشد أصابع يده اليسرى على شكل فصنة  
ملاكسة، ويضرب على ساعده بكف اليد اليسرى، موجها إليها  
شبهة سائلة زاما شتيه، إيا تذكر، بتلك السيدة التي كانت حيلة  
وشيرة - وهي تطوق كعب هذا العالم بعبي سهو وتفتخ بأزدها  
الكروية قبل ان تلتأ إلى ركن رفاق مظلم، ثم تفرص جالسة على  
الأرض رافعة ثورتها لشرب المياه بين ساقها كعبية سائلة مكسورة  
لا أحد من الوجوه التي يعرفها، لا أحد.

حتى المرأة المحترقة التي أحرقت رمد أكثر من ثلاثة أرباع عمرها،  
والتي كانت تزعق في الليلة الماضية مستينة السكاري بشق رحيص:  
- هنسا الحيرة. . تعالوا يا أولاد، لا تلذعوا إلى الحنريات  
الصصيرات، من هذا الجوب عبر رجال الحرب والبيارة هما العيش  
الذهبي. تعالوا لتعلموا الجوب هنا العيش الذهبي

مع الجملة الأخيرة ترفع صوتها وترفع ثورتها إلى أعلى مشيرة بزجاجاة  
البيرة إلى ما بين ساقها وكأنها تفكر في أن تضعها هناك. كان صدرها  
متحرا مثل عجلة سيارة لوري سطحها الشمس وكان لها في زمان  
شان آخر

تتقار الأرقام الاكزوسية على اللوحة الملقة في صدر البهو، تحري  
بهدلة مواعيد وصول وسعر القطارات الداخلية والخارجية. الحروف  
تلاصق بعضها لتصطف متجاورة - مثل تلايد صغار انتهت نثره  
استراحتهم ولهموا استعداد لدخول الفصل - مُكذِّب أسياء، المذل  
ثم تصرم لتتبد يد سحرية ترتيبها، واحدة منها هي التي قال عنها  
برنت

لا دار في مينة الدقة

لا ناعل تليفونات، لا مفي

لا مكان يجتمع ده الاصداقاء

لنلعبا الرب للذهب إلى شيرها

إنها مدينة ليها طويل، لا صدر يجنو ولا طفل يتعجا حروف  
العطف، مدينة تجهل الفرح وتعتلى كعاهرة في كسل مثل فتيات ليل  
ياماكو الرنصينات. انهج مهرول إلى آخر الرقاق عله يرى أحدا عند  
الأرصعة المزروعة في بطن الأرض، تالطحت الماء، جذور الباني  
السحابية غابات الاست ذات الدفء والشاعر الصناعية قلب  
للحظة سبع طبقات مثل الجعجم (تركيبي طبقا على طبق) سالام  
كهرسالية واسميتية وحديدية، عالم الأرضي الصغير، عالم مثل  
الديدان تزحف إلى باطن الأرض، ويحزم السطحون فوق سرها  
تذكر للمدينة الثروانية، والتي يعيش حوالي المليون أو النصف بصورة  
ستمرة في انتقالها. كان القطار المنحني إلى الشمال متشددا كمشاق على  
صدر القصبان، الشوشة تجعل جسده النعاني يرتعش، مثل حيوان  
يري حز عقه يسكنين حاد، فلم ينتبه لحياة الحياة له، سيزيف آخر  
والدخان الأبيض المتصاعد منه كالبخور يوسي يتعلمه من اللعبة،  
أنفاسه منقطعة مثل دمى سحائر غير الصنف، كيان كما صبره حادتا  
مثل الالتهات في لحظات الهلابة.

(٢)

أطل وجهه فانتجاني آخر من نافذة النعاني الهضي الحديدية علق



نظرة به مثل حبات مطر على سلك كهربائي لا تمتدح فرصة ان ترى معها شيئاً، عرف صاحبه من شعره الشرقي كصيد الليل والذي يشبه رأس المخلد، وان كان على شكل هلال، مصفواً متبساً لا تأنه الرياح من بين يديه ولا من خلفه كجنود أترك يحرسون نصب الجندي المجهول، يتنمر متوسداً المنطقة الخلفية في الرأس، عارياً أحر مثل

موقد كهربائي ملقاً منه برهة وسيرة  
قرب أبو سوزي بدد كيق من فمه، ثم حرك أصابعه القصيرة خارج النافذة، تلك الأصابع المتضعة تقطع السجق صارخاً:

- اسرع... اسرع يا بوليبيا بلعن حريشك

كان يود ان يقول له: وانت بلعن ثلاثين من أقرابك السلم الكهربائي يتحرك نحو بطن الأرض ببطء، فيها كان يفتز الدراجات بالقصى سرعة، معتمداً على الدويز الحديدي. وضع قدمه على عتبة القطار وأمسك بالعمود الموازي للباب يلهث فرحاً كقطفل اعتقد انه عمل شيئاً جيلاً، حاول ان يغطي ثاغره بانسامة يلهاه مشبعة بالاعتدال قتلاً معها بصوت يبدو انه قد بلعه - جود مورغن لم يكثر به احد.

لم تأت لحبة يمشيها، شتم في داخله: أولاد اللبوة لا أحد يرد السلام

ثم انهد على أحد المكراشي، وأشعل سيجاراً كويماً بعد ان مر عليه لسانه لينيل، قاصم جزءه لم يلحق بكتاره بعد الكريت الطفا، ثم عض على الكريت بأسنانه وإشاعه شمشيت على سطح السيجار ساحياً معاً عيقاً مضطرباً عينه اليسرى متشبهاً كحش يشرب الصب. أفكاره تتابع مع الأشجار السرعة إلى الخلف هاربة من القطار، كانت الأوراق المحفورة والصائغ والبرق تتناهي المتدانية غداً في الحاصلين دون انقطاع، دون كلفة / مثل / يقدر نكبت طائفة لها مقسولة جيداً برذاذ قطر الساء الخالي لا يترك شي - عهول عن كسبه وربه، وبين القبة والأخرى تتخلل قطرات الماء على سطح الأوراق التي تسحب لها ميسمة في تلح مع الضوء القليل الذي بدأ يشرب من الشمس المحجولة عترة الأعصان، شمس لا تعرف كيف تقسو. حتى لا يترك نخلد كسرأب، أو تروق نفسها، كانت لحظة ساحرة، لحظة فوق الوصف، كبرصعة أسرع من الزمان، وتصوير بطيء، يمكن ملاحظة الأشعة تطارد حبيبات المطر المتساقطة والترتدة، أو عل ما يبدو حبيبات المطر تقترن أثر الشعاع، لتعرف إلى أين يدعج ذلك - وينتظر السوائل من عمق القبة، ويبحث عن الضئيفة - أهر المطر أم الشمس؟

### (٢)

كان أبو سوزي يتحدث لحظتها مع الجالس أمامه وكان يستعمل يديه، ويفرد أصابعه، ويحرك مؤخرته، وكفيه، أكثر من حركة كان يفعل، ويستطرد في عدة مواضيع لا رابط بينها ماضياً أسناته بلسانه، فيها تغمز عينه دون سبب، هازاً صدره المزيج مثل قطعة (جيلي) لم تتخسر بعد، ناضباً رأسه فيها يأخذ ويضع تشكيلات غريبة خيفة ومضحكة مثل (سفرجلة) ودون الانتباه إليه جيداً، لا يستطيع التسامح أن يفهمه، فحالة واحدة معه لا تكفي، تصير وتتفتح مثل (سانشو ريق دونيكوش)، كتلة صماء دون أطراف، أو هكذا يبدو من بعيد، كمجمل البحر، أجول على يبدو انه كريم العين، عندما

يحدثك تعتقد انه يقصد شخصاً آخر، لا يتوقع عن ارتشاف البرة، ومع كل جرعة يذلقها في الزير الذي يثن بحمله والمجمع مثل (قرعة هراء) كسيرة يمسو طهر يده، وكلم المحاكيات، عل فمه، وشبهه الحنطري، من اليمين إلى أقصى الشمال، راجعاً نفس الدور، قتالاً بصوت «يقرقع» مثل الملك في قم إحدى سات العائلات: الحمد لله نعمه

ثم يند في أعنيه البينه  
ركبت حمار فوق حمار، عغص  
زمني والدهر وياني، عغص  
حبيبي الي كنت اشتاق إليه، عغص  
رماني، وشمت المدواو قيا  
يا دنيا لو ظليت شده، لا أسكر وأسكر  
واجيب العار لأهل العراق.  
لا أحد يملك ان يقاطعه... كل ما يملكه ان يكتم رينه ويسمع مع أبو سوزي وعاله قتلاً: الحمد لله، نعمة على كل حال.

### (٤)

تقتاته المحطات منذ غادر قفوكه، وتصلطه الزواني الملوقة حراً والتي يرمي مهادباً على صدرها القاني، ويضيء مسحراً أيام العمر من مظان: إلى مياه، إلى بار، إلى فندق، إلى رصيف إلى كرسي لا مسمى للجوليس عليه، ثانياً من الأناجيل إلى قرية (كل) يشال هامبورغ، والتي تسلك في حضرة برزخ من البحيرات، كان قد تم استئجار لقطها الكبير الوحيد عل ما يبدو، ك استديو لتصوير الفيلم الذي تلعب رومي شطرنج طوطه، ويشترك هو أيضا في دور كوميديا هنا يشارك أنوسلوي، بعديته، ووجوه أخرى تحمل شرحة الألبس القوط في دور أحلاك جمع متوحشين.  
- كان يجب تشويه صورة الايطالي لأنه سبب هزيمة المازية وكان عليه ان يلتزم ملاحظات المخرج، وملاحظات وانتقادات أبو سوزي ذلك الربيم الذي اثبت أمامه في المجمع الحافتي يهامبورغ، ليعرض عليه في شكل حليم رغبة المخرج الذي كان يبحث عن رصوه متوسيلة قال لنفسه: لا يجم ثار الأجساد مع أولاد الحمازير والحولات لم تنت بعد، ودون ماطلة قبل المشاركة خاصة والد العرض مفر إلى جانب التجربة هذه بداية جديدة خالية إذا لم تنفع علن نضر، يا سبيد الكنية اللاتية، لا شيء، وعلى الرب عندما يمشي ويسم الأمور على دلفات، هكذا لن تعرف كل واحدة ما قلها وما مدعها.

### (٥)

عندما سأل الصديق الأروني، ذلك المزيج دائماً والذي تر الكراعية من عينه دون سبب واضمح والذي لم يتسطع مع في الحديث يود إطلاقاً عن اسمه؟ رد الأخير دون أن يتبه له، ما إذا قال كلاماً آخر أم رد عل سؤاله مع ذلك فقد عرج في حديثه إلى حبال أبو سوزي والذي يلدس بكنية الطيب منذ ما يزيد على عدد أصابع يديه واثد ركعات صلاة المغرب من السنوات، ولم يقسم إلى أبو قراط بعد، ويبدو انه لا يعرف كيف يتخلص من شاك ابن سينا، واكتفى من الدنيا باسم ابته «سوزي» التي تعيش مع أمها اللاتية المطفلة والتي



ما كان نامكانها ان تتحمل كل ذلك الحزن الغرائي المتجدد، وكوايس السجون والعذاب الزمن ورب أبو سوزي الذي لا يخلو له الشرب إلا في صحته دائماً هكذا.

في صحة الرب!

الربيل الأرمني لم ير أهله منذ سنوات عديدة، وللمرة الوحيدة التي التقى فيها معهم وجهاً لوجه سد غادر جبل جلعاد كانت بلبان عندما كان لبنان، وبعدها عاد إلى ألمانيا، وظلت الأشواق تسافر في بينهم أحياناً عبر الأسلاك وصبر أغنية عشيقه الشيوخ تلك البداية التي تخضع لشكري لبناً على صدرها إكراماً لعمون حسن وشاكله حتى مات. طلب منه أبو سوزي ان يترع الخريطة التي على حافية اليد وعندما تمال بصعوبة عن السبب؟ أجابه بشتيج وصراخ هستيري مشح باللعنات:

- إني أريد ان أنسى ولا داعي ان تذكرني في كل لحظة بذلك المكان الملعون، حيث يعضون الرجال ويفترسون الخيل حتى يا صاح أوصاف بانفعال فيها أطافه تشد جلد الرأس.

- يجب ان لا تخشني كخفي فأنا لم أعبد أطق ان أسمع عن الاغلاقات، وعندما تكبر عتوقك أنت عبل ولماذا تشفق بيا هو أكبر من وديك ولي تعرف وافية الآن اسكت، ولي جهنم.

بقية الرشا على الطاولة، لم يكن لهم وجود فعل واللغة كانت حائراً حقيقياً، فالأساسي مشغل باللسان للغة خدعة دلياً تذكرت إليه إصلاً، شعرها شلال أسود يلمع وصدرها مجرد مشروع صدر، كانت جلداً على عظم، أنوثتها في عيوبها القديمة كعمره

المخرج يطلب من (الكروسون) أن يقدم لهم أطباق المأكولات (والكلالو) و(الفروسي) في زوج عديم بعض المسحور لسمن التشترلي. طلب منه أبو سوزي أن يصر له قوماً من الحياة

مقابل سيجاره رغب بالمادة، كان أصغر من أن يشرب وأكثر من أن العالم خاصة عندما يكون مريضاً على أهمل النساء. الله تاحية البار، كانت الكسرات المثبتة على عربات كبريائية صميرة تتحرك في كل

الانحياضات، وكان متجهاً إلى طلب أبو سوزي في طريق ملتو، متحشياً ان يصطدم بجلود البشر الضحكة أسكب بمقيض الكوب، فلك الكوب المدرج الخاص باليه الفهية وضعة تحت حافة الآلة

التي على (الكتنوزان) ودفع به إلى أعلى فسالت اللعبة فائرة ناروة مزيدة، وعندما حاول ان يسحب الكوب قبل ان يفيض شعر بأن هناك ما

بمسكه، فيها كانت الرغبة تدل على جوانب الكوب وعلى يده متسربة إلى كوعه وملابسه وهو مشدود تكسو وجهه ملاحة العاجير. كان أبو سوزي الذي يراه لحظتها من مكانه يصرخ بصوت جاف وجارات

قلرة: - لا تغرق في نعمة الله يا زنديق، يا ابن... قال نفسه: هذا المليون يستحق السجل.

كان المصور على سيارته الصغرى يهتز مع لحظتها، رأسه متعانق مع آتته ويده ممدودة إلى لا شيء، فيها المخرج يتحرك واضعاً يديه بجوار عيبه مثل غطاء خضار يجر عربة في الارحام يحشى عليه من الحروف

في السياروات التي تحرق بجواره، كان يقترب هو الآخر حائياً ظهوه كتصنف بجمية. مشيراً بيده التي تهتز وتدور في مكانها إلى المصور ان لا يتوقف، لم يكن أمامه إلا ان يتدفع في الضحك مع شتائم أبو سوزي وزعجه، زعيق الضمعدة في موسم التناسل:

- شوت سمعة العرب يلمس ديك

فجأة سحب الكوب بعد محاولة صعط إلى أعلى عمرته حالة من الزهو اتجه إلى المتصدية وفي هذه المرة لم يكتثر بالرقيق بل عبر فلداً جاذبه ماسكاً الكوب بيديه معاً، عتقاً (البيست) المعد للرقص

اصطدم كتفه في ضربة قوية مع المثلثة والتي كانت ترقص على الموسيقى الخفيفة. لم يكتثر لأن المرح الذي يبعه في تلك اللحظة

كان في حالة من التائق والاندهاش سعيداً بالتصرفات العفوية غير المتوقعة وهذا ما جعله يصرخ بالاطالية: برافو فراتسي سيكو برافو وعندما قدم الكوب الذي يحمل في عيون الخميري الملاحظة كان

الأخير واقفاً استمداداً له، فلداً يديه كرقاص يوناني، معلوماً أصابعه كصاحبات الحاجة سهر زكي، معنياً بأهل ما يملك من قرار: مصطفى يا مصطفى أما بيك يا مصطفى

سبح ستين في العسكري أنا بيك يا مصطفى كان يراود على حرف (ج) قبله (د)

أمسك بالكوب كحجية يريد تفصيلها فيها طلت بطة تراقص من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين وهو يهرها في رعدة (والخرقة) وعينه تايامان مؤخرة المثلث الذي كان يراقص رويي شيدر فجأة

رفع الزميل الأرضي عقبرته بالغاءة: حبيك بابا حبيك ألف رحمة على بيك

هفتلاً يصدره على صدر الاحول أبو سوزي فيها أيديها غمر وتلاعب رقصة كزله ودي ما هو سوزي لا يهتم

لوعينها المعانيق دم كد لبحر هو الذي يروح في الرجل الماسك بلوحة (الكلايت) وفي القصور كي لا يتوقف كثيراً بيده إلى الرواية الأخرى اقتربت

السيارة الصغيرة الثلاثية بالة التصوير فيها أمسك الاسياي بعد من المأكولات ورفع يده غالياً وضع يده ليمسكه بصوت عال مرعج ساحياً كمية من الهواء إلى رأسه ككرة جولمه تكاد ان تسقط من مسبارها، صارخاً: فيها اساني

## (٦)

انجحت عيون المثاليين والمساعدين والحلم إلى المضفة العربية عما جعل اللغة الحديثة تتوحد إلى مكانها باستنارة مخلوقة باليهار، قبلت أبو سوزي الذي حاول ان يمسك وجهها، وعندما انفلتت منه، قل

أصابعه بصوت فيه مصصنة عالية مع الساعة الثالثة توقفت الآلات عن التصوير، اطلعت الأضواء الساطعة، توقفت العربات عن الحركة، وضع الكلايت لوحة التي

يعرفها باستمرار بعد ان يكتم عليها كل مرة رقيقاً جديداً بالطاثير سكنت الموسيقى، انجح المساعدون إلى المثاليين الكثير لسد عنهم على مسح الماكياج، جمع المخرج أوراقه المشرقة وانجح يحدث الجميع بعد ان

كاد يسقط من السلك الكهرسائي الذي كان يسحبه أحد العمال لحظتها اخبرهم بأن سكان القرية قد تجمعوا بالخارج رغبة منهم في مصافحة الذين شاركوا في الضلم والاحتياط بذكرى، وأن ذلك سوف

يجمعهم يتأخرون لمدة ساعة ونصف على الأكثر. دفع لهم أجرة التأخير مع الملح المتفق عليه وشم تذاكر السر بالفطار



- تستطيع ان تحصر كل يوم اربعاء الى اسديو هامبورغ فقد  
نحتاجك في بعض الادوار

عندما خرجوا من الباب الخلفي للمسكن كان ظلمور غريب على  
خط مرجح يجمع بين الألوان والسننات المظلمة. وجوه يقيدها عمرة  
من أكل لحم الخنزير، وبساعات قريبة بلهائه لاحظ أن بعض كبار  
سنناتو كانوا يرتدون ثياب اعصرهم إلى احتفاظوا بها على ما يبدو  
للجناسيات الهامة. كان أبوسوي يتخرج من حفلة في حال طرزي  
مرتفعة فازار أحيانا صاعرا وعندما غدا له إحدى العجائز أن تزورها  
ليوقع لها يريعه بعد نصفه قائلا: هذه من نصيبك. دون أن يترك له  
فرصة لوجه شابة جميلة إلا بالهفدة، وكان يمد يده إلى الوجات  
قارضا بظهر أصابعه، مستلذاً ليصلحها من بعد بلسانه متهدداً: أه يا

كان يكتب في البداية عبارات انشائية مثل وللكرمي، معطفاً ان  
 احداً ما سوف يتبعها يوماً، ولكنه ادخل فيها يكتبه أبو سوزي  
 اضحي بقلده أيضاً وعطفاً ما لا معنى له صائراً مثلاً انبت ذننه  
 عن عبارة مردد إياها مثل اصدقائه بصوت عالٍ صانطه  
 وطن عربي واحد  
 شبيب عربي  
 يكمل الصانط الاردني  
 قهر عربي واحد  
 مسجّر عربي

فردد الجميع وواحد منها ظهر ويضع يده في سروني ركانه ينفرد  
 وركب سكرتا. كانت العيون الأحمر في مشبك اللؤلؤ الذي يحد كيانه  
 من ليون إلى الشمال من مزرعته. يسبح كاحلها الأحمر في العيون مثل  
 "درايمط، شوش، والداسكان قطعة قطعة مبداء، يتلاها في  
 حركة شبيهة أمام كل ثانة مكتزة  
 في القطار الصائد كان يهاورع كان يمشي بأغنية والدته الحزينة  
 جميعاً للقطار الذي يمشي بها:

وعندما جلست الفتاة الهندية بجواره أخرج كراسه ووضعها على حقيبة اليد التي برع أبو سوزي عنها حريظة ما تحت خط مدار السرطان، وأمسك قلمه ليكتب بخط كوفي هارياً من عطر الهندية أنفاد

هذا البلد لا يقتل ان تكون في سبائه نجوم، المعروض ان يتحول  
الجميع إلى أرقام  
من لا يقل ذلك سيفقد الراحة  
من يقل سيفقد معه  
في العربة تفقد كل شيء □

عبد السلام السيد

### الماتورة الأولى

■ وقد دأت طهيرة قاطعة حيث الشمس كثرة  
متوجهة تسحق كل شيء الأنهار  
والأعشاب والأحجار . . شمس كبيرة حادة  
لا تعرف الرحمة . في هذه الأثناء كانت البلدة  
ترزح تحت حجارة طفيلة من الصمت  
صمت يحجب كالسدي يتناسل في المنابر



والغار . الشوارع والأبنية تقرا موشاة تسكنه الرياح العاتية المحملة  
بإزلام الأديم والصدى . علت تدهال ذقوة لغصت حجابي الزبر  
جبر . جبر . من كثرها يصطلح يتحول الصوت الجهوري إلى صدى  
تردده الجردان السائقة السائقة الطلال . في فراغ البلمة  
ظهر وجل يصلي حاراً يستحق على السرب يقربات من أرجله تنهر  
في الحاصرة فتطيق الحيوان يهتق طيطاني سمع . يسير جبر دابة  
حواربه في الألبانية كالحرجل مرقعاً بكاد يسقط من فوق دابته  
يوهم به قهره . يرقع السقف الدائرة ليهوي وجه فتظهر سلمته  
الإلمة مردحاً نداء المصح . جبر . جبر . وجه حلقه  
لحم السانه إلى فطعة من الجشب المحروق . جبر . جبر . فتدق  
تعمل لسانه للريز . إلى قمعية القطبي البازق والذمت الدموع  
عييه فاعشيه بكلك . تكسر ندائه كبح جبراني تانرت شطاني  
الفرغ السحيق غدا غمضات خافقة على صدى فطقق يرد بصوته  
السماء المنحصر : دوا . دوا . برتو . برتو . ترامت له أذه  
السماء كبحر معلى في الأفق . ما . ما . يبلل سانه . التيسى . أذه  
إلى شجرة من شجرة حيث يفر من فوق حواره تن حديم من مقوده

نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب

شهاب الدين أحمد التيفاشي  
تحقيق جمال جمعة

## تحفة العروس ومنتعة النفوس

محمد بن أحمد التيجاني

تحقيق جليل العطية



RIAD EL RAYES  
BOOKS  
رياض الريس للكتب المطبوعة





## ماء.. وطن.. ودم

جمعة محمد جمعة

■ هربت من بيت أبي، من المدينة بأسرها،  
تعلقت بشقي وأنا أوليها ظهري، ارتقت  
وقيلت وجهي حذائي  
- أنا في حوضك، خذني معك .  
- أجبنت.. كيف أهولك وأنا لا أهول  
نفسى



لم اهتز الحرف الأكبر من أبي قتل كل مشاهري، هربت، لم أهد  
بكى، كذا حاتم هو القوار بنفسى من غضبه، أعرفه جيداً، غضبه  
ولدت سيات

زلت أناخية بلدة أبي، خشتت حدة الحرف، سألوها بصدر عمى  
عالمها صب الحياة، أو أحضان عمى طالباً منه المرأة بحتال، بأى  
طريقة يستعمل بها أبى للسؤال على حال اعتقادي، فليس لي في الأدب  
غير أسرتي، وأقربائي، خدمت الأصدقاء منذ نعومة أظفاري، مغارفي  
الجدد يمتلكني الحذر في التعامل معهم .

ارتسمت أمام عيني، وأنا أقطع الطريق الضيق المتحرج بين  
الحقول، استنفي ظلال الأشجار العالية من وضع الشمس، رأيتها  
تحداني بالاشارات، يمسكت شيعتها، بملامسات يديا، أخذنا عشا  
لنمراسنا فوق الطلح، وبالي التي تفتقد القمر، وتبدو النجوم  
مسطحة في علوها الشاهق.

كان الحب بيننا كزقزقة العصفاف، أو كهدبل زوجين من الخيام،  
ممس وليس، حنان أرشقه كل مساء لبضع دقائق، زيلت مع الأيام،  
فقد أمت لحظة الفراق تشغل كمنها عن كفة سنين العمر مكتملة، في  
ساعات الفراق الطويلة أرتو بعيني إلى كفة الحب، استشعرها بعض  
الأحيان في لقاءاتنا العابرة، حين تقترب بوجهها وأشم أنفاسها، أو  
حين يمر بي الغواص أي جزء من جسدها يتقيه الثوب، سرمان ما تعلقت  
لحسبسي بقتري من تلك الفتاة، يتز جسدني حرقاً بارداً، ويرتدك  
لساني داخل فمي، وتشمير يارتماش يدي فتضغطها بين راحتيها لتتمتع  
عنها تشعيرة الارتباك

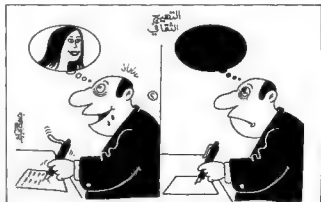
في بعيد يصغر قطار، أزعجني مرأه، ورجل أسود اللون، تدور حول

المخايح، ردت بالتعامل: دائماً أنت متشائم.. رد بصوت خفيض:  
ستريك الأيام صدق تبولتي.. حاولت أن تصرفه إلى حديث آخر .  
ماردوت تاتلة: هل ترغب في الذهاب إلى المدينة لمشاهدة الحقل؟  
أجاب بالتصاق: لست أبهله حتى أقفل ذلك. قالت تعتلز: لم أفل  
أنك أبهله.. بل أقصد هل تريد الذهاب مع بقية الرجال لمشاهدة  
الحقل؟ انصرفت إلى المطبخ لجلب قنح الشاي.. بينما كان الصغير  
يردد بصوت صلتب: عائش.. عائش.. ابن عتاق. قال في نفسه:  
الفتلة بمسخون الطفولة

### الماترة الناجية:

مدينة الظلال جليلاد من الصخور الصلدة الناتكة.. حقول  
جرداء وأرض محروقة مشققة.. وجوه نكلمة مسرمة تسير على غير  
مدى.. للمستمتع انخطبوط كربه يتندلق صوب الحقول يطوقها بحزام  
من الروائع المعلقة والجعوس.. يثقت أبخرته الوخيمة في القضاء  
بكنانة كانت أرمة حد قاسية كان الرجال الذين يدهمهم الحزن  
والسأم من الحيلة يلذبون إلى أول شجرة تقابلهم على الطريق  
يتسلقوها لربط حبل لظفونه حول أغصانهم. يتدلقون تند عنهم تنيد  
موجع.. لكن الأشياء لا تسير على وتيرة واحدة.. مات.. مات  
القول.. مات ابن عتاق.. كليات رعدتها الأقواء وبوجل وفرح مكتوم  
تالتها تسلاوات حائرة: هل حقاً مات ابن عتاق؟ هل تريخ الأيام ذلك  
الحجر الثقيل من نوب الصدور؟ قال أحد خصيان ابن عتاق لنديم:

لم يعد لدي رمة في الحياة.. قال صاحبه ملهجة ناصحة: لا تأس  
سيجودون الشيء من ثالث بخت: ستسر هذه الألعاب على  
الناس.. عقب الأول: تأس بختوب نعيم حمره وسوط.. جد  
أعز مهرولاً من رأس الزقاق رددت بصوت لا أعت بها ناسي لقد تم اختيار  
الورثته أنه يشبه المرحوم كل حقد بعيد.. لذا لا داعي لآلزال صوره  
المعلقة على جدران المرفق ومكاتب الحكومة في مراسم الدفن  
وضمت موسياء ابن عتاق في تابوت مع زوجاته ثم كان يحبه في حياته  
ولاح من الطين المحروق يضم بعض أجزاء جده فيه: في عهده سابق  
سلحامة.. حطم حجمة كلب ميت.. شيد قصوراً من ورق.. ومن  
قله العيش رفع له نقلاً ونقلاوة تضيخ مياه باردة تصبغ في  
الجاريين. □





رأسه عليه بيضاء، يرمل في جلباب رمد التراب، وبعله لا بين لطول الجلباب، غارت الدماء في قلبي، مربي عبياً، رددت تحيته في قلقة، ثم تبعته بنظراتي حتى قارب على القليب، انهار جسدي إلى جوار شجرة ضخمة الساق، تهدت وأنا أشهده، هو بعينه، في حجرته الضيقة تحت سلم البيت، عارياً كما ولدت أمه، باقية قطط عمارت الصيعة فوق رأسه، مراكاً فوق روجته، ممرهاً بمصها الأسفل، طنتها يتقاتلان، كادت أصبح حين امتدت يده لتسفل من رجلي، ثم اعتدل وكضم فمي بيده وقال غملاً:

- ليك أن تفتح لك بكلمة .

ثم أطلق يده، اختطف جلبابه وفي لحنة كان جسده داخلها، قال:

في غضب:

- ما جاء بك هنا؟

قلت بعد أن أخرجت الكلمات الغائرة في بطني:

- الكثرة الكثرة دخلت هنا .

اشتعل الحجرة نطراً، ثم انحنى رءاه بها من تحت الملاءة التي سترت بين روجته جسدها، ألقى بها في فناء البيت وقال مهدداً:

- إياك أن تدخل حجرتي مرة أخرى

ثم قرصني من أذني

- أوهمت؟؟

هزرت رأسي ولذت بالفرار، كلفت عن اللعب مع رطائي، ولذت بصحرتي، أنتظر بين لحظة وأخرى ارتفاع الصراخ، وكيمهر السكان، أنظر سبع عازرة واحدة، والبواب قتل روجته، لكي لا سمع شيء، بل لفتنيها بعد ساعة تصعد فوجئت بسد وهي نعي أمة اسمها داني في المديح .

لتهدت في ألسنة، وقد اختفى الرجل الجرد لم يبق له الشبان، نهضت، أمامي ساحة صغيرة وأدخل القرية، للقباب القرية في عيرك عمي وعمتي وأبنائهما الكبير منهم والصغير، أسرت عطر القرى، أثرى المخر، الطريق يزداد ضيقاً، تحب به كتل الأحجار الطينية، تنسحب تحت قدمي، كانت تعرضني للزلال والوقوع أكثر من مرة .

كنت معها أقرب من القمة لألقف فرقتها متابعها، أقول للناس ها ناس . . أنا وصلت إلى قمة الحب . . وكنت أقرب منها على مهل، استعمرها حين تجلس على الأرض وقعدت ساقها، أتقعد أنا الآخر وأضع رأسي فوق عنقها، ويبس أصابعها تستغل شعري، وهما يتغلغل جسدي أشعر بالدفء، هو الآخر يتسلل من رأسي إلى باقي جسدي، وفتر ارتعاشة فخطيت تحت رأسي بارتعاشة ساقتي الممدتين، واصطلاك ركبتي، مضجعا، وجاءت لحظة أسكنت فيها بالقمعة، واغشلت تلك اللحظة ترسب السخونة بين ساقتي، وتلوث سروالي بالبلل، كانت ارتعاشة أبنائي بأسي فعلاً فوق القمعة، وليس بعد شيء آخر، وحزنت لانتفاخ عني . . نمود أدراجنا كل مساء، مصالح الوضع، أجسلى أنا ولبدد ساقتي، نصعب من رأسها فوق فخذني، أذاعب شعراها بأصابعي وأفرد مكلمات ست لحظتها تطيح بكل الكلمات التي أعدها، تسقط عني على فتحة صفر ثوبا، أراها، مضين، أبيضين، ييضلون، أمد يدي وأمسك بأصابعي زينتين حراوين طريتين، تشهد أصابعي نضوها وتحوّلها إلى صلالة الأحجار، تصحبها أمة أم وروضة منها، رفعت، رفعت أصابعي عنها، دهشت حين قالت.

- اسكها مرة أخرى.

ترددت كثيراً وأنا أعود الأساك بها عشية إيلامها، لكنها شجعتني قائلة

- اضعلها ولا تخف . .

وشفتنا تلك الرعشة، وتسلل الحمار مع البلب إلى جسدي، وقدمت إلى جوارها.

نهول كل مساء في التزلزل على أثر نهدي أمي أو أمها:

- انزلاء، وكما عن اللب . .

المن في صمتي من نائتنا، كنت متربعا فوق القمعة، وهوى النداء . .

استوقفتني أمي ذات يوم، بعد أن خرجت من الحمار، قالت وهي تقلب ملابسي

- ولد، ما هذا اللب . .

قلت مرتبكا:

- لا أعرف يا أمي . .

وكان هذا اليوم من أخص الأيام، فحيت أمي إلى أمها، واختفت بصوتي ولم أرها وجهاً، أو أصماً، أو سمعت فاحصاً ثوب، أو نبرة صوت . . يت قلقاً، أفكر في سؤال أمي، وكلما اقتربت منها غاضت أسنني، وتصعد عليّ ابتلاع اللعاب في فمي، أمهروا إلى الحمار لأصعب، لعدة أيام أترصد القرعة، حتى حالت، وتلافتها إلى أعل السقف، أبتصر جسدينا من الشوق والحول معاً، تنطلق إلى أعل وإلى أسفل، علمت بتحديز أمها ما بعد اللعب معي مرة أخرى . . صار لصدا، كلما جاءت علينا فرصة للاختلاء، لانتفخ أسرتنا فاصحابي هؤلاء المومل لأحد من المصارف أو الحيران، وفعلها للحرا، أدهت إليهم وأصمدهم بأوليات تحبها بغنة، بغنة تسمرت قدماي، كلب صبح كاي أكون بلف أمامي، يرتكر بمؤنثرة على الأرض، ينظر فدا، يلفقه، يفكر، أرى أسنانه الحادة يارزة، هالب فدي مدينة، عضلات كسبه متعقعة، صررت فوق الأرض كتمثال رسي في الميدان، وانفجرات المياه وقد أفرقت سروالي، واكتفى الكلب بتهديدي وانصرف . .

جلست على الأرض باكياً، كيف أدخل بيت عمي أو عمتي بهذا البلب القبيح؟، كيف أسبر حادوسه؟، فلأني حتى يغف، قمت لأجلس على حافة سفل به نيات لا أعرفه، عود بسيط أخضر، وعلمي أن البلب لم يعد ماء فصب، بل ماء وطين، اندفعت إلى حافة الحقل ورأسي يميل ويعيني تتفقد العين في ظهور سروالي، عرت أصابع قدمي في وتد حديدني لم أره، رفعت رجلي من شدة الألم صارخاً في سميت، لأعسا الصمد الذي ابتلعه وصائله، وفوجئت بالدم . . رفعت أصابعي أمام عيني مرتعسا دم . . دم . . أرقبت على الأرض، الألم يغيب يبط، وأنا أنكي، وعلمي التي هرت على أثرها تتخلل أمام عيني، أصابع يدي مغطخة بالدم، أي بفق بفتات المدينة، وكثيفه العربصين أبكي وأردد

- هي السبب يا أبي، هي يا أبي،

أقول من خلال دموعي التي غيمت على عيني:

- هي خلعت ملاسها، أحاطني بمراعيها، خلعت هي سروالي، كيتني بساقها ولم أستطع الإفلات . . هي يا أبي . . هي يا أبي

ارتعدت قرعني لسبح صوت إيتي في الظلمة التي أسدلت



سحابها، والصمت الذي يقطعه تقب الصفاوح على مبعده، وحفيف التسم بأوراق الأشجار، صوت لم أتبين صاحبه:

- مالك يا بني؟

قلت حولي، وفتت وصوته ياتي مرة أخرى:

- أغرب أنت عن ها؟

قلت

- أما من مصر، جئت لمعي . وعني.

أسك الرجل يدي ولم أتيه وقال:

- به أصعبك مللة .

قلت وأنا أشير إلى قلبي:

- إنه دم . . أصابع رجلي جرحها الرود الحديدي . .

أسك يدي الأخرى وقال:

- لا تقف، تعال معي أوصلك بيت عمك . .

سرت إلى جواره، أتعثر في مالي وطبي وحي، اقترينا من الدار، واجهني صود والكلوب الباهر سلطاً من بابها المفتوح، تاهت إلى أصوات كثيرة، دفعني الرجل إلى الداخل ولأدي ما حدث، فقط صوت أبي:

شرفت يا مقصوف الرقة، هناك على يدي إن شاء الله . . □

## رسائل مسمومة إلى قطع الأثاث

شفيق مكار

■ لم تكن علاقتي بأختي الكبيرة تجرى علاقة مينة. لم تكن هناك علاقات عائلية لوشاكل بسبب التراث أو أشياء من هذا القبل الذي يفسد أجواء العلاقات ويمكر مياها. كل ما في الأمر اني وجدت دائماً منذ الصغر صعوبة في الشعور بأي ود تجاه تلك الأخت

لم تكن - لسبب لا أعلمه إلا الله - وتمرل لي من زوري. وربما كان ذلك بسبب عجة أبي الفاتحة لها وأصفاته الدائم لأشوايتها الصغيرة. وربما كانت كية مثله ولا يعني ذلك انها كانت دائمة العروس أو مياة إلى الزواج والعلية، أو تزوات الشوم. بعض النساء هكذا. حوزن جنازي. لكن تجوزي لم تكن كذلك. فقط كانت كية كاي. وذلك وصفت وصفته به أي فلما سألتها عن معاه قالت - وأولك أئد المسألة جذاً. فقلت: «أية مسألة؟ ضحكتم لي وقالت: «المسألة، يا عيط. المسألة، أن نرضها بعد؟ وسكتت، فلم ترد

كان ذلك طبع عند أبي، رحها الله. كانت دائماً تقول أشياء كهذه

لا رأس لها ولا ذيل، ثم تسكت فتترك السامع يضرب أجلساً في ألداس ويصعب قلبه كثيراً. لكنها، في تلك المرة، زادها حزين. لم ينظر عليّ ضحكها، وشمرت أن وراء قوبها «المسألة» حكاية كبيرة. ثم - بعضي الوقت - كبرت تلك الحكاية في دعائي أكثر، وأجذت أسج حوفاً غاموفاً ويجول كلبي فأنا أيضاً - إن شئت الصدق - في من كفة أبي قدر لا يستهان به. لاني أتوقع الأسوأ دائماً. حقيفة أن فعلم عني ليس كارة أو أي شيء كهذا، لكني أتوقع الشوم من الحاية ومن الأعريس. ولهاذا، لم تصعب عليّ، رحها الله، بي جيلاً عندما قالت لي بغموض عن تلك «المسألة». تركت لي في حياتي حفرة ظلمت أثرتي فيها - وخاصة بالليل - وتركني في قاعها المغموم وأطع التصورات لا بد أن في حياة أسرتنا سرراً، ظلمت أقول لنصي. في حياة أسرتنا مسألة وأبي، لأنه يأخذ الأمور ماعداً جذباً، بمنكر أبي التي لا ترى في الأشياء عبر حاتها الباطن إلى المصحك، أصبح كينياً نسب ما أثرته المسألة في نفسه من ترفعات السوء. وربما - وذلك مرجح - لأنها كانا لا يكتمان عن الكلام معاً بصوت منخفض. كان قد صارح أختي الكبيرة بتلك الترفعات، فصارت كية مثله. والذي يبدو لي أنها - بعد أن مات أبي - أجذت لنفسها هزيمة فأصاحتها إلى ما عندها وجعلت كل تلك الأشياء تركب رأسها.

والحقيقة أنني عندما تزوجت تلك الأخت ارتحمت كثيراً. لأنها وبزواجها من ذلك الزوار المحال إلى الاستدراج - خرجت من حياتي دعيت. وبطبيعة الحال، قمت بكل واجبات الأخ، وظلمت أضعف القرح وأبسم لكل أولئك الناس الأجرام في الحديث، وأشرب معهم أكواب الشرابات وكل ذلك. لكني، في حقيقة الأمر، كنت أشعر بطرف من إهدام العصر البهائي في بعض الملمات خوف من أن تتخالف بعيني عليه فيفتن إلى لسانني ويخاطني أقول ما لا ينبغي أن يقال. فلبس ما ظلي شيء غريب بداخلي يتجمل انتقاء حفلة العرس وذهاب أختي وكأها عيمة تطلمت إلى أن تتجاذب عن سبائي فتشرق الشمس والدي لا شت به أن ذلك القدر من معاد العصر الذي لم أقوم له سبياً كان سبياً في إفساد حكمي على الأمور، وتساؤل مع نجوي لما أصرت عليه. ولا أدري إن كانت قد حدثت حقيقة مشاعري أم لا، لكني - عندما تدهزت الأمر بعد ذهابها - سطر عليّ بقرأ بأنها، بفرد كبير من الحجة ميا يدي، لي: «بترتي. استصتت نفاذ صبري وتعتلي ذهابها عني، فقصصت، غير عابئة باعتراضات زوجها، اللواء حسير الدلاي، الذي بدا لي منذ أول لحظة شعها أفضل منها بكثير لم تكن تستمع، بأخذ عدة قطع من أثاث بيتنا إلى بيت زوجها. الكثير من أثاث بيتنا، في الواقع، ذلك طبعاً، ليس فيه جديد. أنا أعرف. كثيرات يفعلن ذلك، حتى عندما يكون الأب أو الأخ أو العم قد جهزهن بأثاث جديد اقتطع كلفته الباهظة من حمة وحمه. حقيفة لي لم كان فعلت ذلك، ولم يظلامي أبعد بقله، لأن ذلك الزوار أعلن من مدأ الأمر أنه لم يكن سحاجة إلى جهاز لأن العيالا التي كان يسكنها مكتظة فيها فيه الكفاية، لكني - لو كنت طويلاً - كنت حراً بأن أعمل بكلفة جهاز أختي. هذه تقليد لا سبيل إلى الخروج عليها. فللأثاث، قيا يخص العلاقات الأسرية، ترابطات سحرية. وهذا طبعاً. لا نعيش حياتنا بين قطع الأثاث. تشاركها حياتنا، في الواقع. ولا نخفي شيئاً عنها. نتعد عليها، ونأكل، وننام، ونبارس الحب، ونمرض، ونموت عليها. تصبح، إن شئت الحقيقة، جزءاً حياً من حياتنا. وطبعاً



هي أشياء من خشب وجلد وقماش وقطن وصوف، لا تحس ولا تشعر ولا تمهم ولا تقول. لكنها، شتاً أو نهاراً، تحترق ككل دفعاتنا، ولا ينفى سرٌّ من أسرارنا عنها. وتصحب عزيزة علينا.

لهذا، شعرت بالعراق وكل تلك المقاعد والمصائد، ومكتب أبي، ومائدة الطعام الكبيرة، والكسب، والسجاد، خرج من بيتنا إلى فيلا حسيبي الدالي بمدينة الشمس والذي أوجعي أكثر ذلك التوردي وجعني أخفى. كان وجهها يتصبغ عرقاً، وألمس أني رأيتها مفتوحة الشفتين، ورأيت بعدها يصعد ويهبط وكانها نلثت، وهي قرب باب ليت تراقب أولئك الحسنيين الأجلاف يحملون كل ذلك الأثاث بخارجين به إلى غير رجعة. وبعثنا أحسب بنظري، التفت عينها بعيني، وانسمت بي بحذل بدا لي مذنباً بعض الشيء، فأشجعت عنها لأحط وجهها ما بي، فالتفت بي، ووضع يده ممدودة على ذراعي وقال: أنا أسف. صدقت. هي التي أسرعت، لا أدري ثم. نحن لسنا بحاجة إلى شيء من كل هذا.

قلت بجفأ نمت عليه لغوري:  
- لماذا؟ أنت تعرف أن هذا أثاث ثمين. هذه المائدة التي يعملونها لي اللوري الآن، هل تعرف ثمنها؟ هذه الأشياء هي أسرتنا من أزمان طويلة.

فقال معتبراً: مهانداً فحسبي الذي لم يكن له مبرر فيها بخصه.  
- يا سليم بك. لا تسه فحسبي. أنا لم أقصد. أعرف انكم أسرة عريقة. وهذا الأثاث ثروة، كما تقول. كل ما أرثت قوله.

قلت، متلهفاً:  
- لا عليك. أعرف ما تريد أن تقول. لكن ما حيلتنا، أنت وأنا؟ للبيدات، في هذه المسائل، القول الإيجابي، ولا عليها إلا إن. ها ها. لا عليك.

لكني، وهم يدفعون المائدة داخل لغوري نخل الأثاث، ترائبي إلى من حولها صوت ضحك ومضمة كلام وأصوات صحاف وملاحق وانكسار أكواب، وإشراة وجوه مانت ووجوه ابتهمها الجسد، وأحسبت بشيء تسحبه تلك الأيدي الحسنة غير عافية من داخل فتدسه في تلك الشحنة.

امتلاً لحظي مرارة، واستدردت إلى زوج أحي الذي بدا من نظرتة الحائرة أنه لم يفت ما كان حادثاً لي، وقلت:  
- أرجو أن نبدأ يا أجد.

فلم يمر جواباً، ونظر لي زوجته طالباً للعون منها، ولم ترد هي عن رمي نظرة غير عافية، فاستدردت ودخلت إلى علق الدار، ووجدت المكان شبه خاو.

عندما دها، لم أرحم لزوجيها وبعددها، بعدت الشقة يساً لم أروها، وعلمنا ثار زوجها على الاتصال بي بالتليفون، طدت ردودي عن استساراته ومعاتاته وإخاذه علي نالاً أجعل نفسي عرياً عنها ردوداً مهدية لكنها مراوعة. وفي النهاية، ينس الرجل، فانطلقت مكلماته. والحقيقة أني شعرت بقدر من ونز الضمير فيها بخصه، لأنه ظل دوداً رغم خشونتي وتباعدتي، ولم يسه لي في شيء. لكن باباً في حياتي كان قد لويده وظلاً فما خارجه، ولم أجد في نفسي رغبة في أن أتمه.

غير أن ذلك الباب الوحد انتبج عنوة بعد سنوات. وكنت قد أخرجت تلك الأخت من الذاكرة، فبوقت ما وهي تتحطم علي باب

مكتبي يوماً. وبعثت أكثر إذ رأيتها - على غير ما آلمت - مشتمة، وبالخفية مرتعة

قلت:  
- خيراً مالك؟ أنت مريضة؟  
تلفتت حولها وكانها حالت أن يعانها أحد من وراء أو من هذا الجانب أو ذاك، ثم قالت بصوت لم يكده يصل لي سمعي

الدالي.  
استغربت تسميتها زوجها باسم أسرته. كان جوها كله مثيراً للاستغراب في الواقع. فهاجده كثيرة ملأت وجهها. وفي عيناها كانت نظرة التحدي والاعتداد القديمة قد تلاشت تاركة وراءها نظرة زالمة

قلت:  
- ماله حسنين بك؟ مريض، لا سمح الله؟  
قالت بصوتها يطفح متفا:  
- مريض! هذا يمرض؟ إنه كالثور. ليت يمرض.

قلت، وقد بدا لي أني بدأت أفهم:  
- كره، هذا! تشاجرنا؟ يا شقيقة! لا تكبري المسألة. كل الأزواج يعمد لهم هذا. نصف قضاياء مكتبي منشوا شجار بين الزوج والزوجة، أو بينها وبينه، هاهنا. هذا هو السبب في أني لم أزوج حتى الآن

تطيت لي بعقت لم أحاول إحقافه، وقالت:  
- كل هذه السنين ولم تتبري؟ ما زلت كما كنت دائماً؟ أحب أن تسمع نفسك تتكلم. أنا لم أقل أن بيتنا شجاراً.

قلت  
- فحسب لي الحقيقة أني عندما رأيتك تصورت أنك جيتني في قصة طلاق. تكاد الأمر يصبح عرجاً. ماألا لا أكن لروحك إلا كل

عدير  
مررت بها، سمعتها، في بيته، وقالت  
- أب لا تمهم شيئاً. والله أنا أعجب كيف أصبحت كمعما أنت لا تريد إلا أن تسمع صوتك فتدله زادت تتكلم سكت لحظة ورثا تلنقط أعضائها، وقالت  
- الدالي. إنه يوي أن يقتلي  
سكت لم أحر جواباً. فقط جدت في مفندي ناظرًا إليها، عبر مصدق وفي النهاية، قلت.

هل جئت؟  
همت واقفة، عروني بنظرة ازدهار، وأخذت تفرغ الغرفة مهتاجة وهي تقول:

- كلا، لم أجد. لست أنا التي جئت. أعرف ما الذي يفعله؟ همت بأن أقول شيئاً، لكنها استكتت بمركبة نافذة العبر من بددها، واستطردت نائلة:

- إنه يكتب رسائل مسومة إلى قطع الأثاث!  
وجت لحظة، ثم انصرفت صامداً.  
- إنه يفعل ماذا؟ هل جئت؟  
أفقت منها صرخة شرمة، وفتحت حقيبة بددها فأخرجت منها حزمة من قصاصات ورق خطبتها على سطح مكتبي، وقالت:

- في رأسك عياناً؟ اقرأ!  
رمتها غير مصدق، ثم أخذت قصاصات الورق متباعدة



الأحجام، وأخذت أقرأ ما ألصق بها من كليات مطبوعة قُصّت من صحف ومجلات، وكُوتت منها جُلّ عبارات، بدت في خاتبة بعض الشيء وصبيانه، حاول من ألصقها أن يقلّد ما ينقله المجرمون أفلام السينما عندما يوجهون إلى الضحية أو أسرة الضحية رسالة ابتزاز أو طلب مدية. غير أن هذه الرسائل التي جعلتها نجوى إلى اختلفت عن غيرها بكون من وجعها غير بأن بشكل كل كلمة منها بدقة بالغة غير ما قصد، وفي بأن يزعجها بنفس طريقة النص واللصق. وإذا فطنت إلى ذلك، أخذت أرثب الرسائل تنزلياً حسب تواريفها، فلذا بلوطاً مؤنثة بعد أقل من شهرين من ترويج الزواج، ومؤنثة (فيها يد) من الوصف الدقيق الذي وجدته مفعماً بصيغة غريبة إلى سيطرة صبيّة لثيمة للعبة من المساجيد التي أخذتها أنخي من بيت الأسرة بين ما أخذت من أثاث. وكانت كل الرسائل معني بها، من طريق ذلك الوصف الدقيق، بتحديد هوية المرسل إليه، ابتداء من المساجيد، إلى المقاعد، إلى التماثيل والأسرة، وأثاث غرفة مكتب أبي، وكأنها الوصف عنوان كلف موجه الرسالة نفسه مشقة حلقية في كتابته بكل تلك الكلمات مختلفة الأحجام متباينة الألوان والمخطوط التي قصّها وألصقتها، حرصاً مني على تحاشي أي خطأ في تسليمها إلى المرسل إليه.

وإذا رُبّمت الرسائل تلك الطريقة، حسب تواريفها، لاحظت أنها - تاريخياً إثر تاريخ - ظلت تردود حقّة وعذوبة إلى أن وصلت إلى الرسالة الأخيرة (التي وجدتها موزعة قبل زيارة أنخي في مكتبي يوم واحد) إلى تهديد موجه إلى ما عرفت أنه مائدة غرفة الطعام الكبيرة - التهميش وجهها الفصح - اشترت بأسرها - والكتاب - المهر - المهر - وكسر أرجلها للترتيب. وأحياناً حطّ كرتيه الرميّة في المكان الذي تحرق فيه الأوراق الدالية بلقنسي الجديدة. وطبيعة الحال، صبحت - مت صحنكاً، في واقع الأمر. وروعت رأسي إلى أنخي التي وقفت لصق المكتب براحتين ميسوطين على بلورته وكأنها تتسائد، وجمعت بأن أقول لها أن كاتب الرسائل، سواء كان زوجها أو أحداً غيره (لأن الرسائل كانت غفلاً من الترويج، ولأن وجدت صبراً حلقية في إنتاج نفسي بأن تلك الرجل المزن كان يمكن أن يعمل شيئاً كهذا) شخص صعب المثل حقاً، وعجب للصرخ، حتى وإن كان مزاحه ثقيلًا، في بعض المواقف، بعض الشيء. لكني، عندما نظرت إلى وجهها، لم أفل شيئاً أقمتني شيء في نظري، في الضنى الذي نطقت به ملايح وجهها، بأن للساعة، في نفسها، لم تكن مسألة مزاح أو معاتبة، وإنما - حقيقة - جادتي وهي حاملة في حياتها. قلت لها، لمجرد أن أقول شيئاً - أقمتني. أهدني. أرجوك.

لكن قولتي لم يكن له من أثر إلا جعلها تصرخ، صرخة حيوان محاصر. فقلت: - ألا تريد أن ترى؟ إنه ينوي أن يقتلني. - أو يقتل نفسه؟

بوغت بقولي، متوقفت عن خطوها المأزوم بين قضبان النقص الذي تحولت إليه الغرفة، واستدارت إلى قاتلة: - ماذا تعني؟ هذا الكلام للسوم كله موجه إلى أبي؟ - هزئت رأسي علامة على عدم الانتعاش، وقلت:

- ماذا حدث بينكما؟

- قالت وهي تنصير كل يد من يديها باليد الأخرى:

- لم يحدث شيء. لم يحدث شيء، على الإطلاق. وهذا ما يشير وحيي. أنا لم أفعل شيئاً يثير كل هذه الكراهية في قلب أحد.

- فقلت:

- أنا لم أحد في هذه الرسائل ما يقول أنه يكرهك

- فقلت وهي تنصير جالساً على المقعد وكأنها قد أغرقت:

- إذن فانت أعمى كل هذه الأوصاف ولم تفهم؟ إنه يريد أن يشتم ويهين ويمزق جثتي وعرقها بالثار. إنه يراني كسبأ نار تحت قلبي.

- فقاطعتها

- هذه تصوراتك الخاصة - ولا تؤجدي، لكن من يسمعت تقولي هذا يكون معذوراً إذا ما بدا له أنك تصوريين هذه الأشياء، في عكس وتلصقين تصوراتك به

- قالت، وقد علوتها بعض شراستها:

- أنت لم تحبي أبداً. أليس كذلك؟

- فقلت، وقد أثار فوراً ومزقاً قديماً في النسي:

- الله وحده أعلم بذوات القلوب. لكن المشكلة الآن ليست حيي لك أو عدم حيي. المشكلة أنك تهمني زواجك بأنه كاتب هذه الرسائل التي، إن شئت الصراحة، أجدها صبيانية ومضحكة، دون أنه يكون لديك أي دليل على أنه كاتبها، وعلى أساس اتهامك معدوم الدليل هذا، تنهيه بأنه يكرهك ويريد فلك ومزق جثتك وعرقها بالثار في حقيقة البيت. فهل هذا كلام أساس عقلاء؟

- قالت

- أنا لا أفهم/أنا الذي يمكن لأحد أن يفعله. أنت المحامي، عقل لي ما الذي يمكنني أن أفعله.

- سألتها:

- هل تريدني رفع دعوى طلاق؟

- لم تكن بالرد علي، ولم تكن بحاجة إلى أن ترد. فقلت:

- هل تريدني إبلاغ الشرطة؟

- أغرقتها القول. أخذت تلوح بيديها وكأنها تبعد شيئاً كريهاً، وهي ترد:

- لا. لا إلا هذا

- ثم قالت:

- ثم أنه ما الذي يمكنك قوله للشرطة؟

- هزئت رأسي مؤنثة على قولها، ثم قالت:

- ما الذي تريدني أن أفعله إذن؟ أتحدث إليه؟

- تكسرت رأسها، وقالت:

- وما الذي يمكنك قوله له؟ ثم إنني واجهته قبل أن أت اليك. أرهته الرسائل. ظلمت، بعد أن عثرت بأول رسالة ملصقة بالسليوبيت في رأس التنين الرسوم في تلك السجادة الصينية، استيقظ كل يوم في الفجر، قبل الخدم، خفية أن يحثروا على رسالة مثلها، فأفنت قطع الأثاث قطعة قطعة، وفي أحيان أجد، وأحيان لا أجد، رسالة مشرقة بدموس في ظهر مقعد، أو ملصقة بالسليوبيت على سطح منقذة، فأخذتها وأخفيها لكي، بعد هذه الرسالة الأخيرة، لم يعد يرمي أن أسكت. واجهته بها كلها. فأخذها وأعد بقراها مستغنياً. تظهر

الرجل بمنتهى الاستغراب. ثم أخذ يضحك. مات من الضحك، كما فعلت أنت. وجد المسألة ملك باعثة على المرح. فلما سأله عن السبب في هذا التصرف الغريب، وإتهمة بأنه ينوي قتل، أمال النظر إليّ، وتصحني بالألا أدع مثل هذه الأوهام تسقط عليّ، لأن هذا اتهام حطير قد يجعل الناس تهمني بالجنون.

قلت:

- وما تفسيره لمسألة الرسائل إذن؟  
سكنت لحظة وهي أنظر إليّ بتسامة أثارت شعوراً بالعطف عليها في قلبي، ثم قالت وفي صوتها رعب لا حدود له  
- أنتعرف ما قال؟ قال إني أنا التي أكتب هذه الرسائل. □

## كابوس مزعج

معالي عبدالحاميد حمودة



■ كان عزمي « يذهب كل يوم الى تلك المكتبة التي بيع بعرض من سه، كان يخلو به دائماً معانعه بعض عواوين ككتب التي يعرضها الحاج نزيل محاسبة المكتبة» وكان عزمي قلماً يشتري بعض الكتب» وكان في معظم الأحوال ينظر إلى المكتبة بعسرة وصبر، فهو لا يستطيع شراء كل ما يريده لأنه لا يملك ثمن تلك الكتب

عاد عزمي في ذلك اليوم من عمله، كان مجهداً، يومها مرّ كعادته على المكتبة، وأه الحاج نزيل فقال له:

- يا أخ عزمي كيف حالك؟

تهد عزمي وقال:

- الحمد لله، انني في غاية الاجهاد اليوم.

- من ماذا؟

- كان لدينا تفويض في العمل، وبذلت جهداً مصبياً.

مد الحاج نزيل أصابع يده اليمنى إلى رف بجواره، والتفت كتابين صغيرين قدمهما لعزمي لعت عين عزمي سماعة يسجد أن قرأ عنوان الكتاب الأول، ولكن ظهرت على وجهه اامرات الأسف.

- ماذا بك يا عزمي؟

- لا ليس هناك شيء.

- لا يا بني قل ماذا بك؟

نظر عزمي الى سقف المكتبة وتحاشى أن تلفظ عيناه بصاحب المكتبة وقال

- نحن في آخر الشهر وليس معي نقود.

ابتسم الرجل ورتت على كتفيه وقال:

- لا عليك يمكنك قراءتها وإعادتها بعد ذلك.

ابتسم عزمي وارتست ضحكة صافية على أسارير وجهه ودعا للحاج بيل بطول العمر

صعد درجرات السلم بسرعة . اقترب من باب الشقة . زادت مسامحته عندما تذكر أن أمه وإخوته ذهبوا لزيارة خاله المريضة، سيكون بمفرده، يقرأ. أخرج المفتاح من جيبه ودمه في الباب، ثم أداره ودخل إلى الشقة . وجد مقعداً بالقرب من النافذة . جذبته ثم جلس وألقى نظرة على الكتابين.

حدث نفسه بصوت مسموع:

«هل ستقرأ في السياسة يا عزمي؟»

استرخى في مقعده . وبد سابقه إلى الأمام . وبدأ يقرأ في أحد الكتابين

كانت اللطمة التي تلقاها عزمي قوية وألته بشدة . حتى انه نظر إلى من لطمه، لكنه عجز أن يرد اللطمة بمثلها، طلب منه درجل المباحث أن يتنبدل واقعاً أمام «حضرة الضابط» نظر إليه الضابط طويلاً، ثم صرف رجل المباحث بالشفرة من يده، وانحنى على مجموعة من الأوراق وبدأ يبحث بها ثم سأل:

- اسمك وسنك وعنوانك.

- عزمي حسين صالح، ٣٩ سنة، أقيم خلف ٦٨ شارع عدلي

- هاتفي مهنتك؟

- مهنتس كهرباء بورارة النقل

- مهنتس بورارة النقل؟

«موم يا سيدي

شعر عزمي بأن ساءة ليس تؤوله بشدة، حاول أن يتحمل فلم يستطيع . طلب من الضابط أن يستريح ويجلس، أشار له الضابط أن يجلس

استجمع عزمي شجاعته ومال على المكتب وقال

- يا حضرة الضابط . لماذا أنا هنا؟

نظر له الضابط نظرة طويلة ثم قال:

- ستعرف يا حلالاً.

ظل الضابط يقرأ بعض الأوراق من داخل الدرج الأيمن في مكتبه، ثم عاد يسأل عزمي:

- ما رأيك في معاهدة السلام؟

- أي معاهدة

استد الضابط وصاح:

- المعاهدة بين مصر وإسرائيل يا بشمتنس

لم يجد عزمي حتى نسمة هراء يتلها كي يجيب، شعر برجفة شديدة، لم يستطيع الاجابة إلا بعد فترة.

- أنا ليس في رأي في السياسة.

ابتسم الضابط ابتسامة حيثة وقال.

- لماذا؟ أنت رجل متعلم ومتقف ويجب أن يكون لك رأي

حدث عزمي نفسه «ماذا يريد هذا الضابط؟؟»

- ما رأيك في معاهدة السلام؟

نفضته نفضة من الشجاعة . فقال:

- يا حضرة الضابط أنا لا اشتغل في السياسة.





المغرب

## السنة الجديدة

الحبيب الفانم رين

■ حين أتانا النبا العظيم، ورأت بام عيها عودة زوجها من السجن قبل انصرام أجل حكمه، وضعت سباتها في أذنها واسترسلت في زغردة حريفة لم يسمع البلد لها مثيلاً منذ سنين - وضعت - هي المجهوز - كطفلة، أرثت سواها في الشيا من الغبطة. وتزاحمت



السنة يقدمها التهادي

أشركت عيني بالأم سامي.

وشرع المتطفلون في الاتحاد لزوجها قائلين:

- ميروك عليكم آل سامي.

كيف حدث هذا والحكاية حكاية موت؟ إنها حكاية تتكرر عند

مطلع كل سنة جديدة:

- ميروك!

والآن إليكم أيها الأضياف تقريراً في الموضوع:

أنا الموضع أسأله سامي ولد عويس من زوجته طموحة، أعترف بأنني صويت الطفل من الكيكة الصغيرة وكان مقدوراً أن يسقط ضحايا. كان ضرورياً أن أفتح النار اليوم أو غداً، هذه السنة أو السنوات القادمة، فالله لا يمكنه، بل يستحيل عليه أن يظل مكتوب الدين في مثل هذه الظروف، إنها مسألة تتعلق بالدفاع عن النفس، مسألة شرف يعني، أعترف أن القتل كان ثكراً وإن السلاح كان فتاكاً. لقد أحطت بالعمل إلا أن الضرورة، حسب علمي، تدعو دوماً إلى مثل هذا الإجراء الوقائي. . . تصورا أيها السادة أن تتعرض لطموة، أي أننا أدرأكم من أنا، إلى إهانات تفوق التحمل، وإن يقرر أشخاص بطونهم مفتوحة للأكل الحرام مكان إقلمة والذي: خيمة الأمست. وإن أحصت بدوري من السرفاق في الضاربة مزيداً من الاحقاد والموز. . . كل هذا لا يطلق، وأي عاقل كان سيكون مكاناً لا بد وأن يفكر في رد فعل، في ارتكاس مدبر بدات القسوة. لنفك قليلاً أيها السادة عند هذه المجهوز المدعوة لطموة نت المرحوم الحاج محمود، أمين باعة السكر والشاي من زمانه، كريمة بت كرماء. ونسجها

هب الضابط من مقعده. . وأخذ ينظر إلى عزمي نظرات مستغزة ثم قال:

- أنت متهم باقتناء كتب تهاجم معاهدة السلام وتهديد السلام الاجتماعي؟

استغرق عزمي في التفكير لحظة، حدثت نفسه ومعاهدة؟ وتهديد السلام الاجتماعي؟ ثم قام وقال:

- هل اقتناء الكتب جريمة؟

استطاع في يد الضابط فقال:

- ليس كل الكتب

- إذا كان اقتناء الكتب جريمة فلماذا تبيع في الأسواق؟

ارتبك حاضرة الضابط، شعر عزمي أنه كسب جولة، لكن الضابط قال بصوت هادئ:

- حسناً يا عزمي. . قل لي من أين أتيت بالكتب وبسجلك تمود لينك

- وأنا عائد من العمل ذهبت إلى. .

توقف عزمي عن الحديث، لو ذكر اسم الحاج نبيل فيسبب عليه عاد الضابط يقول بصوت هادئ:

- ثم ماذا؟

تذكر عزمي شيئاً فاجلب حل القور:

- ذهبت إلى دار المعارف حيث اشتريت الكتابين

- دار المعارف؟؟؟

- نعم دار المعارف.

التفت عزمي أنفاسه، وشعر أن الواقع تبدل، فأصبح هو الضابط، والضابط هو عزمي. . . وأخذ ينظر الضابط بكلمة

فأضاه فقال:

- ودار المعارف يا حاضرة الضابط معلومة للدولة، اذهبوا واسألوا المسؤولين فيها.

انزلت يده اليمنى من على جدار المقعد، أفاق من اغفائه، قام ينظر إلى الشقة، وهزول يفتح الأبواب ويظمن لعلم وجود أحد، ثم جلس ويحس وجهه بيده وأخذ يفرك عينيه وهو يقول: اللهم اعمله خير، كايوس مزعج. .

جلس وجهه يحس لله، وقرر في دخله أمراً. . انه إلى مكتبه حيث استرجع كل الكتب التي يمكن أن تسبب له متاعب، ووضعه في أكياس بلاستيك وحملها مع الكتابين، وأغلق الشقة وضبط درجات السلم بسرعة وخرج إلى الطريق العام. ناداه أحد الجيران. . لم يرد عليه. . أخذ يسير في شارع قصر البيل ينظر أمامه فقط، حتى وصل إلى كورتيش النيل. . انتهى مكاناً هادئاً. . وتلفت يميناً وشمالاً. . ثم حل أكياس البلاستيك التي تضم كتب والتي بها إلى قاع النيل

عاد بعدها إلى منزله. . وقبل أن يصل إلى المنزل. . ناداه الحاج

نبيل

- هل قرأت الكتابين يا عزمي؟

- نعم وسأشترتها يا عم الحاج.

- يبدو أنها حارا اعجاباك؟

- نعم. . لكن انشاء الله أول الشهر سأسأله ثمنها لك. . وتركه وصعد درجات السلم عائداً إلى شقته

- شمري سامعك يا بنت عمود واستلي من أفواه الكلاب قوت  
بتلك . لقد بدأ يتجاشى مناداتها يا أم سامي . . . ويروح يلف البلد  
بلا معنى . . . اشتغلت فطومة في البداية (عوانة) حياكة عند زوجة  
ولد الكردية؛ إلا أن هذه الأخيرة يوم دفع الحساب قالت لها:

- يا زمك نصف الأجر، فـ (جميلة) بتك - حقاً - قطعت لـ (بور)  
المكانة بتي سلسلة ذهب . . . و . . . ولطعت - حقاً - من الحديقة  
عقود حصرم . يا حسارة يا شيعة من تربية بتك !

- كفى . ردت فطومة وامتنعت عن أحد أي أمر . وحين دخلت  
على طفلاتها الثلاث، صمت إليها (جميلة)، أحر العقود، وأجهشت  
باليكاه . . .

فيما بعد شغلها - بعد تقبيل عويس للبلدين - الحاج المياويحي في  
حظله بنصف سومة، بدعوى أنها امرأة وتدعى أنه لا يُشغل إلا  
الرجال . . . والبقول فلا أحد يشغل النساء في بلدنا - فتمنتي الأمانة  
أن تشغل المرأة في حقول الآخرين . تحرم فطومة بطما بحبل غليظ  
وتقتل صلاته فوق صلاتها . . . ترفق (البلون) مع الرجال في خرجة  
الحصاد (وتُحطَّل) الأهازج بجلد العيد وما يؤهل أكثر هو تلك  
التعليقات الساحرة التي يستهدها بها الرجال الزرقون، من قبيل

- المرغز، هو أم هي؟ المرغز أعور، الخ الخ الخ  
وبين القبة والأخرى كانوا يطمطمون إلى مستنها الكمانية كما لو كانوا  
يحسرون فيها عن شارب يموأله شفة عانس . . . ثلثت كثيراً وظلت  
تقلع - بل أدل لكم السوات لتشعوا منها؟ يكفي أن أقول لكم لقد  
تخترت صحتها هنا وهناك - اتحنى الجسد الشامخ ولم يعد ينفع معه  
الحبل . فطومة لم تعد قادرة على أي عمل، لم يعد أحد يجترها . حتى  
الانتقال، هؤلاء الذين إطمطمت أمهاتهم، ورييا أرضعت أكثرهم،  
بدأوا برغبة في الحياكة والقيام بحرك الكبرياء، قالت فطومة لعويس:  
- يا أباي . . . إنا أمة الآن لا نأمن مني . . . الوجه ما يقدر يدر مامه .  
أترصني أن أقب في الطريق؟ صدقة هل الله؟

حك عويس رأسه وقال  
- معك حق يا بنت محمود .  
وقرر أن يشغل (سارحاً) علوش، يعني راعي شياه علوش، راح  
يجر رجليه وراء مائة شاة بالتمام، ولعن ديل الزس الغدار . . . وفي المساء  
يعود من المرح به (جماعة) حوم ليعال، الحالة حالة كلب يعني . . . مرت  
الشهور الأولى بسلام، وتأنقلم الراعي مع الأغنام . إلى أن أتله، ذلك  
اليوم، علوش متجهها يتبعه غلام، وقال:

- يا عويس . . . حقاً ثلاثين سمن وحسل . وكيف قال الساس ما  
تعمل خير ما بطراً بس، واليوم، يا عويس، لازم نتفرق كلاب، من  
التمن يتقصي زوج في روج شيله: كانوا في البحر تظلمهم كانوا في  
الساء تنزلم . . .

غاز الدم في وجه عويس، أراد أن يقول شيئاً فحس بجفاف في  
حلقه . وأضاف علوش:

- من الساعة غنمي ما تبعها .  
وأعطى إشارة بيده للغلام ليحرق مهامه الجديدة . أدرك عويس أن  
الأيام تضحك منه، ها هي تسخر له هذا الرجل الذي أخذ أرضه  
ليظلمه من جديد، يريد انتاع حقوقه، ومع الخراف، لم يبق على نهاية  
السنة إلا شهران . . . الخراف التي رباها كما يربي الآباء أطفالهم،  
الخراف التي أطفأها مع بناته في بيته الصغير . . . كل الأسرة كانت

المرحوم بفتى لا يضامه في الرجولة أحد: عويس ولد العربي  
الأشهب . . . لن أحكي لكم عن العرس الذي أقيم على تخوم  
القيطين، ليس شافة من الاستطاد ولكن ببساطة لأنني لم أحضر  
تعريس والفتى بالدي، ولا جرأة في على وضع السؤال على أحد.  
فاندردوي، وحتى إذا رفضت عدي فلن أباكم . فيتنا حسابات  
لا بد وأن تصغي، اليوم لو نأخذ، هذه السنة أو السنوات التي تليها.  
مسكية فطومة - لن أتكلّم عن عويس هنا - كانت رأساً وأضحت  
ديلاً . سنوات المزمرت وتزكيتها أجوع من كلبة حول (سامعني) يا  
أمي، على هذا التشبيه . لا يذكر أحد رفضتها في الأعراس والموايد،  
بل لا أحد يريد أن يذكر ذلك الآن، وأتصد بالأن كل الزمن للتمتد  
بين أزمنة المجد ولحظة وقوع الجريمة . . . كل التفاسلات - يا تاكري  
الجميل - قد أكلن ثريدتها ولقطن بالقمطها الجديدة صغارهن . كل  
مرضى البلدة كانوا يلتصمون في دوائها ويجيربها شفاء ورحمة . . . جروار  
الحلل والسمن كانت تضعها ومن إشارة أهل البلدة والأرض - آه من  
جرح الأرض! - كانت تشبهها لكل باحث من ماء وكلا وقوت عيال.  
بمز عي! أن استرجع ذكرى الأرض وصباح هذه الأرض وكل شيء،  
لأنني أنا المسؤول عن ذلك، فلأنني الذكر الوحيد بين ثلاث بنات،  
كانت عطالي عزيزة وكنت أفضلي . . . تعلمت على حساب البنات.  
ليست الأتواب الجميلة والأنيقة على حساب الأخوات . وحين أؤذي  
الله انحرفت في الحزب ثم الغاية وشرعت في رشقة تروء أهلي على  
كل من هبه وحب ولاك اللغظة الجوفاء . بذلك أمي تتبع أسوارها  
حيفة عن والدي بادي الأمر، وسنح الرافق وكان علي أن أطلب من  
أمي طلياً أحضرها هي بين بيع أرضها أو أن أربي نفسي في البحر،  
أصلحت الجند فصرخت والفتي:

- يبعد الله الشر عنك .  
ووافق الوالد على البيع، وفي كل مرة ياتي السوار على الكفحة  
الأخضرى، صفتت الحسب مع أرض والدي والفتت لدمية على  
المسجورين والبؤساء والدايمات . ثم جاء دور أرض المهد وكان طيبها  
أن يباع أولاً، وكان أيضاً طيبها أن أصطحب الجند في تعديدي أكثر من  
فني قبل . بكى الوالد لأول مرة في حياته وهو يأخذ نفقوا مقابل أرضه  
وقال لي بحسرة:

- شُد، الناس تشتري الأرض ونحن نبيعها  
تلك حكاية أخرى . . . طويلة وحزينة . . .  
المهم (أن عويس)، بعد أن سمات الأحوال، بدأ يبدد لأفلاسه  
مهورات في سلوك فطومة التي كانت تدللي:

- امرأة زقت، عتية ناقصة . . .  
ها هي تلتقط السائل من عمر الجبال للحملة بشياك القمح إلى  
البيادر، بعد أن نهرا (علوش)، الرجل الذي اشترى جزءاً من  
أراضيها، حين وجدها في قفله المصنود تبثت عن سيطر سائل . . .  
قال علوش وكأنيما يخاطب كل البلد:

- الشطاه تريد إغالة أرواحها على حسابي .  
أما عويس الأعرح - سيبت أن أحركم بأن والدي أعرج ولذلك  
قصة لن أرويها لكم أبداً . قلت، أما عويس فكان يذخر غليونه، ويح  
رجله الكسبية، لأعسا كل العالين . فلا أحد يريد تشغيله . وحيه  
يا عويس انقلبت لثائره واستوت الزلافة . هكذا كان يخاطب نفسه  
بأسى . وكان يقول لفطومة على الدوام:

## «التحمية»

سالم حميش

■ سرت متعللاً واجماً استعج على غير هدى  
بين لذة وساحات نقيض بالشر من كل شكل  
وكل عمر. ولما نعت من السير وضجيج  
الناس اشترت بعض المرائد، وحلست في  
عقبي منزول أترأها طوطاً وعرضاً، مسجلاً  
أنها تتحدث بصوت واحد وسمى لا شريك  
له، وإن غفانت في تنوع أساليب البهجة والبيان. وفي سيل الصاوين  
والسلطور المكتوبة عن عبقرية الرئيس العهد وبلحمة ثورته المظفورة  
والمتشوقتي إعلانات ملونة ترف إلى الشعب يشري صدور الكتاب  
الكثافي، وهو مؤلف رئاسي من جزئين يضع لفظة الفريق القهدي في  
أولها نظريته في خلاص الوطن اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وصحياً، أما  
يعمل كخبراء مني ممن: الشعب اللازمة في الحضارة النافعة، أما  
الجبر. الكتاب يطبع بين دفتيه فلسفة الرئيس في الإنسان والدين  
والثقافة، وعظائره القوازي هو: نحن والله. ومكان في المصحات  
الداخلية عضاوين أسرى بارزة تتيب بالمواطنين أن يقيموا عرقا  
عمومية يطعمونها كل السخ التي في حوزتهم من كتاب العهد المائد،  
المعهد الفاسد، هو الكتاب الرفاق، هم رفاق سوء، أشداهم  
الأسبوع، ومن عسى هذا الأمر فتحت به عقوبات تناسب وسه  
وصحته وسدحوه الشهري. والكتاب الكثافي الجديد - تقول  
القصاصات - يتبع الناس في دينهم ودينامهم ويتقدم من مهاوي  
الحيط والشطط والتهتان، ويرسم سيل العلاج والمهدي والرشاد  
ولهذا فقراته أو طلب فهمه فرض عين على كل مواطن، متعللاً كان  
أو أمياً. أما اقتنائه فليس بالبيان - كما كان حال الكتاب الكوموني  
المنسوخ المنسوخ - بل بالقابل، فذاً أو خدعة. وذلك لأن التجربة  
دلت على أن ما يقتني مجاًناً لا تؤخذ قيمته بعين الحدة ويتعرض لتغير  
والإهمال... وعن سؤال من أحد المؤشرين الصحافيين إلى وزير

ترعى غنم علوش، وعلوش يقض عنيه ويتلع حقوق الأسرة  
العقيرة

أيها السادة وصل الخبر إلي، أنا الولد الضال، قالوا لي:  
- جذاً لك. أبوك دماء علوش في السجن وأنتك مريضة وأنتك  
رُعب الخواصل. وأنت تحب حروب العاصمة، أما كفك سراً على  
حدود النشبة؟ ماذا أعطتك العقبة؟ كل رفاقك اختاروا، وأنت أتمر  
الأمر تنزل في هاو لن تطلع منه.

أظلمت الدنيا في عيني، فقلت أروح لعلوش وأسي في كبده  
سكيناً. لكنني بعد أن فكرت ثم فكرت ثم فكرت، أخيراً قررت أن  
أصعد عضفوري سحر. أقتل وأبذل مكافأة، أغنمت مسية أول  
السنة الجديدة - أنا القائد العالي، غيفاراً كما يسموني، وأعلنت  
استقالي من الحزب والقابة وكتبت قصيدة أمدح فيها أولي الأمر  
وأعني بالديموقراطية التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، والمطبعة غابة  
ما يكون الطين في هذا البلد الأمين. تنفمت وسائل الإعلام المرئية  
والمسموعة والفردية القصيدة بترحاب كبير، وتماطلت الدعوات  
الرسمية في لحظور التذوات والمباللات وإلقاء المحاضرات وتدفقت  
الهدايا والشيكات، ومن جهاز التلفزة أطلقت النار: علي وعلى  
أعدائي، أليس الكلام تاراً؟

لم يمكث والدي في السجن، بعد ذلك، ولو ساعة واحدة  
شُغت والدي من مرضها، أحوال لأول مرة وأكلن سر، بسس  
الموصلي. علوش لجب في عيه النار، وأخذ يردد كالمصوم لكل من  
يصادفه أمامه:

عوس لمصونا، عوس منبشنة جلوة. يخطب الشيطان الله  
بلمه.

ها أنا قد غلوت في الشقة الأخرى لتأرجح مائدة تزيين القطة  
والقفر... بالأسس كنت في سنة قديمة، وإيهم ها أنا في سه حديده  
كل الجدة: سنة الخير والنهاه والديموقراطية... أجل - يسود منه  
هو الماتع من ذلك؟ ليسا الرفاق، هم رفاق سوء، أشداهم  
بالسباب، ليقولوا: خالتي، اتحراني، مرتد... طيب وما العيب في  
ذلك؟! ملهم أي بذمت ومرجلة المد العكسي لاستماعة العز الذي  
كان... أكاد أسمع زغرودة والدي فطومة، وأكاد أسمع أصوات  
النسوة يتنصت:

- مبروك لم سامي.  
مبروك علينا هذه فقط البداية ومزال، مزاله!، وكل سنة وأنا

لله وأنا إليه حاتمونا... □

(1) مطبوع من أخيه (بصحية)  
مطبعة

## أعلام الكرد

مير بصري

صدر حديثاً



56 KNIGHTSBRIDGE  
London SW1X 7NJ  
Tel: 01-245 1905  
Fax: 01-235 9305



الدواخل والأخبار حول مداهيل بيعات الكتاب أين سيذهب ريعها وكيف ستوظف، أي الجواب مسهباً مفصلاً داخل أعمدة متراسة ذات جمجمة، تلوك تماثيل مجرور للقراريه الغفر عليها حتى لا يدوخ، وهي من صف: ومما لا شك فيه... ودان كان هذا الاتجاز يعبر عن شيء فإني يعبر... والحقيقة التي لا غبار عليها... والتعلق بأهذاب الشريعة الحقة... والأصناف المشرية الى القائد المهام... وهلم جرا.

وحين وقتت على طبع كل هذا الكلام، علمت أن الربع المذكور سيخصص لعصرنة قوة الجيش الرادعة وتكثيف أعداد حراس الاستقرار والأمن... كما استوفقتني بين المتناوين والسطور برامج الرئيس وحكومته الرشيدة في وضع الأحبار الأساسية وقطع الأشرطة الرمزية وتنظيم حملات التوعية والتحميس في مجال تنظيم الأسرة وتعهد النسل والمحافظة على البيئة الطبيعية، وغير ذلك من الخطوات والإجراءات التي تفجر قرائع المعلقين وتذكي حماسهم في إعلان الطابع المصري والاجتماعي لسياسة الرئيس القصد الملهم لا بد من حماء فاعل لحسناته النافعة المظهرة... حلبات الجرائد على طاولات المقهى وهرت بروحي قل أن يجل ما لا أعهد عباه... توفقت عند مائع ثياب فانتبت جبة وألصق داخلية ثم... والشمس قبل إلى الغيب - قصدت حماماً تذكرت غريباً موقعه، فألقته مفتوحاً وقد كتب على بابيه وقت العمل وخصاص بالرجال... وحين وثقت بيت الاستقبال - وقد كان غاصاً ببرجال يترينون أو يستعرون - اعترضني المقاييس وسهي إلى اقتراب موعد الإعلان... ربح إلى ساعته وقال لي مجرداً... ولذلك نصف ساعة، فهل تكلمت؟ من ع... حيه أدبت لي ثمن الدخول ويعطى لوزام الفضل... ألم تظن لنحو البيت المأجور حيث حملت ثيابي القذيفة وورزمتها داخل سفل... وبيتها الطيدية موفها... وأحسنت عورتي ستر قبل أن أسفل إلى البيت الدافئ... حيث لم أبصر إلا مستحمين متعجلين - ثم إلى البيت السخن الذي كان خالياً تماماً

نصف ساعة غير كافية بالطبع للتخلص مما خلق بي من أوساخ طيلة ساعات حربي المحروسة... وإنذ، لا بد من الحكة... صفقت مراراً متأدياً عليه، فأقبل عليّ ورجل أسود، ضخام الجفنة، فتهني لي في ضيق الوقت وهو يعمر مسطواً بلقاء الساخن ويصفقها بجني: ثم أخذ يستعمل ذلك أطراف جسمي العارية ويفركها صاعياً على الماء من حين لآخر... ولما استكرت كرون الوقت صار يعدد على المستحمين تناول كعب الصابون ومرد عليّ قائلاً: القانون هو القانون وأحسب أنه يعني به قانون منع التجول... لمست نظره إلى أن الناس داخل المهام لا يتجولون، مل يمشون... وأن الخدمات من عداها وطبعتها أي تشتغل طوال الليل، فقال بأن هذا الكلام لا يهيم البيت ونصحي بأن أنقش فيه مع القايص... وقبل أن يفرغ عليّ ماء السطل الأخير ويصرف قال: وأساخك حبات الزبون، فهل هذا حملك الأول بعد عطلة في البحر؟ لا أحب، بل استقممت وفقاً وتناولت سطل ثيابي، متوجهاً إلى البيت البارد حيث استرحت قليلاً ورايت جردناً تتلاعب، ثم خرجت نصف عار إلى بيت الاستقبال، فوجدت الحكاك والقايض متاهين للذهب، فنالت الأولى وريالات، ففكر وانسحب، وحاولت أن أقع الثاني بأن يمهلي حتى أتم اختسالي، ففضض وهددني بأن سيطني الأتوار ويقفل عليّ باب المهام إن أنا لم أخرج معه حالاً... غير أني

استخففت بالتهديد، بل استبطته، وقلت للرجل أن يفعل ما يدا له... وما أن غاب عن ناظري حتى خيمت الظلمة من حولي وسمعت صوت السواريت في أنفالي الباب الرئيسي يا عجبا، ما أنذا وسدي في حلم عومي كاني أكثرته ليلة كاملة لاستعالي الشخصي! فرحتي إذن لأبأس يا، وإن كان يتوش عليها الظلام المثلوث بظلمات الجردان وتبليساتها... تناولت سطل ثيابي بيد وثلاثة سطلو بأخري وسرت أقصر بعضها بعض كيا أعلن عن وجودي وأقهر عورتي حتى إذا وصلت بلائي وتشر إلى البيت الساخن... جلست قريباً من البرمة وعقرت ياتها بسطولي وسطولا أخرى عثرت عليها، فسبحت بها بجالي الخويوي بحيث يستعني اختراقه على كل دابة قاصصة متعنية.

أما الأرواح الجبة والأشباح ذات القرون والأديال فأقول لها: وطزه... ولعلها يا لحسن الانفاق! - صرت بين الفينة والأخرى أطلق اللسان لبعض الحزق الحماقت أو العلي، من ذلك النوع اللبل الخالص بإمكانه الماء والحراة... ورأيت أن لا حرج عليّ في هذا ما دمت في منأى عن اجتماع الإنس.

لا أدري كم من ذكر الحن فاوست وكم من إناتهم غازلت. لكن التزول بين ظهرانهم كان يبدو حتى إشمالاً خيراً هادئاً ويخلو من أي حادث أو مكروه... وفجأة سمعت انقطاع الماء عن البرمة وشرعت باعتدال سخونة البيت، لكن الخزون الحوراي بقي عند الحد الذي

#### ترنصه القس المظتة

وما إن نقي، وأنا مطرح على ظهري، تسبح رؤى وخيالات عبر السحاب المرقع على الجلد وعليان الدم في الشرايين وتوجع الحواس والبصيرة جرحني كلما يبت في صورة نيرة رائعة صبت على وجهي بعض ذلك... ولا أحبها طبعاً في تدفئتها وثيلها... وحين يتم في المسح ألكده أباً لا تنفي إلى علي الحسوس إلا بضدها أو تبالكها (ماتفرغ أو لبتة صنها إن هي إلا مجموع صورنا الثلاثنجة)، إذ ذلك أريج القوقري فأغضض عيني بهتاً عن تسرب في غيمة خيوية مطبقة أو في هي تلمس حجري.

وهنض يا زين شامة... أبهض وانتظري في دكائي حتى أخف بك هذه أول الكليات التي تلتقيها وأنا أسقيظ عيوف الرأس بشطبا رؤيا وعدلت نفسي بلم ششبات ذات يوم وسرعتاها... كانت الكليات تلك لأي السائل أمني يمتز في بيت مبني هذا وقد عاد إليه الماء الساخن وشي من الهوى الكهربائي ووفد إليه بعض المستحمين انتصبت واقفاً وصيحت خالي معتزلاً عا بدرمي، فقاطعي بمعد الله قائلاً: المهام أي وجدنتك بعد أن أرهقتي الظنون حول مالك. وفكرت في أماكن كثيرة تكون قد ابتلعك، إلا الحيام فلم يحطر على يالي، ولو لم يجرى صديق ورك الباردة هنا لما اعتدبت إليك... وأعاد سطل ماء دافئ، ففرقه عليّ وتوارثي فوطه ومفتاح الدكان، ثم انتقلت إلى البيت البارد حيث تنهت إلى أي عمل جنائبة فظهرت موضعها وحفقت أطرافها ولزنت لباسي الحديد... وأخيراً عادت الحيام يلاحتني سؤال القايض المستهتر: وهل حلا لك البيت مع أهل المكان؟! وفي الخارج بين عزاء الدروب وبرودة الهواء ظلت صورة

جسم أبي الضاريب في المزال والصمود تداعيني □

(٥١) روي ولفص مصري دار  
بجريدة النقلة لترتبه عام ١٩١٠  
عن رويته سجنون الحكير.



# الأحداث بلسان الشاهد

عاصم الجندى

ضوءاً مهماً من المعاناة التي تعرض لها معظم أولئك الضباط الشباب في التحاقهم بالثورة، وقد كانوا هم عباد الجيش العربي، الذي غاض الممارك الحقيقية ضد الأتراك، بعد أن كان في البداية، جماعات من اعراب الجزيرة، الذين لا خبرة لهم في العلم العسكري، على تلك المهمة. ويسرد علينا المؤلف تفاصيل مهمة للمشارك، بدقة العسكرية المجرب، الذي شارك فيها وكانت له تجربته المهمة في كل تلك التفاصيل

والذي يطلع على دقائق تلك الممارك، يعرف أهمية الذمم الذي قدمه الجيش العربي للعراق في معاركهم ضد الأتراك والألمان إذ كان الانكليز يحملون على الخط الساحلي من الضفة مروراً بسيناء والسلطان وصولاً إلى بلاد الشام. أما هو الجيش العربي، فقد تولى مهمة القتال في الداخل. ولم يكن للانكليز، بخلاف ما نحاول اشاعة بعض أجهزة الإعلام العربي، أي تأثير عملي في مجريات الأحداث، سوى ما كانوا يقدمونه من دعم لهذا الجيش القوي، تسليحاً وعتاداً وموئناً أحياناً وبضعة ضباط اتصال، رافقوا هذا الجيش، لتسهيل وصول تلك المساعدات. ويبدو أن الضباط العرب، كانوا شديدتي الحساسية، حتى بالنسبة لوجود عدد قليل من الضباط الانكليز بينهم. فكان هؤلاء يتحاشون الظهور قدر الامكان. ويبدو ان الحلفاء - الانكليز، كانوا يخطئون، ومنذ البداية، لفظت نازك تلك الممارك، وترتيب الاسورة لما بعد انتهاء الحرب وكان هناك شعور عام لدى الضباط العرب بذلك، إلا أن الأمور كانت تحتاج إلى الوضوح أكثر.

في إنسان استخدام الممارك، كان الانكليز والفرنسيون والروس، يوقعون المعاهدات الخاصة بهم فيما بينهم، كمعاهدة سايبس - يكو، ومعاهدة بطرسبورغ، التي كشفت تفاصيلها الثورة الروسية، والحرب ما تزال

متخفية أساساً على المرحلة التي جاءت فيها، تستس - تكون التسوية الذي يحتل، حتى ليشمل المرء، لماذا كل هذا الاحمال لها، لماذا هذا الحرف من مجالتيها؟!

فالحسين بن علي، يمثل كل ما في هذه الأمة من نيل وريعية وعتاد مصالي، يكتفي ان تذكر، انه لم يتخرج قيد أسئلة عن مياديه، وان المؤامرة كانت أكثر من امتد - فانتنت حيثما مسفياً في جزيرة قبرص، وقيل ان الانكليز قد قطعوا لسانه آخر ايامه ولم يحتاج إلى البحث والتفكير طويلاً لأنه لم يقبل عن الدولة العربية الكبرى بدلاً، ولأنه لم يسلم على فلسطين عتيدياً. ويسود ان انشاده وأصفاه، مع احترامنا لتطلعات بعضهم، لم يكرروا في مستواه. القوي العربي، اكفى بالسرعة المديح والتكريم له، ولم يعالج شخصيته بما تستحق من الاحكام.

صحي الحرف، الضباط الذي عمل في الثورة العربية تلك، وشارك في معظم معاركها، عالج أحداث هذه الثورة في ثلاثة مجلدات قيمة. فما هي هذه المجلدات؟ وهل تستحق ان تحتل مكانها في مكتبة العربية، وفي التاريخ الحديث؟ لنسأل المؤلف صاحب الحق. الطريف ان مصنف - لوراك الثورة العربية - (1937 صفحة )

كان المؤلف واحداً من الضباط العرب، الذين عاودوا الجيش العثماني والتحقوا بالثورة بعد قيامها وكانوا فئة، نسبة إلى بقية الضباط العرب للثقيين بالثورة، إذ أن معظمهم جاؤوا من معسكرات الاعتقال عند الانكليز، نتيجة لاتفاق بين الشريف وبينهم.

يسدأ الكتاب بمجلة من للمهدات الضرورية للعمل، وجو المرحلة السياسية الدولية، التي أحاطت بالثورة، وهي أمور أصبحت معروفة في الألعاب الأعم، ولكنها كانت ضرورية كمدخل. وتأتي قصة التناقض المؤلف بالثورة، حافلة بالتشويق، وتلقي

أوراق الثورة العربية (3 أجزاء)

مذكرات

صبيحي العمري

رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن

فبراير 1991

■ التاريخ صمو، وثائقنا العربي عتيدياً، بحاجة دائمة إلى اعادة النظر فيه، بعد ان يمر الزمن الكافي على تاريخه.

لماذا؟ لأن معظم التاريخ، خضع، بشكل لو بأكثر، لموسم السلطة، بمعنى الاغراء لو الطاغوت، أو الدين، يا هو مقدسات لا يسمح بالاقتراب منها عادة، ومعالجتها بالقيمة العلمية، أو حتى المصالح الشخصية والميل الحاسح والهموي لدى المؤرخين. وهكذا، ليصبح التاريخ تاريخاً، هو بحاجة ماسة إلى اعادة النظر فيه، على مدى من العقل والمنطق والعقول.

الثورة العربية الكبرى، والتي لم يأت بعدها ما يلي هذه الصفة عنها بعد، كانت البداية، وكانت اللهم والدافع لكل الذين أتوا بعدها، وهي، من هذا المنظور على الأقل، حركة مهمة في مسار تاريخنا الحديث. ولأنها كذلك، فإن العودة إليها، إلى كل ما كتب عنها وما لم يكتب بعد، من حين لآخر، تبدو أساسية ومهمة، في معالجة قضايا امتنا، راعتنا ومستقبلنا

يكني ان نتذكر، ان علمها اسمي علياً لأكثر من ثورة أو دولة فيما بعد. (علم الثورة الفلسطينية، علم البيت وأعلام دول عربية أخرى، مع اضافة نجمة هتا أو نجمة هتاك. شخصية قائدنا ومفجرها، الشريف حسين بن علي، لم تعالج يا هرتان يا حتى الساحة. هذه الشخصية القليلة، بكل ما تعنيه الكلمة، رغم ما قد يكون لنا عليها من

لم يعالج المؤلف شخصية الشريف حسين، بما تستحق من الاهتمام



قائمة، الأمر الذي دفع بالملك فيصل، بتوجيه من والده الشريف، وقيادات الجيش العربي، أن يسارع إلى تحرير دمشق وأخذ زمام المبادرة من يد الإنكليز، والبدء بتثبيت حكم الثورة فيها. ولكن، ما أن حطت الحرب أوزارها، حتى تكشفوا المؤامرة، وكان إعطاء الساحل للفرنسيين، ثم احتلال ميلون، الذي ساعدوا إليه في الجبلد الثالث.

ثمة ملاحظة لابد من ذكرها، فهي سياق وصف المعارك جدياً، بدءاً بشكل أو بآخر، تأثر الكتاب بعوامل ذاتية ما. وهو أمر متوقع إنسانياً، شرط ألا يسطر عن حدود المقول، فهو، على سبيل المثال لا الحصر، حدثنا عن معركة مع الجيش التركي ومعركة الطفيلة الأولى (ص ١٦٣). استطاع فيها مع نفر قليل من جماعته، الانتصار على قوة تركية كبيرة متمركزة في مرتفع، بغضل هجوم قام به، دون أسر القيادة، وتحت تران الأتراك، وانصر عليهم وأسر قائد لواتهم المقدم كتمان بك وعصداً كبيراً من الضباط والجند وفتح منهم كميات من السلاح والذخائر وقد بدأ واضحا أن هناك ما يشبه المبالغة في عرض تفاصيل المعركة.

كذلك، في آخر معركة جرت بعد حلب. وأسر معركة في الحرب الشمالية الأولى (ص ٣١٢). حيث يحدثنا عن معركة مع بقايا الجيش التركي المتجمعة في تلك المنطقة بقيادة كمال أتاتورك، شخصياً، والتي استطاعت رد قوة إنكليزية كبيرة على أعقابها بقيادة جنرال. وكيف استطاع أن يفتح القائد الإنكليزي بالسلاح له بمهاجمة الجيش التركي، مع نفر قليل من جماعته، وكيف انصر على ذلك الجيش الذي ولى الأبدان، ولولا تلك المعركة لظلت حلب تركية.

يسود أن المحاسة والاندفاع وتأثير المخيلة بعد مرور الزمن،ضافت إلى هاتين المرتكبتين بعض المبالغة، ولكنه أمر يمكن اغضاه الطرف عنه، ولذا تيسر بالفوائد العظيمة التي قدمها المؤلف في كتابه ككل، وفي تقديم كل تلك التفاصيل، التي ربما كانت مجهولة بالنسبة للكثيرين حتى الآن.

١٢٠٣ - بين الحليفة والأكسودية، هو نصيب الثاني [صفحة ١٢٠٣]

وهذا الكتاب، يلقي أضواء خفية في الأهمية، على شخصية ولورنس العرب كما

جرت تسميته، والذي انتهى لأن يصبح نوعاً من الأسطورة العجائبة، في أذهان الغرب. فهو في الوعي الغربي - العالمي، ذلك المغامر الجليل، الذي ارتدى لبوس الأعراب - البدو وعاش معهم في صحراهم، أكل زادهم وأشق لذتهم وشاركهم شقق عيشهم، ثم انتهى به الأمر - إلى أن يقوده، في ثورة خدمت الغرب والإنكليز تحديداً، دون أن يدري القائلون عليهم بذلك، وأنهم في النتيجة، لم يكونوا سوى أطفال سلخ ياهو بهم هذا العنصري القسري، المفلس، الأسطورة، ويقوده إلى حيث يريد، وما يرى هو تحقيق أهداف دولته التي ولا تعيب عنها الشمس!

وقد حوت أسطورة لورنس، الكثير من الطرائف والملاحظات التي قدمتها الصحافة العالمية، وسامت فيها الصحافة العربية حديثاً من دون أن تدري خلدمة الأهداف الكامنة وراءها، وكذلك السببا ودور النشر وغيرها من وسائل الإعلام

والمؤلف، التي يلورنس أكثر من يربا وعرفه عن قرب، ويرد نقاصاً، في كتابه الذي سيدخل في عداد الوثائق التاريخية بالنسبة للصحبة لورنس، ولله فيه آراء وتقديراته في الثورة يشهد الإجماع والأسباب التي دعت إلى المبالغة في شأن شخصيته، واضفاء صفات الأسطورة عليها.

فهو، أي لورنس، كان مجرد ضابط ضابط بريطاني ألحق باللجنة الإنكليزية التي يرأسها الكولونيل جوزف. وكان عبقراً في التصريحات، وقد سبق له أن زار سورية في بعثة لللائز، كما عمل في سيناء موفداً من قبل تلك البعثة. ولكنه ما يتقن اللغة العربية اتفاقاً كسلاً، وتقلت الكنتنة الأجنبية غالبية على حجة. كما أنه لم يرتد لباس اعراب البادية، والباس الذي كان يبدو فيه، إنما هو لباس أهل المدن في الحجاز، وقد أهداه إياه الأمير فيصل في أول زيارة له إلى مقره في بادية انعطالة الثورة. هناك صورة انتشرت في الصالح على أنها للورنس باللباس السعودي، ويؤكد المؤلف أنها لشخصية في آخر مراحل الثورة في مدينة حلب) الأمر الذي يبين ضرورة مراجعة كل شيء حول الرجل، حتى في صورته ولباسه وما سوى ذلك.

لقد كان دوره الأساسي، أن يكون ضابط اتصال، كشرائط سوسة في الثورة العربية.

وربما كانت أبرز ملامح تلك الغيام بها، حين أرسلته القيادة العتية، للاتصال بالجنرال الثاني في مصر طلباً لبعض مستلزمات الجيش، لدى المهمة بنجاح. وقد أشاع عن نفسه بعد هذه الرحلة، أنه العنصر الأساسي في نجاح عملية العتية، وأنه المحرك والمخطط لها. علماً أنه، كما يؤكد المؤلف، لا يتم بأي دور عسكري في الثورة، وقد كانت خبرته ومستوى تدويره لا يؤهلونه لذلك، وكل ما قام به على هذا الصعيد، المساهمة في بعض الضغبيات على خطوط السكة الحديدية فقط. وطبعاً، أنه قام بدور أكثر أهمية، حين ذهب ليحصل إلى مؤتمر الصلح في بولس، فشكل بمرافقته وترجمته له.

حتى قصة وقوعه في يد الأتراك بمدينة درعا، واعتداء الضابط التركي عليه جنسياً، كذبها المخابرات العتية، وأبرؤها، أنه لم يكن في تلك الأيام التي ذكرها لورنس عن المعادة، جيش تركي في المنطقة التي ادعى الاعتداء عليه فيها.

ويرى المؤلف، وهو حق في ذلك، إلى أن الغرب، ومن ورائه الصهيونية العالمية، أرادوا أن يقللوا من شأن الثورة، ويروها الكبير في انتصار الخلفاء، الذي كان يلتقي مع أهداف الثورة لتخلص من الأسطوري. فعملوها مغامرة شخصية لغمار اسطوري هو لورنس. وأن الفضل، في كل نجاحاتها، وفي طردها للأتراك والانتصار عليهم وتحرير الجزيرة والشمال السوري حتى الحدود الحالية مع تركيا (بإستثناء لواء الاستكبدون الذي سلمه الأعراسيون إلى تركيا فيما بعد). هذه الانتصارات، التي أتت بفعل لورنس، وعلى يديه، وأما العرب، فلم يكونوا سوى مجموعة من الأعراب المستسلمين وراء قائدهم الأسطوري لورنس. مع التركيز على الغاء دور الجيش العربي النظامي، الذي تكون منذ بدايات الثورة، وحقق معظم انتصاراتها.

فلورنس بين الحليفة والأكسودية، الكتاب - الوثيقة لصبيح يستحق العودة إليه، لاجلاء الغموض الذي أحاط بشخصية لورنس، وبالظروف الدولية والصهيونية التي صنت هذه الأسطورة.

١٢٠٣ - نهاية عهد، هو نصيب الثالث [صفحة ١٢٠٣]

ويسلون، هي المعركة التي خاضها الجيش العربي، فلول هذا الجيش في الواقع،

## يسرد العمري تفاصيل المعارك بدقة العسكري المجرب

٣١



العظيم - عمل عظيم يجب أن يخلده التاريخ، (ص ١٦٨). وفي حاشية المؤلف صفحة ١٥٠ يقول: «والقدم محمد حسن الهندي، هو قائد اللواء الذي قاتل في ميلسون، وهو القائد الفعلي الذي انتخب موضع الدفاع وعبأ القطعات وحسن الموضع. وكانت بأمرته جميع القطعات التي تركزت في موقع عقبة الفلين غربي عين ميلسون من مدفعية ومشاة ومتطوعين. وقد بقي هذا القائد صامداً في الموضع حتى لم يبق معه أحد من الضباط سوى جندي. وقد شهد له بذلك، وبأبداه من شجاعة وأخلاص، مرافقه الذي بقي معه إلى النهاية، وهو الملازم جميل اليربوعي (العميد فيها بعد) صاحب المذكرات المخطوطة عن معركة ميلسون».

والقدم الهندي كتب مذكراته عن هذه المعركة، ولكنه لم يطلع عليها أحدٌ كي لا يسيء إلى سمعة الكثيرين (١) ولكن ابنه الأستاذ فاروق تكرم علينا بها.

والرحوم الهندي الذي توفي في سنة ١٩٦٠ قد كان مقدماً مرموقاً في الجيش التركي، وهو من الضباط العرب الذين كانوا يشعرون بوقوتهم وبجاهدوتهم بحق العرب ووضعمهم السليم مع الأتراك، وكان من المتسبين إلى حزب العهد العسكري الذي أسسه العقيد عزيز علي المصري، وهو من جملة الضباط الذين أوقفهم جمال باشا وأحاطهم إلى ديوان الحرب العربي في عاليه، وشنت منهم العقيد سليم الحجازي وتطفي الحافظ وقدر له التخلص من الأعدام وأبعد.

هذه النقط، تحديداً، حول نحاسي إبراز دور يوسف المظنفة في معركة ميلسون، والتركيز على دور القدم الهندي، تأثير أكثر من تساهل. إنها قضية مرشحة للجدل. من كان القائد الحقيقي للمعركة، الهندي أم المظنفة؟ وهي تشدني البحث عن شهادات من شهداء تلك الواقعة، إذا كان قد بقي منهم أحد حتى يومنا هذا.

نعم أيضاً أن هناك مذكرات ما تزال مخطوطة لليربوعي، ومذكرات للهدي نفسه عند ابنه لم يطلع عليها أحدٌ في حياته، فلماذا لا ننشر هاتان الشهادتان إذن؟ وفيها، ولا ريب، ما يزيل كثير التباس حول معركة ميلسون، التي هي، معركة أمه وشعب، في نهاية التحليل، وليست معركة أشخاص

الأمم الملتق، في كل ما قدمه العربي في كتابه عن ميلسون، أنه لم يأت، إلا قليلاً، على ذكر يوسف المظنفة، قائد الجيش العربي آنذاك ووزير الدفاع، ونسمن، جميل الأريغيات والحسيات، ارتبطت المعركة في أذهاننا بيوسف المظنفة. حتى أنه، في مرده لتفاصيل المعركة، جاء فقط على ذكر استشهاده بصفحة ونصف الصفحة (١٦٧ - ١٦٨)، تحت عنوان: «استشهاده الوزير العريق هتا، أننا عرفنا أن المظنفة قتل بطلقة من مدفع دبابة عيار (٣٧) وليس بقنبلة طائرة كي أروحي للجميع خصوصاً لوجود هيكل طائرة في النصب الذي أقيم على قبره في ميلسون».

فهل كان الانصباب في ذكر المظنفة ناجماً عن عقيدة ما عند المؤلف، فدفع به إلى ذلك، لم أنه، في إقراره الموضوعية، لم يشأ أن يعطي للرجل أكثر مما له، وقد ركز على دور الضباط الآخرين، خصوصاً امر اللواء للقدم حسن الهندي، الذي كان آخر الشحيين، والذي يقول عنه علي الشبان «مرافقه الضباط جميل اليربوعي: «هذا أعظم مدافع الفيلد... لم يقل أن يترك الجبهة فني... بل سرح أن يبقى لوحده متحرراً في القضاء مع ثلاثة جنود. أمرني أن أنصب قيله من مركز القيادة لأحيي تفهرو. ما أنبله، ما أنبل هذا القائد

## تلقى المذكرات أضواء مهمة على شخصية «لورنس العرب»

الذي سبق أن أعلن حله قبل المعركة بأيام، يطلب من الجمار غورو، على أن يحول ذلك دون تقدم جيوشه إلى سورية واحتلالها، وعلى أن يكون ذلك الحل مقدمة لبدء مفاوضات جديدة. ولكن النتيجة كانت غير ذلك، فقد تقدمت قوات غورو باتجاه دمشق، تحت عشرات المدافع، الأمر الذي دفع بالقيادة العربية أن تحاول جمع ما أمكن جمعه من القوات والمتطوعين وإرسالهم لمقاومة الجيش الفرنسي المنتظم، المتحارب بما لا يقاس، بالعديد والعتاد والتدريب. وبهذا قول حول تلك المعركة، التي هي انتحارية في الواقع، فإنها، هي المعركة التي سجلت للتاريخ أن المحتل لم يدخل سورية دون معركة.

وكتابت الحميري، بروي لنا حتى أحق التفاصيل حول تلك الواقعة، تفاصيل، وبها كانت غالبية عنا. كيف لا، وهو العسكري المتمرس، والذي غاض معظم معارك الثورة، وشارك في ميلسون نفسها.

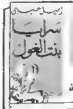
وبالبارز فيها قدمه الحميري بكتابه «ميلسون» فحجته العلمية، والتي يضع من خلالها والأمور في نصائبها، بعيداً عن الضجة الإعلامية - الدعاية، التي قد تكون جاذبة قبل وإنسان المعركة، ولكنها لا تجزأ إطلاقاً بعدها، لأن ذلك يدخل في حدود تزوير الحقائق التاريخية

### صدر حديثاً

#### السلسلة الروائية



البلدة الأخرى  
إبراهيم عبد المجيد



سرايا بنت الفول  
أميل حبيب



آخر الملائكة  
فاضل العزاوي

فهل كان، ما يشبه الأفعال لدور يوسف المظلمة، ناجماً عن حالة شخصية لدى المؤلف، أم أنها الحقيقة وحدها، قد أسلمت عليه ذلك؟ هذا هو السؤال...

بغض النظر عن كل شيء، لا نستطيع إلا أن نؤكد أهمية عمل صبيحي العمري، وقد غادرنا لسنوات، في كتابه هذا، ولي كتابيه

الأخوين، لقد أساء الرجل، قبل رحيله، جوانب عامة في تاريخ ثورة، لحقها الكثير من الجور والإهمال مع تقدم الزمن، وهل أجل من أن يقدم الإنسان شيئاً ذا قيمة، لأسمة وشعبه قبل الرجل؟! مذكرات صبيحي العمري، هي مذكرات مثيرة للجدل، وهذا وحده شهادة لصالحها. □

## نوايا طيبة ..!

### ابراهيم اليوسف سورية

إن القصة الساخرة، ليست محاولة لتقديم نكتة... ولا هي جمع بين نكتتين... أو أكثر في قصة قصيرة، وليست كذلك محاولة نقل الصورة الساخرة التي يتناقلها العامة (أو شركة) مجرّدة من هيكلية هذه العلامة لما خصوصيتها قريباً أو بعيداً... ضمن تركيبة هذه العامة نفسها، تلك لأن القاص الساذج ليس مثلاً، مكرراً على ما عليه من المألوف، حقيقة مرة أو عذبة، بعض أناس الشعارات لا تتشال البسمة الساذجة، الساذجة مضيق الوقت، فالقاص الساذج ليس مخرجاً، ولا نكتة

إن القصة الساخرة هي تلك التي تفي بعد ترجمتها إلى لغة أخرى... محافظة على روح الدعاية الأصلية... فالسخرية لغة كوتونية تجلأ كالنكتة بكثير والرقص والموسيقى، وهذا فننا للأسف نشطب على كل ما تساهلنا معه إلى حين متعبرين إياه نتاجاً قصصياً ساذجاً... إن التورتات في قصص عبدالحليم، تجري وفق حط يأتي رتب للفسافة، بل هابط... عادة، ليس ورامها هذات فتية عالية، وهو يستعص من جمل هذه المرات بجسلة من الأمور، أبرزها جنح الحدث إلى التلذذ من خلال تقديم شخص غير سوين غالباً، وتحميل اللغة أكثر مما هو منوطٌ بدهورها في الحطاب القوي، فالحدث متشظّل على اللغة... التي هي غارقة في حلوسة خادعة، كما أن - عبدالحليم - يسالغ في التعكّر على شاعرته في محاولة لاختراع ملامح هنتا كثيرة تشكل فتية القصة وتلبس مفهوم القصة...

### الرجل الحامل مجموعة قصصية عبدالحليم يوسف اصدار خاص - دمشق ١٩٩١

■ وأنت تلقي النظرة الأولى على العمل الأول المطبوع لعبدالحليم يوسف - الرجل الحامل - تعتقد أنك أمام كتاب مصوّر للأطفال، نظراً للحجم الكبير غير العادي (١١١) للكتاب، وترسم هذا الظن أكثر وأنت تقلب صفحات الكتاب التي جاءت بالحروف الكبيرة إلى برهة، وهو يجمع يرسوم ولوحات أحمد معلّا التي لا علاقة لها - على الأغلب - بأجساد القصص، فهي ١٠٣ لوحات للدرجة أن بعضهم يعتقد بأن الكتاب عبارة عن ألبوم ومجموعة قصصية للكتبت والفاكس معاً

عبدالحليم يوسف، يؤكد دائماً أنه كاتب قصصي لا علاقة له بالسخرية، بل أن لديه أحياناً بعض الأقاصيص الساخرة، لكن قراءة أقاصيص مجموعته تصعب نواياه، وتبين شعته بمحاولة تقديم قصص ساخرة، وإن كانت أوارته لا تسفقه كثيراً... عبدالحليم يبحث عن التليّز... وهذا ما قاده بالتالي إلى الاهتمام بمسائل جد ثابوية، بدلاً من عزاز الكتاب (الرجل الحامل) والذي يدعو إلى الدهشة... برأيه!! وإنتهاء بالأقراط الأخرجا... والذي يتم عن عقدة البحث عن التليّز المذكور... وسوى ذلك.

### ليست القصة الساخرة محاولة تقديم نكتة

إن هاجس البحث عن موطىء قدم هو الذي يسبق لحظة النص عند عبدالحليم. لذلك، فإن مساحة القصة تحتل شريطاً لغوياً أو زمنياً، متبكة وواشئة برغبة الرقص خلف التهايز، المحكوم بحصول الأصوات الأخرى بإجلا... تلك الأصوات المتداخلة أحياناً والتي تستطع الظهور ما فوق اللغة التي تحاول تشكيلها وتلون بها على طريقته الخاصة، بيد أن خصوصية البيئة والأساء والرموز تغذله ويحذلها... في نهاية المطاف لا سبياً عندما يبرز الصوت الأسبق عن قرب بمكوناته، ونزته... فهو لا يعتقد بالرمز المحلي الذي يشر على يديه، وظل مصعباً... مستغلفاً على التلوي، فالحملة لا تعمم... أن الطبلخ التنوري، وهو منسوب إلى قرية تدعى تنورية... لا يسيل لعاب إلا جزء قليل من سيقان الرجل الحامل...

إن القصة القصيرة ينظر عبدالحليم هي مساحة موقوفة على الدهشة والسخرية... فحسب، حتى وإن استمدى ذلك الاتصال... فالدهشة ترتقي لديه إلى درجة - الفانتازيا - التهميمية حيث نجده مصوباً... وأخيراً... وحتى عاويص قصص عبدالحليم توصّل الفانتازيا (مثلت بأربعة أشخاص - عطلة الأركسجين - الحبة الخ)... فالدهشة تتضاعف لديه مع هذه الفانتازيا كذلك أن النهاية في معظم قصصه فانتازية أيضاً... ومفوق هذا وذاك... أن الشرط اللغوي برته - معتمد - بهاء السخرية الذي لا يتطرق من القصة دائماً... أن صوتي غوروك يتحول إلى بداية القصة إلى كائن يمتشي على أربع، متزلاً... يقضم الأعشاب... يقول شبيب الحليفي: أن امتصاع كائن بشري إلى قرد في ألف ليلة وليلة يختلف كثيراً عن امتصاع سم آزاد في الرش إلى ابن أوى وخرغوري ساسا إلى مصرعوي سخيم في مسخ كاتكا إن شخصية - بكاس - الذي يندو بسرعة في (فقهام الظلام) لسلم بركات وبعض شخصيات كاتكا (غريغوري ساسا في (السخ) وكذلك شخصيات زكريا نامر تكرر في قصص مصرعوي سخيم، فأطلالة تطل عليهم أطوار غير طيبة... وغير موفقة (مصع شعر العائش أبيض محلة في قصة «فيكيل العظمى لعائش») هذا العائش الذي يتحول إلى شبح ذي لحية طويلة يتمكّر على عصا في منتصف

قائمة امراض المستعصية.

أبطال المجموعة - يحملون عقداً مرضية  
عظمى تجاه المرأة، فهي دائماً خزون..

وفي... بل سبب في فجاجته أبطاله، ان  
تساول مسألة الجنس في هذه المجموعة..

نزق، والمرأة تحرك حياة البطل والسبب في كل  
دمعة عين أو تهنيدة أو معاناة.. كما هو مفهوم

الجنس هرويداً.. ان تلك المرأة التي يتخالف  
رقبة، عذبة.. ليست في البداية إلا كتلة من

الحرق المقرقة والمتحدة في المفهوم الحليمي  
صاحب المجموعة بغار بقادة الرمر عبر

مشروع اعتباطي، استغراقي، كذلك في  
قصة «ما جرى في العام ٢٠١٤» يوم زفاف

الطفل يليس كل المدحون السود، ليرفع  
الأكليل الأسود من وجه العروس الأسود،

حيث يترفع نجوب النسوة على صوت المغني،  
فجيزة تعجب الجميع: «البقية في حياتك»

(ص ٨٥). وفي قصة الهيكل العظمي  
للعاشق، تورط الأثني عاشقنا الذي يكتب

إليها ١٥٥ رسائل وهو بعيد عنها، بعد ان  
تعرف في الاغرى ببعضه له.. كي تحببه..

السبب الذي يودي إلى تقسيم جسده، وتحويله  
إلى قطع لحم متساقطة تنهت وهيكل عظمي..

ان يحبك.. لحوي النسوة في حارة الملاهي  
وسواها (قصة حب بلا أربيل) يدخل إلى غرفة

عروسه ليرفع (كذلك) عن رأسها طرحة  
الأكليل ليشعاعاً (مطرحة) أخرى..

فأعزى.. فاعزى.. دون ان يظهر الوجه  
الذي يتوق إليه..

نمة تحن في قصص عبدالحليم المرأة  
وقلياً تجد امرأة جملة يقبل قتلاها من المنة

(ص ٦٨)، فهي سبب كل اشتكاسة  
واحباط، انه لا يتق بها قط، لأنها عنده

ياحتصار العنصر الأكثر شرراً.. وهو يتورع  
لسبب أو آخر عن تقديمهن إلى حيلة قصته

إلا من وراء ستارة تحجبهن، بحيث ان أية  
واحدة منهن لا تشغل طولة قصته بشكل

مباشر، بل ابن مشوارات بعيداً...  
مهمتهن هي ان يدفعن بأبطاله إلى التهلكة ثم

يفتنن.

القصة القصيرة عند عبدالحليم تنس  
مهمتها غالباً، ذلك لأنها تنرق في فعاظت

وبرجرات وتوشيت، ريبا بغرض الرواء لبيئة  
التي يبلغ حداً مرطناً أوتى بمفهوم القص

عنده، فالعروف انه ليس من مهمة النص  
القصصي ان يؤرشف البيئة وشخص، وان

الحمار الأبيض) يشبه إلى حد كبير راوي سليم  
في أعماله السروية، لا سيما فيما يخص شغفه

بتصليب الحيوانات والطيور.. وهو كذلك موع  
بتقديم الشفاء غير السائد بغرض تجميعه

ونمذجه، بدافع نية رصد الواقع.. إلا ان  
هذه الشريحة الأثيرة، فيما لو جاز لنا توسيعها

بالشريحة... ليست متحصرة من عناصر  
مسلولة بل على العكس، مستغلة إلى

مصرح لا يمت إليها صلة.. إنها أرواح شريرة  
وعريسة، تلفيقية.. يكسبها صاحب

المجموعة.. وعلقتها على هراء.. فيما لو  
استشينا شخصية.. عمو.. التي استلهمها

الكتاب من التراث في عبارة دكية للاستهلا  
من عملية الاسقاط، وتوثيق ذلك من خلال

تجديد زؤمية قديمة!!

ان اساء الشخصوس هي بالذات شاذة!!

وهي الثابت عظمي في أكثر الأحيان تطلق على  
شخصوس غير متعطين لا يشكلون أصلاً حتى

يجرد هؤلاء جد صغير، ان يسيلورافيا  
عبد الحليم عبر مقالة... وأشخصاه لا

يشكلون أي مصادراً لأي علاقة مع قارئهم. ان  
أجداً لا يصعب الكتاب من قارائه للانداء على

غريبه.. ولكن ان يصح لنهات وز  
المدحج الشفاء، فالأصول تكثر على ما

المرضي يفرض تقليم المغاير، فلكل هي  
بالتأكيد ناجمة عن عقدة عدم الثقة بجاهها

مكان للذات في الساحة الأكثر رحابة.

قصة عبدالحليم.. غالباً.. تنبع بكم هائل  
من الشخصيات، فالأصول تكثر على نحو

انفلاخي في القصة الواحدة.. ثمة (فتجانو-  
الحذاء- البوط- الحزمة- الزوجة- الراوي-

في (السيرة الذاتية لحذاء) والتي هي بحث سيرة  
ذاتية لصاحب هذه... كذلك ان صاحب

المجموعة يحمل شخصيته أكثر مما تتحمل من  
أفكار (ان فتجانو بائع القهوة- للمغنون-

الذي لا يميز الحذاء الجيد من الرديء- والذي  
يشره بائع الأحذية... ) يرد: يا زمتاً أوطأ

من انسان.. ان شكل الحذاء يشبه وجه  
صاحبه، وهذا ما يتطلب كل شخصية

حبيكو الذي يتحدث عن أحلام القطة  
وعلقت العيسارات ذات العيار الثقيل...  
والتي تحمي في غير عملها: «دمراً للأنثى»-

إنها أحلام بقطة بعدا مرضى جديد أفسقه إلى

الليل (ص ٧٠). والصوتي دولايب يتحول  
إلى حمار في قصة دولايب الصوتي دولايب. وفي

قصة «ما جرى في العام ٢٠١٤» بكير الأخفان  
برمتهم على نحو بيكاسي (نسبة إلى بيكاس

الأنف الذكري) ليشتعلوا بصنع عكاكيزهم  
كشيوخ طاعنين كل السن.. ان النصور غير

الطبعي عند سليم بركات هو لحظة افتراضتها  
مية وطمية وفقهاء الظلام وها دلالاها خارج

النص الروائي، وهي مجرد حيلة أو مبرر فني  
عند هذا الكاتب، بيد ان عبدالحليم يرى في

هذه العرائية كل شيء.. انها استراتيجيته  
الفنية.. لدرجة ان زلعه بالدمعة يودي به

إلى الاستفادة من التشويه الذي يتم عادة في  
المرحلة التشكيلية، كذلك الصوري قاروح

الذي يتضاد شيئاً لشيئاً إلى ان يبقى لحبة  
زرقاء طويلة تظهر تنصعب مكتسة ملتصقة

بالسواد. وكذلك فإن المجموعة البشرية في وما  
حدث في العام ٢٠١٤ تتحول إلى مجرد أذان

وعيون متلاصقة.. نيت هم أذان تلتقط عدد  
مرات الشيوخ والزوبر (زخم جمالية دلالة هذا

التشويظ.. كما ان نهاية القصة عند  
عبدالحليم متكررة، واحدة، وان كان يحاول

التعبير عنها بأشكال مختلفة تناسب طبيعة كل  
قصة، لكنه... يحكم عليها من الخارج..

وهي براهك كل شيء في العمل الفني.. وان  
بناء النص مكرس من أجل هذه النهاية بعدد

ذاتها.. فهي قصة صقل مع مزاريل تعود  
الجلدة إلى الحيلة بعد موتها الثالث التي تلا

وقودها في المصد ليرة كاملة.. وفي قصة  
دولايب الصوتي دولايب، تنمو للصوتي أذانان

كأذن الحمار. كذلك ينتهي الصوتي حد الله  
في قصة «رجل متدد الأيدي» إلى هيكل كائن

غريب مرعي يقرب الرشف، متضخ، وقد  
نيت له أبعاد كثيرة في كل مناطق جسمه على

نحو- سليم بركات.. أيضاً.

شخصوس عبدالحليم عبر أسوءه،  
جاهلون.. لا يثيرون التعاطف والشفقة..

مهلوسون غالباً (ما حدا شخصية روتو  
المتضخ) محكومون بجبرية سيئة - مدفوعون

جسدياً - بمحركهم صاحب للمجموعة لحش  
حرم الحرم التايوي بشكل عصفي، كذلك هم

بالتالي امتداد لشخصوس سليم بركات في أعماله  
السروية والروائية... ان يالو في (رفسات)

للمنى وتقديمه، إضافة إلى القافض للموى  
استمر، حيث يمكن إيجاز قصة ذات  
صفحات أربع في نصف صفحة دون أي  
إحلال صبة الفحص بقول: «ومالكى بدور  
حوله كتيك شيق حولها حاجة عفيفة طبعاً  
أوردنا القطع حرفياً كما جاء في قصة (السيرة  
الذاتية لحذاء) وكان عليه أن يقول: ومالكى  
بدور حوله كما بدور ديك شيق... الخ.  
وكثيراً ما الأمثال أو الجمل التي نستطيع  
أن ندل بواسطتها على ركافة النصوص، مما  
يدفعها إلى القول أن قصة عبدالحليم هي  
مشروع قصة؛ فهي بحاجة إلى إعادة النظر  
والترتيب بقية النصيح أكثر. □

وتصويتها لا سيما حيناً تم هذه العملية  
بشكل روي...  
واقعد على خيلك احسن لك، وتام في أدن  
نوره وشيخنا تحت إبطه... أو دلم يلحظه  
الله... ه... ان فهم مثل هذا الوروث يظل  
على أي حال ضمن إطار ضيق ومحدود.  
فبعدالحليم يرقن اللغة بأكثر مما هو دورها في  
الخطاب الفني والأدبي، فالحدث عبر المنطقي  
غير المستساغ البتة. متطفل على أداة وحيدة  
وقاصرة لديه هي اللغة نفسها، كذلك هو  
يعتكز على شاعرية اللغة أحياناً بشكل  
مفرط... ان بناء الجسملة لديه، هل  
ويؤكك... غير واضح... لا يستغنى التهور

البيئة هنا هي مجرد عنصر في مخبر كبير... لكن  
الذي يجلد عنده عبدالحليم هو انهك  
الأحداث والشخصيات إلى درجة الانحلال  
المعنى يدعو لتقديم البيئة... ان القصة  
عنده تؤرخ وتؤرش وتترج لأن تكون ماعه  
مغلوبة عن تراث وفلكلور حام ورجب...  
وهنا تماماً يكمن «الطبع الأكثر خطورة»  
فلا استطاد هو الوسيلة التي يتنوع بها التريبط  
للغوي... لدرجة أن الحدث هو بضابها  
هلوسات وتذاعيات أفكار... كذلك في مجموعة  
عبدالحليم ثمة قافوس جديد للشتم، وعلى  
بحر مسالغ فيه وملفت... إضافة إلى  
الاستطاد المل... في قصة «حب بلا  
أرجل» يتحدث عبدالحليم عن كل تعقيدات  
بطنه الغرامية، ليؤكد بذلك على شلوته،  
وكان ممكناً دون الاستعانة بكل وسائل الادانة  
لايات ذلك، حيث في هذا الاستطاد ثمة  
استطالات وانفاسات سرطانية وسواشي  
تقليدية وزواله دودية.

## تبوك: أرض الحكايات

بلال خبيب

السؤال ذا معنى الآن حين بطراً ما يجعل من أمر  
شخص ما، ماثر حديث جديد. هكذا يتألف  
الكلام في الأحوال العادية من جمل مختصرة،  
لا تنسيه بشيء أو تخبر عن حال، لكن  
الكلام يتجدد ويصير دافقاً، حين يتشارك  
المتكلمين الاهتمام بموضوع بعينه، الكلام  
يتشكل فقط عندما يستطيع لزمه ان يسر  
لحدثه بجديد يفترض ان يحدث له يعرفه، ولم  
يتس له التعليق عليه، لذا يجيب فاروق عن  
اسئلة أم اساهيل، أجوبة مختصرة، فيقول ان  
فلاناً أصح، والآخر تزوج، والثالث طلق،  
وقلانة سمع عنلها أولاد، لأن أم اساهيل  
التي لا تعرف عن أقربائها ليس يساهيل  
ان تدرك، أحمية ان يقل لها، ان الذي مات  
متلاً، كان يتنزه على الأحاد في الحفل، أو امه  
كان لا يشرب لبناً، أو أن التي تزوجت شح  
قراة الفصانج، فهذه الأخبار والتفاصيل  
الصغيرة لا يهم إلا القريبين القريبين، لأنها  
مادة الحديث اليومية لديهم.

كثيراً ما كنت أعجب من قدرة البعض على  
إخبار تفاصيل عن مدينة أسكنها وأعجز  
شخصياً عن إخبار أحد عن ساكنها، في حين  
ان البعض السنين يزورونها مرة أو مرتين،

البيئة الأخرى
رواية
أبراهيم عبدالحليم
روايات الرقص للكتيب والنشر لتدب
قبرص ١٩٩١

## في الرواية عين زائر متفحصة

■ حين تبدأ أحداث رواية إبراهيم  
عبدالمجيد، يكون بظلمها اساهيل موسى، قد  
وصل إلى ترك المدينة السعودية تالياً من مصر  
للمعمل فيها. تبوك المدينة الصغيرة تبسو مند  
مدانيتها لزمه الرواية، انها مدينة لا يعرفها  
قيلاً ولا يعرف أهلها، وصلته بها تقتصر على  
صلته بالقرىب الوحيد «فاروق» والذي يعمل  
فيها أيضاً، والذي يرتبط به اساهيل ارتباطاً  
هشاً، لا يتجاوز صلة القرابة بين الأهل  
الذين يواعدت الأيام فيها بينهم، فاصبحوا مع  
الأيام مجرد اساءة في أحاديث عابرة، أو اسئلة  
تساها والدة اساهيل لفاروق، لا يلبث ان  
يمررها عنها باختصار من يعيش بين هذه  
الأساءة ولا يسمع الحديث عنها أو الإخبار عن  
أحوالها، إلا بأحكام قيمية عامة، هي تلك  
التي تميز الأوجة في كل حال، لذلك لا يلو

في السيرة الذاتية لحذاء... مثلاً... ثمة  
حشو هائل... للغاية، كذلك ان حجبكو  
يتحدث عن تصميمه على الزواج... وسرد  
تاريخه مع حارة اللالاي ويذكر كل صوبحياته  
بالتفصيل «حبة» سرين... اسة قاتسو...  
وسواهن... إذ يريد عبدالحليم ان يقول كل  
شيء، ربما لتختلف هذه القولات موقفاً سائراً  
ولو بالمصادفة... فهو في هذه القصة بين  
صعوبة زواج الشاب الشبلي من غلال  
حسابات وأرقام أكثر مازكوية وهو  
يتحدث عن مهم صعبة يصعب بها حتى  
الريسورتاج الصحافي، فالحدث المنسب  
والفهم عن المعانة مع عامل مقسم الخائف في  
المدينة، أو طابور الحيز أمام الفرد، ليس  
مكانة قصة قصيرة... بل يبعد المتحدث عن  
ذلك إلى برده شكوي المواطن في أية جريدة  
رسمية يومية. 11..

إن الكاتب من يتنوع من أمر اللغة الأم،  
وكذلك هو لا يوفق أخيراً في مسهر  
مخصوصيات لغة يفكر بها... في اللغة التي  
يكسب بها، ان الخروج بلغة ثالثة، عملية  
تفرض أصلاً التصلع بأسط قواعد هاتين  
اللغتين لتكون يحق اغناء واختصاصاً قد  
يسجلان خصوصية لصاحب المجموعة.

إن ترجمة مباشرة، حرفية مثل شعبي أو  
حكمه أو قول مأثور من لغة إلى لغة أخرى لا  
يفي بالعرض، لأن لكل لغة ارتها وسياها

لا يكتفي إبراهيم عبدالمجيد، بتسجيل الوقائع، وأنتد الصور شأنه شأن الساتحين، بل يحاول أن يصدر أحكاماً تساعد في استقرار بطله اسماويل، لذا يحاول اسماويل ان يسر عنه عايد نجاحه، وكسب ثقة أرشد، وصرفه أحوال مصوره، إنه باختصار يريد التعامل مع هؤلاء الأشخاص جيداً، يريد ان يستقر لذا ينحو نحو إنشاء علاقة معهم، إنها علاقة الغريب بأهل الدار، سابق عموم نحو الإنسياء وكسر شوكة الغريبة، وحذر من الأخطاء التي قد تؤدي إلى تأخير استمساجه بهم، لذا يتناقض مع إصرار الآخرين، ويتردد أمام لاسلامهم به، لكن فصوله يبقى عازماً ولا يبد من يشمه، فهو لذلك يسبق من يده، ويكر نحو اتخاذ مواقف ما، لا يشاء اسماويل ان يترجم موقفه، لأن الآخرين على ان يشاء اسماويل يتوجهون منه، ولا يستطيع اسماويل تجاهل ما يترجمهم تلك مشكلة الغريب على الدوام. يحرص اسماويل على ان يكون مرة تتردد الأحداث فوق سطحها، لكن الأمر لا يظل على هذا النحو دوماً، فهؤلاء الأشخاص يريدون من القادم الجديد، ان يميل نحو مواقفهم وأنسأط حوائجهم. يرددون عنه ان يدخل في تسعج علاقاتهم الاجتماعية بصفته غير معترض على أي نمط من الأنماط، ويؤمن الآخرون باستغلال جهله وحاجته لعقد صلات ما، فيداون بإنشاء علاقاتهم معه، وهؤلاء الأشخاص الذين يقوم بالارتباط بهم، لا يستطيعون إلا ان يكونوا على الهامش. يوم وصور اسماويل إلى ترك، يحصل ان يشهر «واضحة» تهمة الزنا، و... واضحة بت سليمان بن سبيل، التلمذة بالمدسة المتوسطة بالمعريية، كانت تخرج كل يوم بعد الدراسة، مع البعطي البعطي بن صيداله البعطي... (ص ٢١) إذن بشهر بواضحة، وفي ذلك تخبرها، وأخرج من سياق المجتمع ونسب واضحة ما تعد بعد التلمذة به، بنت سليمان بن سبيل، أصبحت واضحة تنسب لجرميتها، لصلاتها مع البعطي بن صيداله البعطي، وما التلمذة بها هناء، إلا لإثبات نسبها الجديد، إنه النسب الأسط بطبيعة الحال، والأقل قيمة، أنه نسب الغريب نفسه، لذا لا يجد آخرها حائل إلا اسماويل نفسه ليقم معها علاقة اسماوية، فيكلفه بتونسها، وتجهر هي للتوبة إلى الوقوع في

للقص، والرواية عند اسماويل، وأرضاً بكراً هكذا يتعامل اسماويل معها، فيفس كل تماسيها، ولا يترك شيئاً تراه العين إلا وسجله، كأنه بذلك -بعد إلى تأكيد كل التفاصيل- وثبتيها في الذاكرة كي يسنى له التعامل معها جيداً.

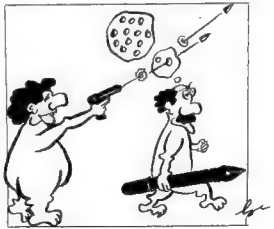
يلجأ إبراهيم عبدالمجيد إلى قص الوقائع كما يراها، لأنها بالنسبة للزائر الجديد تظل بيعة وطارزة ومثيرة، مادامت المدينة تتأهب للفناء، ويتأهب للقاتلها فتنب عليه المدينة الجديدة بكل ما فيها، حيث تقرر كل زاوية منها وكل فرد شكلاً للتواصل معه، يبدأ بالترحيب والحكم السريع الذي يتيح لكل طرف شكلاً من التعامل تبدأ به حياة مشتركة، لكن المدينة التي تبث للفناء الزائر الجديد، لا تظل أيد الضافة لأن لا وقت لديها للمحادثات، وتلك إحدى خصائص تبول فيا ان يدخل اسماويل إليها، حتى تختصر تقاليد الضافة وتقوم على عجل ثم تنصرف للزوبا التي تصبح للتواصل فيها، ولكل مدينة في المثل شكل استقبالي للزوار على كل حال، وكل مدينة تختلف عن الأخرى بطريقة استقباليها، هكذا تنطبع صور المدن في أدب الرحلات، الذي يعرفه، وهكذا تختلف كل مدينة عن الأخرى في اختيار ما تبرزه من عايسها وسائرها للضيف الزائر المستجيب

تبوك هي أرض الرواية إذن، دام يكتب إبراهيم عبدالمجيد رواية حول حين المسافر إلى الوطن إنه يكتب السفر نفسه، يكتب للمدينة التي يعمل فيها لأنها أرض الرواية وليست أرض الحنين. حين يعود اسماويل إلى مصر في مهنة صنيعة، ويذهب إلى القاهرة التي لا يعرفها جيداً، يبدو أنه يستمر في الحديث عنها ويصفها، فالتقاهرة هي أيضاً مدينة روائية بالنسبة لاسماويل، يستطيع ان يجبر عينا، شأنه شأن الذين ينجون إليها من الريف، ويومنون ليخبروا أهلهم وأصحابهم ما شاهدوه وما عبروه، هكذا تصنع المدينة، بمسوعة حكايات ومشاهدات يشترك فيها الجميع، وتكتف الحكايات وتكتف لتصبح حكاية عامة مشتركة بين كل الأهل إلى تحت إلى حقيقة المدينة بصفة قوية في كافة الأحوال.

## «واضحة» بعد تهمة الزنا لم تعد بنت سليمان بل باتت تنسب لجرميتها

يكشفون هذا الكم الهائل من الأخبار إلا أنه لها حقيقة، تصاحب القهى الذي يراه الزائر لأول مرة، يترك لديه انطباعات ما، يستطيع ان يجبر عنه، في حين ان الغاظن قرب القهى والذي يراه كل يوم لا يعود يرى ذلك فيه، أنه يرى إلى أي تغير، لكنه ومادام لم يتغير فإنه يصبح جزءاً من انسجام المكان، ولا يستطيع ان يتقبل الشارع بدون مقوله، أو بدون المحور التي تخرج كل صباح في الساعة نفسها أو بدون الحديقة التي تفقد جمالها وتكتسب رائحة تجعلها جزءاً من مقروصات المكان، لكن الزائر يرى جمالاً أولاً، ويتأمل عن سر العجز وحاجتها، وتلك أمور يفقد الغاظن مع الوقت شعوره بجمالتها.

إذا كانت هذه حال فلورق ولم اسماويل، فإن اسماويل القادم إلى تبول من الاسكتندرية يشعر إزعاجاً بما يشهده الزائر لا بما يشهده الغاظن، لذلك هو يرى بين الزائر المتخصص أولاً، في حين ان الذين سيقوه لا يمكن ان يشهدوا بشيئا يفرضه الكبير، هكذا تشكل أرض الرواية، وتؤكد أرض يمكن ان تفصل على شيء عنها، من كلها الأبيض الشارد، إلى ربح المعالج التي تغرب طرقاتها، إلى أشكال ابنتها، وسارها، وملاح ناسها، سكانهم واختلاجاتهم، لذلك تبدو تبوك مادة خصبة





حيه، ويغال هو الغريب ان حيه لما حطفي في بعض المحطات، تبيل والبيتي وسعيد، ووجيه كلهم غريب، لذا يستطعمون جميعاً ان يكونوا معه علاقة لا تشوبها مشاكل تذكر، اما علاقته مع اهل توبك نفسها تنحصر بالوليك المسوين، أو اولئك المقتنين، صالح وشعته، لكن اسمايل يأبى ان تكون عملية اندماجه في توبك وفي مجتمعها، محصورة بولاء فلا ينجح، ويبنى ان هؤلاء اللذين يستطيعون طرده من مجتمعهم مرة أخرى، واخراجهم من، فصالح يتي به، وباصحابه بأنهم يتعاطون الحمر ليله رأس السنة، مما يغفل أمامه كافة الأرباب. فتلعب واضحة إلى حيث لا رجعة ويبنى هو وسيداً. لا يقاوم رغبته في التحدث إلى سيد الغريب، المعتقل في منزل حاط بحدقية، والذي اعتقل كما أخبروه بسبب قيامه بعملية إجهاض لأسرلة ماتت تحت العملية وتبين فيها بعد ان الرجل الذي أتى بها ليس زوجها، واعتقل هذا الرجل وأوقف عن عمله، بانتظار بنت المحكمة بأسره، لكن المحكمة لم تبت ووقع الرجل ضحية للسياس، فهو يعيش وسيداً، مما يسمح لأحد بالكلام معه، وكل السكان يعرفون بأمره يحاول اسمايل دائماً أن يستمر، لكن المدينة تأبى اندماجه بها، إنها تصر على معاملة كثر أو كضيف وأن انتهاء وقت الضيافة وطوقها، يصبح اسمايل، حياً على المدينة، يصبح سيد الغريب الثاني. هكذا تسير الرواية نحو استقراره، فيقل الكلام عن المدينة، وتصبح الأحداث هي ما يحرك الرواية، الأحداث المتعلقة بشخص اسمايل وتقدر حوله، فلم يعد متمسكاً للنساء كما حدث له حين رأى روز أثر هائلة أو واضحة، وأصبح يتجنب بعض الأشخاص كمنصور صاحب القرد على كتفه، ولاري، وعابد، أصبح اسمايل ينظر الجديدين، بما يعني ان الغيب يتم استقراره، لذا غف الحديث، وقل الكلام وبدأت الرواية وكأنها تراوح بانتظار الحدث.

حين وصل اسمايل موسى إلى توبك، كان لا يملك للاندماج مع هذا المجتمع وسيلة سوى العيون نفسها، والعيون هنا، تلدغ دائماً، لأن الرائي يصطر إلى تكوين ملامح الآخرين كما يريدون تقديمها له، فاللطف مع القادم الجديد (الضيف) أمر يتجاوز تماماً مع النسوة التي يسليها الشخص نفسه أن سببه في الضيافة، والإغراء التي تقدمه روز

لاسمايل، ليس خالصاً من كل مصلحة لكن ادراك اسمايل لا يتسع وهو الذي يحكم بعينه فقط، لمعرفة مصدر الصلحة وتكمينها، روز تقدم له ما يجعله يشعر انه يعيش، إنها تزيل الاتباس من رجولته، وتجعله رجلاً حقاً، لذا لا يملك اسمايل وحتى آخر فصل في الرواية ان يتي هذا الاتباس على حاله، إنه يريد روز بعد ان يكشف حقيقة احتيال زوجها وحقيقة مشاركتها معه، يريد ان يري ان يتأكد من كونه رجلاً، وليس لرجولته هنا علاقة باتصاله الجنسي بها أو عدمه، إن الرجولة هنا تبتدى على حقيقتها، حين يصبح الجنس أمراً ثلثياً فيها، وحين يصبح مطلبها الحقيقي، القدرة على التعامل مع المرأة من خلال كونه رجلاً، إسماعيل يحاول ان لا يفقد هذه الصلة التي ليست بحال من الأحوال رغبة بالنسبة له، فملاته بروز لا بعدد ما شبعه الجنسي، وشوكة إليها، أنه يدبر علاقة معها، شبه إلى حد بعيد محاولة تأكيد الذات، عبر اسمايل الأمور الوشكية الوقوع وتحديد موقفه منها. رسائل واضحة، إلى المجلات والجرائد، لا تفعل كذلك سوى ان تؤكد هذا الجانب، أنه يقوم منها انه شخص له أثره في الحياة، من هنا إلى هذا الحد أؤكد على علاقة ما يحكك نفسها، هكذا عابده

التي أراد ان يتزوجها ولم تشأ ذلك لأنها تلذت نفسها لعلاج أخوها القعد، لا تربط به، ولا يعرف معنى للرسائل الخفية، ألا لكنها تركت أثرًا في ضمة مفداه ان الآخرين يرتبطون به إلى حد ما، وأنه وإن لم يفرح فرحاً بريطون، بل فإنه ليس بلا أثر. بدون هؤلاء، وبدون سذر ووجيه، يصبح مثله بلا تواصل مع توبك وبلا كلام، سيد الغريب هو الشخص الوحيد الذي تنحصر علاقته مع توبك على العيون وحدها، والعيون خادعة سرعان ما تكشف عن عمق حداثها، فويري به الجميع خارجاً، اسمايل يصير على تجاوز العيون وتداعها إلى الكلام، الكلام وحده هو ما يجعل الموجود حقيقياً نظرو. رواية ابراهيم عبدالمجيد، تنتهي بأن يُلقط اسمايل فيها إلى الخارج مع سيد الغريب على الطائرة نفسها. هو يقرر لنفسه ذلك، يقدر ان يربح وسيد في مصر (الاسكندرية) لأنه يترك من خلال ما عبره ان الاسكندرية وأهل فيها أصبحوا يملكون الكثير من الأشياء التي يمكن ملاحظتها بالعين خلال إقامته القصيرة في توبك، ويدرك انه يستطيع اغيابههم ما يشاء عن توبك لأنها لا تكن ولا مرة إلا بلد مكاتب، إلا بلد الرواية بالسنه له وأرضها. □

## الفصحى الشعبية مستقبل اللغة العربية؟!

جورج طراد

أي مقصراً، على الشعراء والسروائين والقصاصيين. فكما ان للشعر مهاراته وأجواده، كذلك ينبغي ان يتحول المسرح إلى تخصص لا يرضي خلطه بأي نوع من الأنواع الأدبية الأخرى. وأبرز مشكلات المسرح، إضافة إلى استغالاته الواجبة الوجود، تكمن في مشكلة اللغة. فكيف يمكن للمسرح ان يجتذب جمهوره؟ وبأية لغة؟ بتأثير أخرى أكثر تفصيلية وتيسيراً، هل ان العربية الفصحى، بوضوحها المعروفة، تصلح لأن تكون لغة مسرح بحيث تترجم إلى جمهور لا يتكلم هذه اللغة، في حياته اليومية أم ان

### المسرح مستقبل العربية

دراسة

عصام محفوظ

دار الفارابي، بيروت ١٩٩١

■ منذ أوائل الستينات، والكتاب اللبناني عصام محفوظ، يشدد على أزمة الإصطناع في المسرح، علماً وعصرياً. فلفظ التنع، من البداية، ان قضية المسرح اللبناني، لا بد لها من ان تتصل عن القضية الأدبية في شكل عام. فللمسرح، كما رأى من حق، فن مستقل وقيم بذاته، ولا يجوز بالتالي ان يبقى مرتبطاً،



حزم على ذلك حيث يقول: «فاخير مقال انه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام، لا لغريب ذلك. وان توفى قوم ان لغتهم هي أفضل اللغات لا معنى له» (ص ٣٩).

وبع ان عتوق يحرم، في أكثر من مكان في كتابه، على التأكيد ان مشروعه يخص بالمرح ويخلص وليس باللغة العربية ككل، ومن بينها الشاع الأديب، فإنه يستشهد بالكثير من آراء الشعراء والأديباء والنقاد العرب الذين يشهدون على أهمية الأدب الشعبي من أبرز هؤلاء الأدباء الشاعر اليمني عبدالعزير الخالغ الذي يقول في كتابه «قرامة في أدب اليمن».

وأن الشاعر الشعبي الحقيقي طرق الباب في بلادنا أكثر من مرة في القرون الأربعة الماضية ثم غاب. وما هو يأتي من جديد، وأخشى ما أخشاه عليه، وعسل الشعر، ان تصد عنه اسباعتا فيوم من حيث أتى! (ص ٤٥).

بعد كل هذه المقدمات لرد الاتهامات حول وشوعية الدعوة إلى العالمية، يفرع عتوق فصلاً كاملاً من كتابه يتخصصه لشرح مشروعه للاصلاح اللغوي. منذ الفقرة الأولى يضع المشروع الذي يشترط توفر دعم رسمي لنجاح المشروع الذي يصفه بأنه «حركة تصحيحية لإصطلاح التسميات في اللغة سطها في تطويع القصص من الحياة، مع استمرار القصص القديمة لغة الدين والديوان الرسمية» (ص ٥١).

الذي يخص له ٤ صفحات من مشروعه عتوق الذي يخص له ٥ صفحات من فصله الثاني (ص ٥٣). من خلال توزيعه على ٣ خطوات، يحرم ذاتياً، ويقل أي كلام، على ربطها بالموقف الرسمي، وهي:

١ - توحيد الإسماء لكسل عامة من العاميات العربية الأربع، ويظهر على ذلك أمثلة كثيرة، يُستشف منها انه يوافق يوسف الخال في مفهومه للعرية الحديثة، وأنه يعارض سعيد عقل في نظره إلى العامية اللبنانية. ويقرر أن «فردح الإسماء هو أول خطوة للانتقال من اللهجة العامية إلى اللغة العامية» (ص ٥٥).

٢ - وضع قاموس جديد يتضمن كل الألفاظ المستعملة في اللغة المحكية المتعارفة إلى جانب الألفاظ والنصوص. ويذكر محاولات حيولة على هذا الصعيد تمت في الماضي على يد صاحب «معيظ ومعيظ» والشيخ عبدالله العالبي (ص ٥٦).

بفرقة الصف العربي، فيؤكد ان القصص ليست عامل توحيد بأكتر ما هي العامة. وقد كانت عليه الخطاب الناصري عامل وحدة أكثر بكثير من كل الكتب القصصية التي دمجتها أقلام الوجدانيين. كما ان أفتة بالصامية لأم كشوم أو فيروز لها قدرة على التوحيد أكثر من كل الشعارات القصصية (ص ١٨).

وفي مجال نفي الربط بين العامة والفرقة العربية، يتوقف عصام عتوق عند رأي واحد من رواد القصة العربية، سامع المصري، الذي رأى ان حل الإزدواجية بين القصص والصامية لا يكون إلا برأسد من الخيارات الثلاثة الممكنة وهي، حسب ما فصلها المصري في كتابه «آراء في اللغة والأدب»، كما يلي:

- ١ - أصا بشر وتعميم لغة من اللغات الدارجة على جميع البلاد العربية
- ٢ - إيا بشر القصصية بين لغات الشعب
- ٣ - لها الصملي للسيرال طريق عتوقيين الأولى وثانية يصطيم اللغات المخرجة بالقصص

ويستنتج عتوق من دراسته لرأي المصري ان هذا الطرح ليس اعتراضاً بالأزمة فقط بل محاولة لتجاوزها، حتى ولو قضى الأمر فرض وصاية واحدة من العاميات العربية على كل الاقطار العربية، كما ينص الخيار الأول، مستبعداً عكسها التمسك بلغة الشريعة، وهو رأي له أهمية نظراً لقلته (ص ٣٧).

دعوة الفصل بين اللغة وبين القرآن الكريم، تكاد تكون هاجساً عند عصام عتوق، ليس من أجل الانتقاص من الشريعة أو من مكانتها، ولكن من أجل فتح باب التطوير اللغوي بعد ان طال إقفاله حتى تجملت اللغة العربية. ولتعزيز رأيه هذا، يذكر عصام عتوق بما كان ابن حزم الاندلسي قد قاله قبل تسعة قرون، حيث يستشهد بآيات منها: «ربما أرسلنا من رسول الله إلا لبسان قومه ليبلين لهم أو ولينا ورسنا بلسانك لمعلمهم يتذكرون». ويتأمل عتوق تعليق ابن

اللغة المحكية هي الجسر الذي يمكن ان يعم من خلاله، الكتاب إلى الجمهور» عصام عتوق، كما مارس الكتابة المسرحية منذ «الزريختة»، وربما قبلها، رسا اختياره على لغة الحياة اليومية، وتواصل من أجل تحقيق ذلك، في المؤتمرات وفي الأعمال التي وضعها. لكنه كان يعرف منذ البداية، انه لا بد من مصطلح يحدد اللغة التي تحدث عنها يوسف الخال، وإتانه لا بد بالتالي من طرح ما، يقول انه احتسب إليه، عبر نظرية «القصص الشعبية» التي فصلها عن مقدمة مجموعة أعماله التي صدرت من دار الفكر البيرونية، قبل فترة، ثم عاد ليشرحها شرساً وتفصيلاً في كتابه الجليل «لشرح مستقبل العربية».

منذ مطلع الكتاب ينضح ان عصام عتوق يستند نظريته في «القصص الشعبية» إلى شواهد تراثية، وكأنه يريد ان يقي طرحة بعيداً عن كل اتهام بالبدعة والمخرجة من الروح العربية. لذلك تراه يرجع إلى النصوص للجاناسط ولأبن خلدون ولأبن حزم الاندلسي، في العصر القديم، وإلى وثايلات مشابهة للأخوين محمد ويحمى تيومر وتوفيق الحكيم وأخسرين في العصر الحديث. ويحرم، بعد كل هذا، على التأكيد، بأن ما قام به إن هو إلا تكملة، ولزورة، لكل ما تقدم من تجريب في هذا المجال، مشيراً إلى انه في مسرحاته استخدم اللغة العامية وليس اللهجة العامة (ص ٨).

قوام نظرية عصام عتوق في «القصص الشعبية» ينطلق من قناعة مفادها ان العاميات العربية الأربع السائدة في كل من سوريا الطبيعية، وادي النيل، والخليج، والغرب العربي الكبير، تحتاج إلى وقت وإلى مجهود ضمن اطار كل منها، كي تتطور أكثر ويحطو ذمسة (لكن تدرى الدافع القفل لحرص عتوق على دور رسمي حكومي في الأمر) بصار إلى تقريب تلك العاميات في شكل مدروس حتى تتطور في عافية واحدة (وتصير في المستقبل القصص العربية الجليلدة (ص ١٧). ويحجب عتوق على تساؤلات وشكوك متعددة تدور حول اتهام العامية

## يسند المؤلف نظريته بشواهد تراثية خوف اتهامه بالبدعة

٣ - تأليف كتاب الفوائد الجديدة على يد المصنفين المتبحرين بحيث يركز شرعية الأوضاع الجديدة في العربية الجديدة، وليس يكون الأمر صعباً لأنه سيكون بسيطاً للفوائد السابقة ونصيحها وحذف ما ليس معمولاً به (ص ٥٦)

هذه الخطوات الثلاث ستم، بالتأكيّد، في حضي كل عامية من العاميات العربية الأربع. وبالتأكيّد فإنها ستعتمد للفرق ولاجهائى إذا ما بقيت متزلة عن بعضها، فلا تصب في خانة توحيد العاميات العربية. لذلك فإن عصام محفوظ يسارع إلى الحق مشروعاً العهد بالقرارات عملية من شأنها أن تساعد على بلورته أولاً، وعلى تعييده ثانياً. فمع معرفته بأنه ربما تكون هناك مواقف في المشروع النظري، لكنها مواقف ستطرح نفسها أثناء العمل بحيث يمكن اصلاحها وتلافيها، فإنه يريد من جامعة الدول العربية تنويع هذا المسمى (دائماً للدور الرسمي عندنا) بأن تتبنى مبدأً ضرورياً تساهل المسلسلات التلفزيونية والأشرطة السينمائية والعمامة المختلفة، في كل الاقطار العربية، لأن الأمر في رأيي سوف يساعد على إغناء الثروة اللغوية العربية بالمفردات والتراكيب العامية المختلفة. وقيل استمرار التبادل والهمم الكامل لهذه العاميات، أسوة بعمما للعامية المصرية، لتفتح الطريق أمام عربية واحدة مشتركة ومألوفة لدى الجميع سوف تنسج على المستقبل إلى فصحي جديدة معاصرة، وهذا هو المطلوب (ص ٥٧). لا نريد التوقف عند الجديد في هذه النظرة عند عصام محفوظ. ولا نريد كذلك أن نربطها بمحاولات سابقة استندت إلى الصهايم نفسها، ولا سيما تلك التي قام بها الدكتور أنيس فريخ في العام ١٩٥٥، في كتابه ونحو عربية مبرّرة. كل ما نريده هو القول بأنها محاولة مبررة، في السطوح النحوية، وفي اقتراحاتها التطبيعية. وهذا فصل كبير لعصام محفوظ، وإن كنا لا نملك تفسيراً لحرصه على إعطائه دور فاعل للجهات الرسمية، من جهة، ولتتمسك بترعة عايدته المسرحية إلى فصحي فيصبح النص الواحد اثنين، ضمن الكتاب نفسه. مع العلم بأنه يشرح تلك الناحية بالتفصيل في مقدمة عرضه لبند والفصحي الشيعية (ص ٨٩ وما بعده)،

حيث يتوقف أمام خطوات عملية عامة يطرأ حلولاً لها من خلال: الانقراض - الانقراض (ص ٩٠) والاقفاص المشتركة (ص ٩١) والمشتراك في الحوازيات (ص ٩٢) والأعبار المشتركة (ص ٩٣).

نعود إلى البداية. مشروع عصام محفوظ، كما حرص على تأكيده مراراً في كتابه، يتعلق بلغة المسرح وليس باللغة عامة. ولكن هذا الصعل، يبدو أنها صورياً ورمياً. فالمشكلة هي مشكلة اللغة العربية ككل. وما لغة المسرح سوى جزء منها، أو على الأصح الجزء الذي يمس عصام محفوظ مباشرة، باعتباره مسرحياً طلياً ورثاً في تجربة الكتابة في اللغة العامية، في المسرح اللبناني. لكننا واقتن من أن محفوظ، بذلك جيداً، وهو يخرج مدرسة وشعرة وجدار اللغة، أن الأصل الأصيل يكون في جسد اللغة ككل وليس فقط في المسرح. في مطلق الحاصلات عضوية، وإن كان لا يعلن ذلك صراحة، يريد، على مبدأ معالجة الجزء لمعالجة الكل، أن يخرج العربية من عقالها الذي طال كوكها به انس صوان كتابه والمصر مستقبل العربية؟ يتغير أحر، ألا نفتح من العتوان أن ما يطرحه إعلاناً (الزيت) المسرح، كقوله: "أنا هو الأطلحة الصالح أرملة اللغة" كلسان وكلام، حسب غير دريدان دي سوروس؟

بقيت ملاحظة لا بد منها. موسوعة يوتيفر سالي، في مقالة للجهات العاميات، Diacta، تربط وسطاً وثيقاً بين السلطة السياسية وبين انتشار العاميات. بمعنى أنه كلما كانت السلطة السياسية قوية كلما تسكت باللغة الرسمية وحارت تقدم العاميات. فإذا ما صبح هذا الطرح، نعتقد أن حرص محفوظ على دور رسمي حكومي (أو جامعة عربية) في تعزيز العاميات، هو حرص في غير محله. في المقابل، نرى أن الأثرة الحقيقية للغة العربية ناجمة من ديمها الوثيق بالقرآن الكريم. من هنا ارتدت طابع القدسية والاستمرارية عبر العصور، مستحصية على كل تعديل ملدري. لذلك فإن محاولات تلغس الحلول لا بد أن تنسج من خلال السلطات الرسمية وليس السياسية الرسمية. كما يرى محفوظ. نعرف أن السألة شائكة ومعقدة، ولكننا نعتقد أن الطريق الأقرب إلى الواقع، وربما كانت الشواهد التي أطلعها الكتاب من ابن حزم الاندلسي، صالحة في محاولة الحوار حول

هذا الموضوع، مع السلطات الدينية. وربما كذلك يمكن الاستناد إلى ما قاله محفوظ في رده على مقالة جابر السيد في مجلة «الوحدة الإسلامية»، وهي مقالة عنيفة للهجة وإهائية. يقول محفوظ: «إن السيد جابر السيد عندما يقول بأن العامية وتفصل بين المسلمين وقترانهم يعني أيضاً أن تلي مسلمي العالم ليسوا من العرب، وهم يكونون ويعدون دلفاعاً عن العربية دون أن يسمهم هذا من التمسك بقرآنهم» (ص ٦٣)

بعداً، نعرف، أن الحوار مع السلطات الدينية، حول هذا المشروع، يصطدم بعقبات حادة للغاية. لكنه اصطدام لا بد منه، ليس فقط مع أفكار العديد من رجال الدين المسلمين، ولكن كذلك مع كتاب ومفكرين مسيحيين، أمثال كمال يوسف الحاج في كتابه دلفاعاً عن العربية (مشتورات عويدات)، والشاعر القروري الذي اعتبر مع مقدمة الجزء الأول من ديوانه، أن أية دعوة إلى العامية ليست سوى ضرب للوحدة العربية. كاني، بمصام محفوظ، في فصله الصوري لا بد لغة المسرح واللغة عامة، أراد الانقراض على المشكلة، وتلافي حقول الانغماس الكثيرة التي تحيط بها. طرحه جريء وصملي في آن، ولكنه، في وجهاته ووجهته، يعالج النتيجة ولا يعالج السبب. ونعتقد أنه من الآن وإلى أن يحدث تغيير ما في اللغة العربية، سنبقى الفواصل قائمة بين العامية والفصحي، رغم ما لهذه الفواصل من سلبيات وإمكانات سبية لا تفتي نتائجها على أحد. □

## ما هو السبب في إعطاء دور فاعل للجهات الرسمية؟

صدر حديثاً

## عودة الاستعمار

### من الغزو الثقافي إلى حرب الخليج

رئيس حزب القيس - عبد الرحمن صبيح - قاتل العراقي - كتاب الرواية - جورج طرابا - أسى الحاج - صدي حافظ - طال شكري - غير المقتل - صبيح القيس - ثوني صديدي - محمد السعيد

## انفصال باطنه اتصال

محمد مفتاح

أما فيما قبل فقد أبدى السارد وساقى الشخصيات، المحورية والشاسوية جهلهم المطلق أمام التحول المفاجئ. وثورة غضب القاص على حربي، الذي عمل إلى جانبه مدة طويلة لم يشهد فيها غير الأخلاص والوفاء والحق، واكتفى السارد بدكر ما يتقلبه الساردون فيما بينهم، أي وشاية بعض الحاقدين على حربي وإدعاء ناز الغيرة في نفس القاص بدعوى أن حربي يترص بصنان ويتري قتل ليحصل على الترقية، فمن الذي يفت حلف هذا التحول المفاجئ، في شخص الفصل؟ من أقمه بالوشاية وحزمه حربي؟ من ابتدع هذه القصة... الخ. أسلت ما يطرحها الطفل السارد للحكاية ولم يحشم نفسه عناء البحث فيها. لتبقى القصة مفتوحة على كل التعميمات. نكن هل يفعل حربي ذلك، وهو الذي فرح بتقديم حسان فرحاً شديداً فاق فرح القاص نفسه! والجديد الذي تختلف فيه رواية بهاء طاهر عن القاص التقليدي هو بهاء المحتوى. وكذلك نمط العلاقات بين الشخصيات المحورية. تمتاز العلاقات في الرواية بالبرودة وذلك نتيجة إهمال الكاتب الحديث الموهبي/ الخفي في نفس صيغة واحتشامه وتركيزه على الحدث المباشر (التعذيب بعد طرد وتلفظ طرير). كما أنه عمد إلى الفصل فواصل بين الشخصيات المعنية ودلت الأهمية في ما وقع. وهما شخصيتا «صفية» و«حربي» رغم الاهتمام الشدي بولييه السارد لولده «والقاص بشاش» فإنها ليس محور القصة (مادة الرواية). ولكنها تكمّل استعان بها الكاتب، كما فصل باقي الشخصيات، القاص، للصور المظلمة... الخ، لئلا تُسَد تلك الفجوة التي تركتها العلاقة الباردة، أي غير المباشرة وغير الحميمة بين صفة وحربي وبقيت كل كتلة متجمعة في مكانها بعد أن كانت كل كتلة حارة حامية طافحة بالحياة والحبس.

دأخل الخطاب الروائي تنسلاً للبيئة الحكائية؟ لا أظن ذلك ولكن هناك حلقة مصاعمة تشمل الخطاب والقصة معاً. وبذلك تصبح القصة، المسألة الحكائية تسي على أسس منطقية مغايرة للتراتب والمتراب الحديثة التي شاعت في الكتابة التقليدية المتأثرة بالكتابة الشارعية في كتب الشارخ والأخبار والتفسير... الخ. وأيضاً الكتابة الواقعية الملتزمة بالبرورة المجتمعية والاتصافية... هذا يعني أن حلقة البناء السالف (سواء المحتوى) ليست إلا عضية إخضاع النص أو الحكاية إلى المنطق الجديد. المنطق المحل والمفطور الذي يعيشه مجتمع الكاتب. تختلف القصة في رواية بهاء طاهر/ الأخيرة عن القصص التقليدية، والتي فيها في إن تلقى منها في وجهة النظر. لأن ما حدث يُنقل إلى القارئ عبر سارد عاين ذلك وهو سارد «موضوعي» ينقل ما سمع من أحاديث وما شاهد من أفعال وسلوكيات. ولا يسمح لنفسه بنهم أكثر مما هو متاح له - السارد مقلد - ولا يسمح لنفسه بالتدخل في أفعال الشخصيات. هذه المحايدة عند السارد جعلت النص سطحياً. وكأنه تاريخ لقرية كانت تعيش وأعمالها في هدوء رتيب. وقد فرأ فيها ما يثير فضول السارد، وربما لم يكن ليتنه إلى ما حدث لولا أن الذي وقع عليه الفعل والذي تنسب فيه ومن شارك في اتحازه من أقربائه: «صفية»! (الصاعقة، التي تبذل قصبتها)، فتاة صبيحة، ابنة خال أم السارد تربت معه في بيتهم منذ الصغر. [حربي]! (المفعول) الذي وقع عليه الفعل، رجل يتم، وهو ابن عم أب السارد من بعيد. [الفصل]! (التفصيل) رجل كبير في السن، زوج صفة ووالد حسان. من سطحية النص، أن التحول لم تتم الإشارة إلى دوافعه إلا في خاتمة الرواية إجماء.

حاتي صافية والدير

رواية

بهاء طاهر

«كتاب الهلال»، القاهرة ١٩٩١

تتم الرواية على عناصر متعددة ومختلفة. وذلك العناصر هي التي تحددها كجنس وتميزها عن أجناس أخرى كالشعر أو المسرحية رغم احتوائها مكونات منها. وهي بذلك تسي على دقات لا يمكن تجاهلها إلا أن تحديث عند القاص، على الماء يسبح إلى تفكيك كل مركب إلى أجزاءه الصغيرة. والشوق عند العناصر المكونة للخطاب الروائي، الذي يحيا هنا، يتم على نحو: أولاً تفكيك الكسل (السرواية) إلى الجزئي (الزمان، السرد، المكان، الأحداث، الشخصيات... الخ). ثانياً تفكيك دوي لكل عنصر على حدة. تفكيك المكان إلى مركز أو هامش، واسع أو ضيق، مدينة أو قرية، مهوى أو شارع... الخ. أو تفكيك الزمان إلى أبعاد المرفوعة. وهذا يعني أن صلية الفصل بين الجزئي والكل ليست إلا ضرورية منهجية أو مرحلية. لأن تلازمها حتمية بدوية لا تتم للمرفوعة الصحيحة ولا يحصل الفهم التام. وكما يحصل التفكير في بناء الخطاب الروائي يمكن أن يحصل التفكير في مادة الرواية. وهو ما يعرف بتحليل المحتوى ويقوم ذلك على تحديد الوحدات الأساسية للبيئة القصصية.

صحيح أن العديد من الكتابات المعاصرة والتجريبية تتحاشى السقوط في رتابة الحكاية وتحاول الانفلات من إطار النظر الكلاسيكية التقليدية للرواية. وذلك بالتدخل على المعنى السرّاني للحدث والاتصاف عن البطل المأسوبي كما يحاول ذلك «بهاء طاهر» ويجعل. لكن هل يعنى التحليل عن النص

القصة  
الجوهرية  
بقيت مدفونة  
في جوف  
«صفية»

ينتها في الناس من حوفا.

إذ كانت العلاقة باردة في القصة، مادة الحكمي. من المصير واللغة كما يوزع الاتصال والخيال بين الشخصيتين: صعبة وحري، عل المستوى النفوي أنه إلى دور الكاتب وتحكمه في السارد. أو هيمنة السارد المسترجع للأحداث، المتكلم في الزمان عل السارد المعين للحادثة. ويبدو ذلك من خلال المبالغة السواعية في النص التباسي - تحت - والتي لا يمكن بأي حال أن ينفقها السارد الموضوعي المعين للحادثة، ولكن مملها عليه السارد الذي مترجع القصة بعد انحلال مصير كل ماها ووضوح الدوافع الدفعية للحادثة. يقول النص: «وشلا كانت عائلتي صعبة حيلة بين البسات كذلك كان عمي حري جيلاً بين السرجال» (ص ٢٧)، يأتي التصريح بهذه المسألة في وقت مبكر من نص حكائي (صعبة). وهذا يدل عل أن السارد المتكلم في الزمان المسترجع للحادثة هو الذي يتكلم ويرتب الأحداث ويشد الأسباب إلى الأوتار. وأن السارد الموضوعي يقل ما يُفعل عليه وما يوصي إليه.

أما عل مستوى المصير فإنه يظهر جوهري

القصة، أو القصة الجوهريه والتي يفت عحة متلف أحداث تصليقاً كعصب (الفصل) عل (حري) وتتمه قتل أن يتزل حري الفصل وهو في حالة غضب وألم ثم دخولها السجن، واحتسابه بالسدير والمطريد/احتبابه بأهل من غير الاسلام وهو الصراية، وسالخرجي عن العانوس وكإصابة صعبة بالبولات المستبريه الخائفة تظهر فيها للجمع - وهو ما يلقه إليها السارد موضوعية - أن سبها «موضوعها» دم زوجها الذي ذهب هدراً ولم ياعده له أحد يتأوه. هذه الأفعال والسلوكات ليست إلا اقعة مُضَلَّلة لا تروح بالحقيقة. ومن ثم فما نقله الراوي في الأجزاء الأربعة من الرواية ليس إلا رواية ثانية للحادثة الحقيقية والقصة الحقيقية لا تُسَمَّى بها العلاقة الحليدية بين شخص صعبة وشخص حري بل القصة الجوهريه الحقيقية بقيت مدفونة في جوف صعبة، التي حكمت كل حيرتها عندما يصاب اليرد بالأحاج من مسوى تحقيق فعل ما طاهراً؛ أي في الواقع المعيني يصاب ما عليه ويريد ذلك الأحاج إلى نفسه ويخبره من حويل عد القرد الدقم نفسه إلى

التحول عن رغبتها الكوحه. لكن عندما يحدث التحول فهو ليس إرادياً ولكن اضطرابي. ولهذا يبقى فعله قائماً لا عل مستوى السطح ولكن في الخفاء. وقد يتجلى في الذالب كسلوكات عكسية. وتلك حالة صعبة. وهي الأطروسة التي تتحكم في رواية (بها طاهر) الأخيرة: «وتألي صعبة والدبير سنحاول ترتيب القصة الأصلية من خلال هذه الأحداث تحت عنوان

«انفصال مادي وإرثاض وروحي»

أ - صعبة تحب حري ويعبر رغبتها ويملها حديث أسرتها عينا وروحي أيتها مائتي للتحف

ب - حري يرشح الفصل روحاً لصعبة ويحطه له

ج - صعبة تصاب بخيبة أمل كبيرة وتكتم ذلك في نفسها. وتنتقل الرواج من الفصل وتجنب له علماً

د - الفصل يقار عل ابنه ويعصب عل حري ويترصده ويتحرش به ويغديه لتثور نفس حري ويكفر بكل شيء

هـ - حري يقتل الفصل ويترج به في السحي

## الكتاب المسموع

موسوعة الأدب الضاحك  
علي مزقة

على كاسيت  
أشرطة ضمن علبة أنيقة



طرائف النساء والجواري  
طرائف الأكاديم والمفلقين  
طرائف العاملين  
طرائف الظرفاء

١٢

ساعة من المتعة المتواصلة

طرائف الشعراء والأدياء  
طرائف المصريين  
طرائف المهجريين  
طرائف القضاة



RIAD EL RAYES  
BOOKS

مركز النشر للكتاب في القاهرة

لندن

LONDON - UNITED KINGDOM  
54 Knightsbridge London SW1X 7NJ  
Telephone 071 245 1905  
Fax 071-233 8305  
Telex 286997 RAYYES G

قبرص

LIMASSOL - CYPRUS  
P.O.Box 7038 Limassol-Cyprus  
Telephone (05) 346624 (05) 346625  
Fax (05) 346626  
Telex 3364 RAYYES CY

بيروت - لبنان

ص. ب ١١٧/٥٧٩١ بيروت. لبنان  
تلفون ٣٢٢٣٨١ - ٣٧١٤٠٠ - ٨١٣٢٥٥  
فاكس ٥١٥٨١٥ - ١٩ (٢٠٧)  
ALLIED 27722 LE تلکس

لكثير من العقل والعدل والمراجعة لتقريب من كامل مروة، وهو يعني بتأريخه الشخصي لتاريخ لبنان والمنطقة أيضاً.

مطلق المسار للاطلاع برحلة النضال التي اختارها كاتب المذكرات في مرحلة بالغة من حياته، يكمن في التركيز على قضية الرجل، التي اجبرته على مغادرة بلده في زمن الحرب العالية الثانية والمجرة نحو المجهول

«بيروت - برلين - بيروت ثلاث كلمات يمر عليها القارئ، في أقل من طريقة عين، وهي التي ملأت اربع سنين من حياتي بالأسفار والمغامرات والأحوال، فاذنني خلالها الاقدار طويلاً وعرضاً في تلك المواقف الصعبة المتمثلة من بيروت الى برلين، ومن برلين الى بيروت، وسط حرب لم تبق من تدر، ففهرت فيها طوعاً أو قسراً - ألقى ما يقطن الحياة وتعلم من المنتقصات، من رفيع الترف الى حضيض الجيوش، ومن الفصور الى السجون، ومن المارك الى الصعاليك» (ص ١)

على هذا النحو من التقديم المثير والغامض في آن، استهل مروة مذكراته. أما قضيت التي اجبرته على المغادرة والانتقال الصعب فقد عر عنها صديقه الذي لم يذكر اسمه بالكامل، بل بالإشارة الى حرفين فقط عندما قال له وان الجيش البريطاني - الدنيمولي تحطت الحدود (الليبية في الجنوب) عند القصر وشارت هجومها على القوي القنينة وماذا تنتظر لتعد حقائقك؟ أنسبت مؤلفك من حركة الكيلاي (المصادفة لا لتكثير في المصراق)؟ أنسبت مفاياك ضد الانكليز؟ أنسبت انك مراسل وكالة «ترانس أوسيان» الألمانية؟ (ص ٢)

ادن - ان سبب الاعتفاء والحرب واضح، والغصية هي التزام صاحب المذكرات، بمساعدة الانكليز والحلفاء خدمة للموقف الاستقلالي الوطني العام. بعدها، وبسب من موقعه السياسي، بدأت المماناة في حياة الرجل كما بدأت معها مسيرة وحيله القسرية، من بلد الى آخر، والتي استمرت لعدة اعوام متتالية

ان خياره للترحال استقر على تركيا، وهي مركز الاثارة والصراع بين الشرق والغرب هذه الدولة التي اختصرت في تاريخها حركة صراع الامم والشعوب. واستعرضت جميع الاماكن الصالحة، فلم أجد أفضل من تركيا وكان في فيها مشاكل خاصة تحتاج الى توية

توجيه ظاهراً بأنها رواية تتألف من روايتين متفتلتين في الجوهري وتصلتين بأسباب المكان والزمان، وهما: رواية صفيية، ورواية الدبر - اللتان يتغلها سارد عاب التحويلات الظاهرة التي تمرصا لها. وهذا يوحى به العنوان والخاتمة، التي قسمها الكاتب قسمين - القسم الأول خاص بقصة صفيية. والقسم الثاني خاص بالدبر وبالعقدس بشايء الذي خف عقله في اخر ايامه. وفي هذه الحالة سيكون معنى العنوان كالتالي: رواية قصة خاتمي صفيية ورواية قصة الدبر.

ولا تقرأ اوالمطف على أنها دالة على وجود علاقة حقيقية بين صفيية والدبر. ولكنها واو الربط بين عمل الفصح في الحكايات هناك قراءة ثانية ممكنة نفهم فقط على السرايط فتسأل بعد الانتهاء، من قراءة الرواية ما نوع العلاقة بين حبكة صفيية

والدبر؟ هل هناك فعلاً علاقة؟ ألا يوجد ما علاقته؟ طاهرأ لا توجد - هناك علامة ما واضحة ولكن ماطشاً هناك علاقة وطيدة بوصفها لفظة صفيية المكشورة والمحطمة. داد كن الواقع قد نص - صفيية - كسب بان بعدها عن حرب، ورواية الفصل الثاني يكرها ساراً لم تذكره يوماً - فإن الدبر كبح رغبتها حسنة، الشجيرة من حب الى الكراهية والرغبة في القتل □

## المحايدة عند السارد جعلت القص سطحيًا

و - صفيية تصاب بنسوبات هستيرية وهوسات وتطالب بتار زوجها.

ز - حربي ينجس بالدبر والمطاريذ بعد عرجه من السجن وثمة سيفي نجيح.

ح - صفيية تعرف بالدبر، يصلها نغم حربي فتسقط في عيوبة تستلحقها به.

الملاحظ أن جل العلاقات تتم بين أكتانيم ثلاثة، هي: صفيية، حربي مروراً بالقتل، الاداة العاصدة مادياً بين الشخصيتين والرافطة بينهما مادياً، في آن. وهذه هي القصة الحقيقية لكن نحيل - حقيقته فقط عندما يستيقظ

الناصري، عندما يستيقظ الكونت وتحمل صفيه عن مقومنها. تعود الى مغلوتها الأولى وما كانت تمث نفسها به، وما كانت الأسرة تعدد العرم على انجازه وتحقيقه، أي زواج صفيية من حربي.

هذا النص يجعل البناء متوازياً، فهناك محتوى متقول، وهو محتوى تضالبي لأنه القصير فقط على الظاهر، على نقل الحادثة كما هي ولكي يتغلها الناس والقصص عن السلوكات لا على البواعث الدنيوية والنفسية. وهناك المحتوى الجوهري الحقيقي لأنه ليسك بالبراهات الساطية والاساس في كل ما حدث لصفيية وحربي بطل الرواية. رواية بقاء طاهر وخاتمي صفيية والدبر

## مشاهدات ماضي

### نهاد حشيشو

السياسي العربي منذ الأربعينات؟ كامل مروة الشخصية والحيثية، «الرجعية» والعملية للاستعمار، والمتسولة على عرض بيروت بسبب من تلك الاتهامات التي شكل القتل شاعداً المكين.

كيف يقترب كاتب مثلي جليداً، مفتحاً، خارجاً من قبلة اليسار وأمراتها؟ كيف يقترب من كامل مروة وهو يروي سيرته؟ انها مسؤولية ليست باليسيرة. كأننا بحاجة

بيروت - برلين - بيروت

أدب رحلة

كامل مروة

رياض الرئيس للكتب والنشر -

تلين - قبرص ١٩٩١

■ كيف يقترب مثقف مثلي، يساري منذ أكثر من ربع قرن، من شخصية لبنانية اعلامية سياسية كانت في الحجاب المهاد للخطاب

سريعة قبل دخول الحلفاء، فقدت العزم على السفر إليها فوراً، فأصيب بذلك عصافيرين بحجر واحد، إذ أسوي قضيتي الخاصة من جهة، وأجد فيها من جهة أخرى اللجأ الذي أريدُه (ص ٧). أما لماذا تركيا؟ فلأجل وقفت على الحيايد. عن هذا الحيايد يمجّداً مروة فيقول: «بعد الفضل في ذلك إلى رغبة الأتاتورك والألآن انضمامهم، فقد اقتضت مصلحة الطغرىون المتحاربين على بقاء تركيا على الحيايد، إذ إن زيجها في الحرب يوصل مع هذا الطرف أو ذاك كان يفتح أبواب تركيا أمام الروس لينخلوها كحليقة للتكليس أو كعدوة للألمان. وقد فصل الأتاتورك والألمان معاً بقاء تركيا على الحيايد على دخول الروس إليها، وكانت النتيجة أن بقيت تركيا بمعزل عن الحرب، ولم تملأ الحرب على ألمانيا إلا بعد أن أصبح الروس - وليس الألمان - على الحيايد البغارية في أوائل السنة ١٩١٥» (ص ١١).

بمعد حصوله على إجازة المخرج من السلطات الفرنسية بطريقة غير شرعية - ورغم سعيه إليها شرعياً في حلب وقتئذ - ركب القطار من تلك المدينة في ١٠ حزيران ١٩١١، مع صديقه ليجد فيه وسطاً من معارفي، بينهم الأستاذ عفيف الطيبي، والدكتور محمد حسن ساليان وزير المعارف في وزارة الكيلاني، والشريف محمد شريف نجل الرضي على العرش العراقي في عهد الكيلاني مع عائلة الرضي.

«تألفت منا حلقة عربية وسط ذلك القطار لحافل بالأجانب على اختلاف أنسابهم. بيننا كان الطلام بيض علينا، كان القطار قد بدأ يتسلق جبال طوروس، وتضخ بصغاره تدار بدخوله النفق الأول. في تلك اللحظة لقيت نظرة أخيرة على أرض بلادنا، فلم تمالك وعشة ودعماً.

وكان هاجس مجهول يتف في أفني: أنها ظرة الوداع... وديانة الغربوة العظيمة! جل، كانت تلك اللحظة بداية اللغرة ولكن من أين لي أن أحلم يومئذ بأن هاتيناه ستكون. بيروت - بريوت - بيروت؟» (ص ١٢-١٤).

في أنقرة، وتحديداً في ١١ حزيران/يونيو ١٩١١ احتل مع صديقه عفيف الطيبي غرفة إحصدة في فندق وجهان بلاس، ولم يكن مليث العهد بالعاصمة التركية، إذ رافها

أربع مرات قبل ذلك التاريخ. لم يخطف الكاتب إبعاده بتركيا وعاصمتها وزعيمها أتاتورك، رغم انتفاذه للحدود الذي يسودها، وطريقة انتقال الزعيم التركي السريعة بشعبه نحو الحضارة الغربية. لم تطل إقامة مروة في أنقرة، إذ سرعان ما غادرها وصديقه عفيف استانبول، وذلك في الأسبوع الأول من تموز/يوليو. سبب الانتقال كان ارتفاع درجة الحرارة في العاصمة وصعوبة العيش فيها صعباً.

في استانبول وصف لنا الكاتب الصحافي كامل مروة كيف أخذ المحاضرون العرب يتدفقون إلى هذه المدينة عبر الحدود السورية العراقية. «هذه الأمير عادل أرسلان يصل إلى أنقرة ثم ينتقل إلى استانبول، هنا السادة تيه العظمة عزة دوروة وأكرم زعير وواصل كمال ومحمد علي دوروة وزعيم دوروة يصلون رأساً من حلب إلى استانبول، ثم يلتحق بهم السيد عادل العظمة فيما بعد من طرق أخرى. هنا أيضاً السادة اسحق درويش والشيخ حسن أبو السمود وموسى الحسيبي والدكتور مصطفى الزكييل وذو الكفل عبد النظيف. ومن العراق أيضاً وصل السادة تاسي شوكيت والدكتور محمد جعفر طيار ومنه الجاشي وغيرهم. هنا من آلوت طعم بطول علي الأمير عادل أرسلان والأمير صهي أرسلان ونجله والسيدان رشاد وبربر صهي الدين الطويل وإلى جانب الذين دخلوا تركيا بجوازات وثائق، دخل الحدود التركية عدد كبير من اللاجئين من العراق أو من سورية. وقد وصل الفوج الأكبر في أواخر تموز/يوليو بقيادة المرحوم السيد عارف عبد الرزاق يرافقه السادة سليم عبد الرحمن وصالح الدين المختار وعبد الرؤوف عبد الرزاق وقلمس الكسراي (سياسيون عراقيون من العهد الملكي). وهكذا أصبحت استانبول في أفل من أسبوعين. جمعاً للمجاهدين العرب الذين آثروا الغربة على البقاء» (ص ١٦). في ألواس قُب أخطسلى ١٩١١ قدم إلى استانبول السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزارة العراقية السابق. وكان قد التجأ إلى طهران عند فشل الحركة الملمومة، يرافقه عدد كبير من أركانها. من هذا القدوم يقول مروة: «دب التنساق في الأوساط العربية، فراح رجالات العرب يتقصون الاجتماع تلو الاجتماع لتقرير موقفهم، أولاً من الأوضاع

الجديدة التي نشأت في الأقطار العربية، وثانياً من العروض المتنوعة التي كانت تقدم بها اليهم دول أسبعية عتقة بقية اكتساب وهم» (ص ٢٣).

لن نلوم الكيلاني إلى استانبول تركز اهتمام المقربين العرب في تلك الأيام على مصير سياسة الفتى الأكبر الحاج أمين الحسيني ورفاقه. فقد أدركهم المصير البرحسي الروسي على إيران، وهم في طهران. هذا يكون مصرهم؟» (ص ٢٤).

بعد هذا التساؤل يبري لنا كامل مروة القصة حول التحو الثاني. ومساء ذات ليلة في ليالي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤١، طلعت الصحف التركية تعلن وصول سباحته على متن طائرة خاصة إلى البانيا، ومنها إلى إيطاليا! وكانت مفسحة بكل معنى الكلمة، لذا ولغزناً، إذ كيف استطاع الفتى أن يخرق ذلك النطاق الحديدي المضرب بمر، ويتسلل من عالم إلى عالم! لقد كانت لهيات سوابق كثيرة في هذا المضمار. لقد وجد ملجأ له في سفارة عابدة تتمتع بالخاصة الديبلوماسية، فافتقر اليها» (ص ٢٦).

وتابع كامل مروة وصفه لطريقة انتقال الفتى وهو وصف شيق ويشير كأنه شريط سينمائي. المهم أن الفتى وصل إلى استانبول وأقام فيها أياماً قبله خلالها الجاشيون العرب الحساريون إليها. بعدها، غادرها بالفتى إلى بلغاريا وإيجاز الحدود التركية بهوته الإيطالية خارجاً، كما اجتازها نفسها داخلها. وفي بلغاريا الدولة المحصورة زال كل عطور وحضور، فساد والسنور حناويل الإطعالي صاحب السباحة مثير لبسطين الأكبر، ثم ركب طائرة خاصة إلى البانيا، منها إلى إيطاليا، حيث حلت العمة على القبة، واجبة على المصطف» (ص ٢٧).

في هذا النصوص من الأتاتورك والتشويق والحركة السليسية يتابع كامل مروة سرد مذكراته السدبانية عن الإقامة في تركيا وتدفع اللاجئين العرب، ليصل أخيراً إلى قصة انتقاله إلى فينا عبر بلغاريا ويوغوسلافيا. كل ذلك بالسرور مثير لأدب الرحلات يذكرونا بألمن الروماني ويوجولات الشعبية في مداخل الصحراء العربية وساربي. وللدهش في هذا الوصف للآل، بالخمر والمعارفة والحرف، تلك الصور البانورامية لألق تفاصيل الجغرافيا السياسية الخاصة بتلك البلدان وسيرة

## مروة يضيء بتاريخه الشخصي تاريخ لبنان والمنطقة



الرجلين كما عاينين عن برلين ذلك الأسير، لا تختلف برلين عن غيرها من العواصم الكبرى إلا في نظافة شوارعها، وفي انضمام الحركة فيها. لقد زرت في رحلات سابقة قبل زيارتي لها عدة عواصم أوروبية كبرى، ولكسيتي لم أَر فيها ما رأيت في برلين من النظافة. وهي تعبرني إلى سببين: شعور السليبي بالمسؤولية من حيث الفناء الأورق والأوساخ في الشوارع، وإقدامه على التنظيف ما قد يراه منها ولو الفناء غيره، وتأنبهما انتظام دوائر التنظيمات

ولعل أكثر ما يستلفت أنظار الشرقي الذي يجب عليه الأشماء والحديث، النظر إلى عشرات الأتوف من الناس وهم يمشون في الشوارع بسرعة البرق، دون أن يستوقف أحدهم الآخر. وقد زادت الحرب في هوم الناس، فزالنا آخر أثر للاشماء، حتى خيل لي أن كل برليني همزون مهوم، وأن كان هذا الظهور هو في الواقع جزءاً من الطابع الألماني أثناء العمل. ألبست برلين عاصمة بروسيا، (ص ٢١٠ - ٢١١).

هكذا يمتد كامل ملاحظة عن الناس والسلوك العام للبرلينيين أنها عاصمة بروسيا. حقاً لقد كتف هذه الفترة ذلك السرب المتفادين الفعالية للصرار بإبعاده التاريخية والواقعية المجتمعية. برسمكم كم هي عدد السنين والأيام الصامرة بالأطليب والخيال المربع التي يقضاه أهل الحبل والربط في محافل اليسار الشيوعي العربي أولاً، والثوري العربي ثانياً، لقراءة تناويز الجهر والاحتوى الخفيقي لمعاصم أوروبا الشرقية والأشراقية، والاتحاد السوفياتي، والنتيجة كانت بمثابة صلبة وإقرار متنازع وفادح بالحراسة لأن القراءة جاءت غلطاً... لا تؤخذوا!

أب لفارقة كبيرة ما حدث وعمدت الآن في العالم وفي وطننا، وهذا الأمر يجر على أعانة قراءه استنساخ الفكرية وترانسا اجتماعي وأشخاصنا التاريخيين، فلهذا تنعت أحياناً القاضية به مساعدته ذلك في مواجهة حرج وطرسة العصر الأمريكي الإسرائيلي. مذكرات كامل مروة من النوع الذي يصنعنا لإعادة الإنتاج رؤية شاملة لأسر الخسارة العربية المعاصرة يسارها وبمها وتنشأتها الاجتماعية والقومية التناسرية المشاكسة. □

الحياة تجاه روسيا؟ فسكت الضابط، واسمه كولوب، ثم قال: - إن ألمانيا لا تحتاج اليها في روسيا. لقد كتب علينا موقفنا الجغرافي أن تكون مدخل أوروبا وفرجها نحو الشرق، لذلك يحتفظ بها الألمان لحماية الأتراك. وما دام جيشنا سليماً عاهداً مربطاً على الحدود، فإن الأتراك لن يجرؤوا على مهاجمتنا ولن يسمحوا لالناكين بالمرور! أدهشتني أن أسمع هذا الضابط يتحدث عن الحرب والسياسة بمثل هذه الصراحة والسهولة، ذلك أنني لم أكن قد نعرفت بعد إلى جو البلقان، هذا الجو الموبوء بالاحقاد والشهوات والثورات منذ أجيال، هذا البلقان الذي اشغل دول العالم ولا يزال يشغله، هذا البلقان الذي لم يعرف السلام ولو جيلاً واحداً (ص ٨٥ - ٨٦).

هذه البقية التي جاءت تكميلاً لغيره الترحال والمشاهدة لدى الكاتب، متدججة بالتجليل السياسي للخريطة الدولية، علق كامل مروة، بيقية والبالغة بالكتابة على كلام الضابط وهو يشترط له في هاتين الفقرتين الخفيف الذي جرى بينهما على الحدود مستمسكاً بتفاصيل واقعية عن رغبات الشعوب والحيوش، بحبا وكراهيتهما، والمزوجة بالكلام عن السلام والانفاس بالحرب.

أما قمة الملاحظة عند كامل مروة وهضمه لمعارف الشعوب، تاريخها، سلوكها وسلورها فقد تجلت خلال اقتبسه في فيينا وزيارته المحافظة إلى برلين، ومن ثم عودته إلى بلغاريا والاقلمة فيها أكثر سنوات الحرب، عن هذه التجربة يتحدث فيقول، «ومند اللحظة الأولى أدركت البسوث الشخاص بين فيينا وبرلين. إن كل ما في عاصمة آل هابسبورغ يوصي بالانظمة والتسوية. أما برلين، فكل ما فيها يفرض عليك جو العمل الجيوس قرضاً، ترده الحرب تلهذاً واسوداً. كان عدد العرب في برلين أثناء هذه الحرب لا يقل عن الاربعمئة نسمة بين لاجيء سياسي وطالب وفي تاجر أدركته الحرب. فكانت القلي الأكبر الحاج أمين الحسيني ورئيس الوزارة العراقية السابق السيد رشيد عالي الكيلاني القطرين اللذين يجتمع حولهما العرب. بيد أن

شعوباً، إن ذلك وإن دل على شيء، فإن يدل، على سعة اطلاع الصحافي كامل مروة وخبرته الإنسانية الواسعة بدءاً من تفاصيل علاقات الشعوب والأمصار وسلطانها وصولاً إلى اندماج معرفته الجيوسياسية بيسوسلوجيا التنافسات القومية والعرقية والدينية، المتعلقة بحياة الدول ومراتب الشعوب وأجاسها الثقافية والإقليمية.

لنقرأ ما كتبه كامل مروة بتاريخ ١٩ شباط/فبراير ١٩٤٢ حين انتقل من استانبول إلى الحدود البلغارية، وهو في طريقه إلى فيينا: وأشار الضابط بيده إلى الضفة الأخرى من نهر المتيزا وقال: هذه هي ترافيا اليونانية. لقد انتزعها من اليونانيون في سنة ١٩١٣ وحرموها مصادراً الوحيد على بحر إيجه. ولكن الألمان وعدوا بأن يعيدها اليها بعد أن احتلوا اليونان في العام الماضي. وقد وضعوها اليوم فعلاً تحت إدارتنا العسكرية، وإن كانوا يحتلون هم الجزء الصغير منها، المتحدتي للحدود التركية. انظر تلك الرابة المنصورة على قمة الجبل هناك. إنها الرابة الألمانية، أنها رابة المدينة في القارة الأوروبية! قلت: لقد اعطت جميع الدول البلغارية الحرب على روسيا، فلماذا لم تشاركوا ألمانيا فيها؟

- لا نستطيع أن ننس أن روسيا هي التي حررتنا في سنة ١٨٧٨ من الأتراك فكيف نحمل السلاح ضد اخواننا وإباه هومتوا؟ كلا إن الجيش البلغاري قد رضي بمعاروة الأتراك والأتراكين، أما الروس فإن الأتراك الساحة من الجند تستكف من محاربتهم! - وكيف توقعون أنذ بين اخلائكم الحرب مع ألمانيا على أكثرنا وأميركا، وبفائلكم على





## النخبة المستنيرة والأنوار

صلاح الدين يونس  
سورية

أخلاق وسياسة) إلى أن الفكر الإسلامي اثناعي وليس إبداعياً. وأعطى شامعداً على ذلك: في غزوة بدر أهد الله عمعداً بنحو لم يروها وفي معركة ١٩٧٣ ادعى الإعلام المصري أن الجيش المصري المسلم قد أهد الله بقوة من عنده. حلياً أننا نعلم أن الجيش المصري عبر السويس بتكنولوجيا الغرب ونشراء الغرب (والروس)، لكن هذا الادعاء هو اكتهال للذهن السلبي، في طور الاخفاق، على ابداعاته الأولى في طور الازتقاء. وفي معرض اعتراضه على النخبة التنصافية في مناسحتها للتجربة الأوروبية في التنوير وتوظيف معارفها في التحديث العربي وعشرهه الحضاري يقول: (أجل الحضاري يجب أن يكون من الداعل وليس خرابياً ومادة التغيير يجب انتاجها من الامة وليس من أصدائها... والاقتداء بالأسلوب الأوروبي يمر في النهاية إلى الاقتداء بالموجع والسطوة فيه ولو بعد حين). هذا الاعتقاد هو استمرار لنموذج التفكير الأحادي في الأصل الفكري الذي يعتقد بانفصال الفكر الإنساني عن بعضه انفصلاً تاريخياً ولا يقوى هذا الرأي على النقاش ولا يقوى مثبته أن يقدموا تجربة لامة لم تتقاطع مع أمة أخرى. وليكن شامعدنا التوحيد الاسلامي - الذي أخرق نصوصه - القرن - من تجريبي التوحيد اليهودية والمسيحية واعترف بالنهائج المسيحية السالبة (سورة مريم) - موسى - والرواية العشر - أعدها الإسلام كما هي - بالمقابل أهد الأوروبيون من تجربة العصر العربي البسيط، فكيف أخذ ابن رشد عن أرسطو أخذ توما الاكبري عن ابن رشد. وفي تاريخ الكنيسة حتى القرن ١٨ كانت القسم التالي يقسم أو يؤدي في أروقة الكنيسة: أقسم بالأب والابن والروح القدس أن التزم بتفسيرات ابن رشد في اللاهوت. وقد أهد المشروع اليساري ١٧٩٨ - ١٩٤٨ م من مقولات الفكر الأوروبي باتجاهه المركزي - الليبرالي. إذاً أجل الحضاري ليس خارجياً ليس داخلية. إنه جدل الداعل والخارج. أنه وفي للامداد دون استلاب واعتراف بالآخر دون الامتثال له. وبذكروا الكاتب نهيش: ديان النهضة الأوروبية

التي ينسها إليهم إنما محد تنقيداً لأراحل تاريخية عربية اسلامية. قاموا بعملية تصنيف والتصنيف شكل من أشكال التعد (حسين مروة في مؤلفه: النزعات للمادية في الاسلام). الفرق بينهم وبين الأستاذ نهيش هو استعاره بالوصفية الإسلامية، وإزاء انتقادهم هذه الوصفية، ينهم الكاتب النخبة (بأنها ساطقة فوق المجتمع) وهذا الاهتمام صدره أمراء الأولى: عدم التصنيف السليم لتربية النخبة واستيعابها العربية. والثاني إيانه بأن الواقع الثقافي من الاسم الأخرى. وقد غريباً، وظل غريباً ولا يمكن أن يدخل في ملاصقة ثقافية مع ثقافتنا.

كيف يمكن أن تكون النخبة مثالة للمجتمع؟ النخبة تعني التفرّد ولما عنيدياً بمهوسين، النخبة لاهرية التي تقول بالظلمة بين القامات والبيئات والسطوات. والحيمة معرفة التي تنم على التوصل إلى حسم جداً وسدا كنعاً وعبرية بين الماضي والحاضر بين السياسة والدراس. ويقدم أهد على حد طيب تيزيني في سورة - محمد عبد الجباري في المغرب - محمد أركون الجزائري في فرنسا. على الرغم من ثبات النهج بين هؤلاء إلا أن الشاغل واحد وهو إعادة الاعتبار للثقافة الدينية وتحليلها من الأوهام والسحر، والشاغل الآخر هو التزاع الحديث في التراث السلبي من عتكره من أصحاب الاتحاد السلبي الديني - السلبي القومي (سيد قطب، سامح المصري).

يقول الكاتب نهيش: (ولو أوروبا الطلابية لما كانت أوروبا بصاحبة إلى التنوير. ربما تكون عندنا للمساءلة مختلفة وهذا صحيح). القسم الأول من النص حق أهد به بالمطل. صحيح أن أوروبا مرت بمرحلة ظلامية، وصحيح أيضاً أنها مرت بمرحلة الأنوار؛ ولكن لا تحتاج للمجتمعات الاسلامية إلى تنوير؟! أم تمر بمراحل ظلامية؟! ليس الظلام طابعها للمهمين اليوم؟! ليس المتقنون والأفراد في حال صراع مع الظلامية الاسلامية وريته المليك والمغشحيين؟! ليس السحر الذي يعيشه المسلم تجاه إسلامه (السياسي طبعاً) أشد الظلامية ظلاماً؟! لقد أهد الأستاذ أركون في كتابه (الاسلام

■ من أين نبدأ مع الأستاذ وليد نهيش؟ أنبدأ من حيث انتهى إليه أم نتزاع بنية نصه المركزية. ثم نشرق مع تفريره ونغرب مع تشريعه؟ كل هذا محتمل. وغير محتمل هو الآخر إلا أنه لا يمكن أن يكون جائزاً على لغة الفقه أو لغة المتكلمين. هو أن نتفق معه في أي جانب من جوانب مقاله الذي غنّته (النخبة الظلمة والظلام) في مجلة (النقاد العدد ٤١) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١.

وعدم الاتفاق معه جزءاً أو كلاً لا يأتي من رغبة خاصة في مخالفة المهتمين بشأن التاريخ الثقافي وثقافة الجليل أو التناصير والتحديث - إنما تأتي هذه المخالفة - بل هذا الاختلاف انطلاقاً من عتق آخر ومن إيمان آخر ومن وهي آخر لمسألة الدين والدولة والعصر والمعاصرة والمجتمع والسياسة.

يبدأ الأستاذ وليد نهيش مقاله: بالمجموع على المتقنين العرب واصفاً إياهم بأنهم في حال انفصال من الجاهل، وفي حال شتم هم عند ثباتين مزاج للثقف والمجهور. وتبدأ شصارات (الديموقراطية - حرية الرأي - الحق في التعبير) سمجة، وتتساءل: من لا يفهم الآخر المجتمع أم المثقف؟ لغة الكاتب هنا تنفذ الوحدة الطيفية فالمجتمع والمتقف ليسا متقابلين وليس متصادمين. أمر طبيعي أن يستغل هذا المتقف على مجتمعه استعلاء معرفياً حتى يكون أقوى في عملية التثوير - التجسيد - التغيير. المثقف فرد (والفرديانية) ضرورة ملحة من موقع الاتصال بالمجتمع والانفصال عنه، وبالقدر الذي أؤمن به بابتنائية علم التاريخ (ماركسي) أؤمن به بأن الأفراد يكثفون تجربة المجتمعات وتلخص فيهم أشرافها إلى التشكل السويدي. ينهم الأستاذ نهيش التيار العلماني - اليساري - الماركسي - التنويري بأنه يرضي ذاته بالقدرة الذي ينهم في التقاليد بالجهل.

نحن في الوقت الذي نقد في هذه التيارات وبرع عبا الفداسة الفكرية رمض الرض صمه اتعلمها السريع غير للمتمد على نصوصها. نرفض أن نقولاً أو يقولاً غزناً ما نكل. لقد أطلعتنا وأطلع غزناً على برامج الأحزاب وسائر الكتاب فها وجدنا هذه النهم





التصف الأول من القرن الحاضر في مصر. لقد ساهمت العملية المسيحية (الشدياق، البازي، مراثي) في إيجاد المناخ الملائم لتيار الماركسي لا من الواقع الذي تبناه الكتاب وليد نويش (وهو أنهم جاؤوا من الخارج فوق الجميع ومن غير تاريخه) إنما ساهم هذا التيار في خلق الأجواء الماركسية من خلال تأثير رجالات العملية المسيحية (شدياق - بازي، اسحق) بالوضع - بالمقارنة. وخاصة بعدما انتشرت الماركسية - مرفقة بالترعة الليبرالية. وبعد هذا نلح التيار الماركسي يترب إلى قراء السنة في المدن. وإلى المسلمين من قوميات أخرى (غالب) بكداش الكردي (سورية) وقد ترجم البيان الشيوعي ١٩٣٠.

وعودة إلى نص الأستاذ نويش... فلما نرفض رأيه القائل: إن الغرب أسقط الشرق المسلم نتيجة استبداله للشرع الإسلامي بالقوانين الوضعية لانا نعتقد أن العرب والمسلمين دخلوا عالم الحضارة في صراعهم مع الغرب الأوروبي وإن السلاح الثقافي الذي استخدمه العرب ضد المستعمر الأوروبي هومن إنتاج الثقافة الأوروبية التنويرية. الذي انفصل تاريخياً عن أوروبا السياسية المستعمرة. ولو أن الكتاب نويش تربت قليلاً لوجد أن القوانين الوضعية في مصر لم تستكمل على يد نابليون إنما جاءت من خلال تجرمة محمد علي باشا (المسلم) الأبالي الذي حكم مصر ١٨٠٥ - ١٨٤٩. وإلى هذه الفترة كان محمد علي باشا (المسلم) قد أحدث قطيعة تاريخية مع أساليب الشرع الإسلامي وألغى مصر بالعالم الحديث (أوروبا - فرنسا) وهنا يسطر على الكتاب حول اتهاماته للأقليات باستغلال الفكر التحديني (الهذم).

ينتقل الكتاب بعدها إلى رجلين هما رفاعة الطهطاوي وطه حسين. ويعتبرهما مسؤولين عن فتح باب الغرب والاندهاش بالثقافة الأوروبية: ثم بعد ليهم الشعب قاتلاً: وقال: «لقد انتخب في معظمها فئات اجتماعية تزحت من الريف إلى المدينة بعد أن ثلث قسماً بسيطاً من العلوم الدينية والأدبية... بعد ذلك ترسل إلى أوروبا... وتعود لتأريث الأدب والسياسة ووصلت بعد بعضهم حب الزعامة والتأريث الأحزاب على النمط الأوروبي بحجة توريث المجتمع...»

للملاحظة الأولى على هذا النص هي العمومية والأطلاق. والشهم دون التصفين بالتبني الذي يتجسد منها منها إيماناً بالاندهاش بالغرب وبمازستها ما يجلو لها في بلدانها ليست بنية أحادية. لقد حلت رؤى مختلفة وانتهجت مناهج متباينة. فرفاعة الطهطاوي - رائد الغامرة التنويرية الأولى

فصل الدين عن الدولة.  
وهنا نلاحظ جانباً الطرح الديمقراطي عند دعاة الفكر التنويري... لأنهم يعلمون أن الأغلبية ستمسك سنية. وفي هذا القلق وسلاح الديمقراطية تنحى الأقليات عن مطالبها.

على الضفة الأخرى طالب النج السلفي الدين الإسلامي بإحياء الخلافة ودولتها في محاولة منه لاستعادة صورة التاريخ البهيج الذي لم يسع المسلمون من بعده أية صورة أخرى وعاشوا على أثره حالة من الانبهار والاكتمال المسترئين طأ منهم أن الأول ما ترك للأخر شيئاً. الخطاب الإسلامي شدد على المرجعية الفقهية حتى لا يسلم للنخبة اللاتينية بالعصرية أو بالحكم. وعلى هذا نغني مقولة الأستاذ نويش بأن المبررات الأقليات جاءت من الخارج أو ساقطة فوق الجميع لا تاريخية.

ينتقل الكتاب إلى حلة نابليون على مصر ١٧٩٨، ويقدم رأياً يقول فيه: «تعتبر لفظة نابليون أول محاولة عرفتها دولة إسلامية في إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية وهي أن دلت على شيء فإنها على الأقل تؤكد أن الغرب يعرف مكانة الإسلام ونقاط ضعفه». والغرب يترك أن مشككتهم مع المسلمين هي في تطبيق الشريعة لأنها تشكل الأساس القانوني للدولة الإسلامية. فلا جيلت أو استبدلت بقوانين تشريعية أخرى انهزمت الدولة وسقطت تحت سيطرة الغرب بسبب الانفصال بين قانون الدولة وقانون المجتمع.

النص - كما نرى - ينضج باعجاب الكتاب بنفسه. وكان فكرة القانون ولدت مع المسلمين وانتهت عندهم. لو أننا سلمنا - من باب الفرض - بأرجحية التشريع الإسلامي على القوانين الوضعية. لجاز لنا أن نطرح الاستفهام التالي: هل الإسلام القائم في مصر قبل نابليون أو في البلدان الإسلامية العربية وغيرها هو إسلام محمد الروحي؟ (وقوانينه) قوانين الشرع (القرآني)؟! أم هو إسلام آخر؟ اعتقد أن الإسلام الحمدي صار متحياً منذ قيام دولة الخلافة الأموية - أي الدولة السياسية - (والإسلام السائد) هو إسلام أتتته العقل الفقهية الذي وجد نفسه في موقع التوريث للدولة السياسية. من جانب آخر نرى التناقض في الفكر النويشوي على مسارين: الأول التيار الإسلامي المعتدل (التوفيقي) والتيار العمالي الميسري. التيار الأول أبعد من تيار التحديث كالميراث ليجيا. التيار الأسسوي الإسلامي والتيار الشاذ - يتطرفه - التنويري أجبر التوفيقي الإسلامية على العقلانية (محمد عبده) وهذا ما ينضج في التيار الذي نشأ في

قد بدأت دينية. بدأت من الدين ضد الكنيسة ولم تكن من الكنيسة ضد الدين... فالكثافة المنطقية عندنا هي مع السلطة ضد الدين ومع الغرب ضد دينها وشخصيتها وهويتها.

كيف بدأت النهضة الأوروبية؟ دينية؟ بدأت في حركة الإصلاح الديني - مارتن لوتر. وساهم فيها الكشوف الجغرافية - (رحلة ماجلان حول الأرض - كريستوف كولومبوس) والكشوف العلمية وخاصة الأوروبية التي خرجت خارج مسار التاريخ الطبيعي وفزعت النقد والأدب الأوروبيين وسلمتها بالخلف والاصطفاء، خلصتها من اللاهوت، والنقد التاريخي السلي نظراً إلى التسوية كنس أي قابل للنقد والتهميش. وكان سينوزا - القرن ١٧ - قد ساهم في تأسيس عصر العقل الأوروبي أي عصر النقد للمقدسات اللاهوتية، ودخل في حيز حوار مع الحلق.

ينتقل الكتاب نويش إلى اتهام الأقليات الدينية وللذهبية... فيقول: «ولقد منح سيليان القانوني ملك فرنسا فرنسوا الأول (١٥٤٤ - ١٥٤٩) الامتيازات الأجنبية. شُمتحت فرنسا بصوتها حق رعاية الأقليات المسيحية. ولكن اشتداد الأقليات الفئوية إلى الخارج ونمو نوع من الوعي القومي الطائفي. أمر أدى إلى بداية تفكك المركز الإسلامي وفرد الأطراف عليه... الزد على هذا الرأي يبدأ من الفصل بين الحداثة وبين الأسباب التي تدفع إليها. فلم يكن سيليان القانوني، الممثل للمركزية الإسلامية الشثائية، ليتراجع أمام التحدي الأوروبي، لولا أن تداعياً داخلياً في إمبراطوريته، فرضه تنازع القوى القومية فيها وتعددت الحاجة في المركز والأطراف لكسر طوق العزلة، الذي فرضه نظام السلطة المنقلب عن أصل علاقته ليجداد أو دمشق أو الجزائر.

فلما كانت الأقليات أكثر استجابة للتغيرات فألسباب موجبة كان في مقدمتها توجهها للخصاص من الطوفان الطائفي للطائفة السنية العربية. وهي تعيش حالة استثناء ديني وقومي، مدعومة بالخليفة الشثائية. لقد حمل رجال التنوير اللواء لرب الليبرالية في النصف الأخير من القرن التاسع وهم في أحليهم - مسيحيون - أو مسلمون غير سنيين. ولم نلاحظ في الخطاب التنويري تقليداً حتمياً للتنوير الأوروبي كما ذكره الكتاب وليد نويش... إنما رفع الخطاب التنويري شعار المصالحة. وهي تعني عنده الاعتراف المركزي للشثائية السنية بحقوق الأقليات القومية والدينية. أما عند الأوروبيين فكانت تعني



المغزيبين العرب أو المستشرقين من الغرب شكل آخر لجلد التاريخ. ولا يمكن لأحد أن يتصور أن تجربة الأمة ولدت كاملة، ولا نجد في تجارب الأمم الأخرى نقداً لها أو تصويهاً أو تقييلاً أو استكمالاً.

لقد قدم المفكرون الأوروبيون آراء هامة في حضارتنا وتجاهلوا... ولنا من كلام ماركس - الذي أجد الاستشهاد به ضرورياً في هذه المرحلة أكثر من أي وقت آخر - شاهد على ذلك: يقول في معرض حديثه عن تجربة محمد علي باشا في مصر: "إنه الرجل الوحيد الذي قوي على أن يستبدل العجالة - الدولة العثمانية الإقطاعية - برأس حقيقي - الدولة البرجوازية الحديثة... لقد قدم مكسيم رودنسون في كتابه الإسلام والماركسية والإسلام والرأسمالية آراء مقنعة.

لكن وحتى لا ننسى فإن كثيراً من الكتاب الأوروبيين قد بالغوا - على الطريقة الرومانسية - بامتداح العرب وفنوتجائهم الحضارية والعصرانية، وبنينا تسامحاً هل هذا عبارة عن رأي؟ أم هو تصور متعمد غرضه إبقاء الرأس موهوماً بجسده الغزلي؟؟ لقد بدأت هذه الامتدادات على أيدي (غوستاف لوبون - سيدوب - ماسينيون - زغريد هونكه) وانتهت - ربما لم تنته بعد - على يد روجيه غارودي الذي غادر موقعه المعرفي ضمن إشكالية الماركسية الأوروبية - الغربية - إلى الاندهاش بالإسلام ونصوصه (الحية أبدأ) في (كتابها ما يمد به الإسلام) - والغريب أن غارودي كان قد هاجم الشرق الشيوعي على أنه يعطل الدستور الديمقراطي، ولكنه عاد ليتمتع بالدستور الشرعي الإسلامي واصفاً إياه بالكفاية... هذه الامتدادات - باعتقادي - كان يؤسسها عربية وإسلامية - ليس لها مصلحة بالتبوير - بدفعها... لأنها تلاقح مع السلفية الإسلامية والقومية في موقع (وما تركك تضلضوم للمتاخرين شيئا) □

العثمانية، وفي هذا تلاقح وآخر مرة مصلحتنا الانكليز والعرب. ثم عادت لتتقاربا وخاصة بعد الحرب الأولى. لهذا المجتمع الإقطاعي العثماني - الإسلامي - التوحيدي - يتراجع أمام المجتمع الأوروبي المسيحي - التنويري، وليس كما توهم الأستاذ نوبس أن النخب من الأليات دفعت بالإسلام إلى التشكيك. الفكر التنويري صار قويا... على انقاض الفكر الإسلامي الذي كان قويا.

يمني الأستاذ نوبس مقاله بقوله: «حصر الفكر التخريبي دوره في تقطين: الأولى محاولة تزوير الواقع لتسيير النص الأوروبي... الثانية: تحريم النص الإسلامي من أصله التاريخي والمتعرض من موقع التفكير لا من أرضه الواقع... لو سلمنا معه بأن الغربيين - والمصلحن له - زوروا الواقع ليمتكن من قبول النص الأوروبي. وإن النخبة المتممة بأنها لا تاريخية - على رأي الأستاذ نوبس - لجاز لنا أن نسأل... أي واقع - هو إذاً واقع النص الإسلامي - الخلافة العثمانية - العربية؟؟ والأولى بنا أن نسأل هل تم تزوير النص الإسلامي في المرحلة الحديثة لم في دولة الخلافة التي بدأت عام ١٣٠٠هـ وانتهت بسقوط عبدالحكيم العثماني عام ١٩٠٩م... لو عدنا إلى (النص) لوجدنا الخلاف قائماً ومستمر بين وبين الفقهاء. وبين ماله انتقاله من طور الشرع إلى طور الضمير ثم التأويل ثم التحليل عليه - عند الحاجة - الغربية - السلفية بالقبائس والاحتجاجات... للذين وثقوا للإمامين أرباع النص - أو لتقريب المسافة بين وبين الحياة الحالية - طبعاً.

من جانب آخر لا تبدو الثغور التي فتحها المتنورون المصريون والسوريون (ضمننا لبنان) تزويراً للواقع العراقي - السياسي - العربي الإسلامي... كما تبتدى لأصحاب الرأي الانتهائي في تفسير التاريخ... أن هذا القاطع أو التواصل بين العرب والأوروبيين عبر

١٨٠ - ١٨٧٣. وضمن إشكالية للغة الفرنسية في مصر ١٧٩٨ - ونقل الصراع الأوروبي (فرنسا - بريطانيا) إلى الخارج - تبين له أن التحديث العربي ننظر إلى التنوير - وانفتاحه له يعود إلى هزال البرجوازية العربية مما جعل هذه البرجوازية تتوجه إلى الغرب لا بأن الدخول العربي كبنية تاريخية يفتقر تراثه وحاضره إلى أسس ديمقراطية، إنما لأن العامل الخارجي كان لأفرو في الوقت نفسه القدر على تحريك هذا الكامن الداخلي. الخارج - الأوروبي - يقبل أن نلتحق به كنموذج يلق عند حدود. لذلك لم يساهم في عملية جذرية للتنوير وإنما ساهم في تصدير صناعته الحديثة نستشرها في ظروف تختلف. من هنا كان رفاة الطهطاوي بمشروعه التنويري القائم فعلاً على لانتهاز بالغرب ضرورة ليكون التنوير كاملاً لا جزئياً. مشروع الطهطاوي مشروع غير متصل عن التجربة التحديثية لمحمد علي. وقد دعا إلى إنشاء دستور منظم على أنقاض دولة الخلافة العثمانية التي يكنها الأستاذ نوبس - والأهم في دعوة الطهطاوي هو وضعانية الدستور، لا شرعانية. لأن هذا أساس في عملية فصل الدين عن الدولة - وبالنتيجة هو فصل العرب عن العثمانيين - أي تكوين الدولة الحديثة. رفع الطهطاوي لواء العمل، في مجتمع مستسلم للغيب والعبادات، بنشد خلاصه في حجة المسلمين للوهم. والتي تليقها طغاطات المسلمين حجة مكاتبه بفعل تأويلات الفقهاء والتفافهم على النص. نذكر الأستاذ نوبس بأن تنويرات الطهطاوي حلت دعوة صريحة لتعليم المرأة، وضرورة عملها. الطهطاوي: والعمل يصون المرأة ويغريها من الفضيلة... لم ينس الطهطاوي الشريعة والتعليم العام. إذ دعا إليها وبربطها بالتربية الوطنية. وكما كانت هذه الدعوة ضرورية في وقت تفتت في معاليمه الوطنية أمام الرابطة الإسلامية العثمانية. أما طه حسين فهو المفكر الآخر الذي حمل عليه الأستاذ نوبس. والحكمة على الرجل قديمة وستمر. ظلما المجتمع العربي الإسلامي يبرز تحت الهيمنة الإسلامية (السائدة) والسلفية القوية ذات الأصل الشيعي... طه حسين تابع السلسلة التنويرية فصاح بالغة التنويرية الثانية (١٨٨٩ - ١٩٧٣). ولكن قبل الحديث في هذا المشروع تبين للاستاذ نوبس أن الظروف السياسية التي أحاطت بالنخب كانت ذات تأثير في مسارهم. لا الضرب وحده حدد لهم هذا المسار. لقد بدأت المشكلة مع ما سمي بالثورة العربية الكبرى - الشريف حسين ١٩١٦ - هذه الثورة كان وراءها الانكليز رضاء معاداهم لنمو المجتمع العربي في التحديث أو في غيره إلا أن الثورة الزعموية قد قامت بفصل جليل وهو قطع الشرق العربي عن الدولة

# اليمن الجنوبي

الحياة السياسية:  
من الاستعمار إلى الوحدة  
علي الصراف



## تشويه الحقائق

ماجد جمال  
سورية

وخدمة للقضية الكردية. ثم من أين استقى عاصم الجندي تقديره الجيد، ولماذا لم يكلف نفسه بنظرة قريبة إلى الخرائط تكون أقرب إلى الواقع. فإذا كان عدد سكان تركيا (٤٠) مليون ونسبة الأكراد أرضاً وسكاناً الثلث فهذا يزيد عن (١٣) مليون بالإضافة لربع العراق وأكثر الربع في إيران وعشر سورية. مع العلم انه من العادات المحيية لدى الأكراد الزواج المبكر وزيادة النسل. عزائنا في ذلك معرفة الواقع العربي المظلم بالتجزئة والتخلف والتبعية والاحتلال والاضطهاد. الذي يقف كتأبه مكتوي الأفلام أمامه مما يشكل شعوراً لدى الأكراد بضرورة الإخاح في وصول قضيتهم إلى أخوته العرب بالشكل الصحيح. مما يشكل الفسلفة الأكيدة لدى الشعبين الشقيقين لتجنب متاعب ومخاطر تعود للشعبين بالحسارة والسلب وربما بندها يمكن تلخيصها. □

أبعد تقدير...  
وما كان هذا الكلام لا يكلف الكاتب كثيراً لكنه يضرب عرض الحائط مشاعر مليون ونصف مليون كردي يعيشون في سورية في مناطق شاذية لتركيا والعراق وضعهم اتفاقية سايبك... بيكو هناك. ولا يمكن تغطية بمقالة أو كتاب يكتبه وضابط أممي

■ الموصل وصياً على الأكراد كان عنوان عرض الكاتب عاصم الجندي كتاب منار الموصل والحياة السياسية والإخبارية في كردستان الذي نشرته والناقد في العدد ٤١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩١. وحيث أمسك بالقلم وأكتب هذه الملاحظات يتابى شعور المجوز الكردية التي كتب عنها سعدي هادي في والثقافة الجنديته والتي كان سعدي هادي يتربد عليها وفي خضم معارك شبال العراق بعد إحدى الغارات وأته المجوز قانتية ما يفعله العرب بحق الأكراد ففجل سعدي وبعد ذلك اعتذرت له كثيراً وأصبحت كلما تراه أو ترى أحداً من معارفه تمتثل إلى أن استشهدت على يد القوات العراقية.

وهنا ملاحظات عن بعض الجمل التقريرية الضمنية التي تشوه الحقائق أي تشويه.

١ - وان تكذب في موضوع شديد الحساسية كموضوع الأكراد... التي يتألف بها الكاتب للقال يظهر مدى الإزهاق الذي يعتابه الكاتب العرب في الكتابة عن موضوع الأكراد ويدعوهم إلى الانغلاق إلى الوقت الذي لا تلاحظ فيه أي حضور لموضوع الأكراد لدى الكاتب العرب وحتى عندما يتعرض الأكراد لأشنع أنواع الجرائم والمجازر وبجزة حليلة ١٦ آذار ١٩٨٨ التي راح ضحيتها ٥٠٠٠ قتيل و١٠٠٠٠ جريح بشارت السيادة والحزول واحتش لها خمير العالم إلا ضمير أشغافهم العرب.

٢ - وهل إذا اضطهدت دولة ما شعباً ما يكون من حقنا أن نمتنع بعدم اضطهادها له بالقد الذي يضطهده في موضع آخر... كيف تنطق بلسان المضطهدين ومن قال بأن هناك من اضطهد شعباً في العالم بأسره أكثر من اضطهاد نظام صدام للأكراد. وهل هذا يحتاج دليلاً.

٣ - ليس هناك من عربي يشتي أن يرى إلى جزء من وطنه العربي منسلخاً عنه... هناك شعب آخر منذ عشرات الأجيال... إذا فالأكراد كالآرثريين يبردون سلع جزء من الأرض العربية.

٤ - والأكراد شعب توزع هو وأرضه في ثلاث دول... ويبلغ تعدادة ستة ملايين أو سبعة ملايين في

## الكتابة بلا عقل

سالم العوكلي  
سوريا

التيجة للموصلة لا تعرف بأي عقل يكتب على هاشم يصنعه كموطن عربي تعرض لإلقاء العقل - إلا إذا كان استثناء من هذا الوفاء أو أن عقله ليس عربياً. إن الاختلاف من الظواهر الصحية التي تثرى الأفاق الثقافية وتجعلها أكثر قابلية للتصحيح والتمتع ولكننا للأسف أمة بقدر ما هي لا تعرف كيف تنق. لا تعرف كيف تختلف ومعتظنا لم يرق حتى الآن إلى هذه القضية... فيجبر أن يقرأ كاتب - كمل هاشم - أي أفكار تختلف من وجهة نظره بهم هذا الكاتب بأن عقله قد احتل ومنع من التفكير... وبدون منطق أو وعي... ثم يأتي ببراهينه الساذجة وغير المنطقية لإلغاء هذا الكاتب بكل توجهاته وأفكاره فيدخل في موندلوق ضاحك أمغار بنغلانش... والعصقي في

■ في العند الأرمين من مجلة الناقد... مقال  
الكاتب على هاشم بعنوان "العرب ألعو العقل قبل أميركا... فوجئت ببرود حساسة عاطفية خالية من أي تسرو أو عقلانية... مهاجماً فيها مقالة صبري حافظه في العدد ٣٧... والذي يحاول فيها أن يبرز قراءة أولية لكاتب سبق نشره مع إبداء بعض ملاحظاته النقدية. وأتانا لتست بصدد الدفاع عن أحد أو إدانة آخر... فأتا في الواقع لا أعرف أحدنا من الكاتبين... ولم أقراً حتى الآن الكتاب المنشو به للدكتور - رفعت سيد أحمد - وعلماء وجواسيس - التفتخل الأميركي الإسرائيلي في مصره ولكن أحاسول بقدر معرفتي وسيداني أن أضع النقاط على الحروف بعيداً عن أي تأثيرات شوفية أو انعالات طارئة.

فيا وريد في للفسالة... ليس وجهة نظر الكاتب - صبري حافظ - ولكنها قراءة موسرة فيما جاء في الكتاب للمصدر... وإذا كان قد أبدى من خلال قراءته أي حاسة للأفكار الواردة في الكتاب فهذه أيضاً وجهة نظره ويجب أن نحترم.

من خلال رد الأستاذ على هاشم نجده يوافق من خلال العنوان على مبدأ "الغاء العقل العربي" ويظل الخلاف حول مائة من أمتي هذا العقل؛ وبعد هذه

القطب الشبالي... ويضاف السودان واليمن... ليوطنها توطيماً بأهناً كي تدافع عن أوضاع سياسية معينة... وتقف بهذا الكاتب إلى الجحيم... وكثيراً ما نسع هذه الكناك في المسرح المصري للسيطر الآن على معظم العقول.

ويحتم هذا الفاصل الكفاكي بإيراد قصة أسطورية كانت تروى كنتكة أنها المسائل للبلغة في

الأجهزة الأمنية العربية وإيرادها كحقيقة تاريخية تدل  
النظام العراقي .

أما ما يخص حرب الخليج . فالتا لا تختلف عن  
ماضٍ خاضع للتمتعة أو وجهات نظر فلسفية ، فحرب  
الخليج ورغم كل التحميم الإعلامي حرب عاصرتها  
جميعاً وتعرف كتبها وتفاصيلها ، فلا ثمة اختلاف على  
أن غزو الكويت كان صلاً يخالف كل القوانين الدولية  
والأخلاقية . . . ولكن ماذا بعد ذلك هذا هو  
الاختلاف . . أن تنفق دول عربية في دور الكويكبات  
مع القوى المتحالفة لضرب العراق فهذا ما لا يتقبله  
عقل عربي حتى وإن كان «مغلق» . . وما جاء هذا  
التواطؤ إلا نتيجة فعلية للجهود الإعلامية الأميركية  
والصهيونية خلال السنوات الماضية لاحتلال العقل  
العربي كي يصبح متربداً في مثل هذا الطوف . .  
وقوات أميركية متحالفة مع الكيان الصهيوني والحلف  
الأطلسي تحشد لضرب الشعب العراقي - ويغضب  
الشعر من ما حدث للكويت من احتلال ويبدون  
حرب» بالتاكيد لن تسكت عليه الدول العربية بغض  
النظر عن كل ذلك . . كيف يتردد أي عربي صادق عن  
التعاطف مع شعب العراق . . في الوقت الذي تعاطف  
معه مواطنون من أميركا وبريطانيا وكل أنحاء العالم .  
إننا جميعاً نعتز بمصر . . ونؤمن بتقاسمها وإيمانها  
المطلق بكل الحقوق العربية . . ولكن ما حدث خلال  
سنوات الانفتاح فاجأنا جميعاً . . حيناً عدنا إلى مصر  
ورأينا كيف تحولت أرض الكنانة . . لقد أصبحت  
نحس بالفرقة داخل مصر ، فكل واجهات المحلات  
وأسيافها وكلمات الترحيب وقوائم الوجبات الغذائية . .  
كلها تحولت إلى مصطلحات أجنبية تحتاج إلى  
مترجم . . . أيضاً المسرح والأدب والسينما والأغنية ،  
أصبحت كلها إلا النادر جداً مفرقة من كل المصوم  
القومية والوطنية . . ووسيلة تخدع للمواطن المصري  
الذي يحاصر إعلامياً . . ففي خمس قنوات للتلفزيون  
المصري لا يُقدم أي عمل عربي درامي أو براغمي في  
الوقت الذي تنتشر فيه الأعمال الأميركية والأوروبية ،  
ونحن نعرف التطور الفني الذي تشهده سوريا والعراق  
ودول المغرب العربي وغيرها والتي بدأت تحصد كثيراً  
من الجوائز العالمية بأعمالها المثقفة والمثيرة . . أيضاً ما  
حدث من اعتقال للشاعر الكبير محمد عفيفي مطر  
والذي أعرفه شخصياً لا هم له سوى هذا الوطن  
العربي وما يسانيه . . والذي قامت مجلة السانقد  
بمجهوده رائع للإفراج عنه مُتعت بسببه من الدخول إلى  
مصر والديمقراطية مصر التي حيناً أرادت أن أقضي  
فيها شهراً للعسل ، منعت من ذلك لأن زوجتي  
فلسطينية تحمّل وثيقة سفر لبنانية تمنع بموجبيها من  
دخول مصر «العربية» . . وتساملت . . ماذا لو كنت  
متزوجاً أسراً لبيلة . . ١٩

## جائزة «يوسف الخال»

للسعر . ١٩٩٢

### النتائج في نهاية السنة

بموجب شروط «جائزة يوسف الخال للشعر» للعام ١٩٩٢ ، أُنقل  
في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ باب قبول المساهمات . وقد بلغ  
عدد المساهمات المستوفية لشروط الجائزة التي وصلت حتى ذلك  
التاريخ ١٩٦ مجموعة شعرية موزعة على الأقطار العربية حسب  
التالي : ٧٥ سورية ، ٢٧ المغرب ، ٢٥ لبنان ، ١٤ تونس ، ١٠ مصر ،  
٨ فلسطين ، ٧ السعودية ، ٧ الأردن ، ٦ العراق ، ٥ ليبيا ،  
٤ الإمارات العربية ، ٢ سلطنة عُمان ، ٢ السودان ، ١ البحرين ،  
١ اليمن .

ونظراً لكثرة عدد المشاركين في الجائزة ، وتسهيلاً لعمل اللجنة  
التحكيمية ، فقد شكلت لجنة فرعية مهمتها القيام بالتصفية الأولى  
للمجموعات الشعرية الثمانية .

كذلك شكلت لجنة للتحكيم مؤلفة من خمسة شعراء ونقاد ،  
سيحل عن أسماهم عند إعلان نتائج المسابقة في نهاية ١٩٩٢ . وتذكر  
اللجنة التحكيمية كما يذكر الناشر بأنها لا يدخلان بأية مراسلات  
بشأن المسابقة أو الجائزة .

## جائزة «الناقد»

للرواية . ١٩٩٢

### النتائج في نهاية السنة

بموجب شروط جائزة «الناقد للرواية» للعام ١٩٩٢ ، أُنقل في ٣١  
كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢ باب قبول المساهمات . وقد بلغ عدد  
الروايات المستوفية لشروط الجائزة التي وصلت حتى ذلك التاريخ ٤٢  
رواية موزعة على ٨ أقطار عربية حسب التالي : ١٥ سورية ،  
٦ الأردن ، ٥ تونس ، ٥ مصر ، ٤ المغرب ، ٤ لبنان ، ١ الإمارات  
العربية ، ١ فلسطين .

ونظراً لكثرة عدد المشاركين في الجائزة ، وتسهيلاً لعمل اللجنة  
التحكيمية كذلك تشكلت لجنة فرعية مهمتها القيام بالتصفية الأولى  
لمجموعة الروايات الثمانية .

وقد تشكلت لجنة للتحكيم مؤلفة من خمسة رواة ونقاد ، سيحل  
عن أسماهم عند إعلان نتائج المسابقة في نهاية ١٩٩٢ . وتذكر اللجنة  
التحكيمية كما يذكر الناشر بأنها لا يدخلان بأية مراسلات بشأن  
المسابقة أو الجائزة .